تفسير النسفي

للإمام الجليل العلامة أبي البركات
عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي
عليه سحائب الرحمة
والرضوان

الجزء الثاني

دار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سورة الأنعام مكية ﴾

﴿ وهي مائة وخمس وستون آية كوفي أربع وستون بصري ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) تعليم اللفظ والمعنى مع تعريض الاستغناء أى الحمد له وإن لم تحمدوه (الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) جمع السموات لأنها طباق بعضها فوق بعض. والأرض وإن كانت سبعة عند الجمهور فليس بعضها فوق بعض بل بعضها موال لبعض . جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وَجَعَلَ الظُّلُمَٰتِ وَالنُّورَ) وإلى مفعولين إن كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا. وفيه رد قول الثنوية بقدم النور والظلمة، وأفرد النور لإرادة الجنس ولأن ظلمة كل شيء تختلف باختلاف ذلك الشيء، نظيره ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الموضع المظلم يخالف كل واحد منها صاحبه، والنور ضرب واحد لا يختلف كما تختلف الظلمات، وقدم الظلمات لقوله عليه السلام : « خلق الله خلقه في ظلمة ثم رش عليهم من نوره فمن أصابه ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل » (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا) بعد هذا البيان (بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) يساوون به الأوثان، تقول عدلت بذا أى ساويته به، والباء في بربهم صلة للعدل لا للكفر، أو ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عنه أى يعرضون عنه فتكون الباء صلة للكفر وصلة يعدلون أى عنه محذوفة وعطف ثم الذين كفروا على الحمد لله على معنى أن الله حقيق بالحمد على ما خلق لأنه ما خلقه إلا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته أو على خلق السموات على معنى أنه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه أحد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه، ومعنى ثم استبعاد أن يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته

(هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ) من لابتداء الغاية أى ابتدأ خلق أصلكم يعنى آدم منه (ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا) أى حكم أجل الموت (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُ) أجل القيامة أو الأول مابين أن يخلق إلى أن يموت والثانى مابين الموت والبعث وهو البرزخ أو الأول النوم والثانى الموت أو الثانى هو الأول وتقديره وهو أجل مسمى أى معلوم، وأجل مسمى مبتدأ والخبر عنده وقدم المبتدأ وإن كان نكرة والخبر ظرفا وحقه التأخير لأنه تخصص بالصفة فقارب المعرفة (ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ) تشكون من المرية أو تجادلون من المراء. ومعنى ثم استبعاد أن يمتروا فيه بعد ماثبت أنه محييهم ومميتهم وباعثهم (وَهُوَ اللَّهُ) مبتدأ وخبر (فِى السَّمَٰوَٰتِ وَفِى الْأَرْضِ) متعلق بمعنى اسم الله كأنه قيل وهو المعبود فيهما كقوله وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله أو المعروف بالإلهية فيهما أو هو الذى يقال له الله فيهما والأول تفريع على أنه مشتق وغيره على أنه غير مشتق (يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ) خبر بعد خبر أو كلام مبتدأ أى هو يعلم سركم وجهركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب، ومن فى (وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ) للاستغراق وفى (مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ) للتبعيض أى وما يظهر لهم دليل قط من الأدلة التى يجب فيها النظر والاعتبار (إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) تاركين للنظر لا يلتفتون إليه لقلة خوفهم وتدبرهم فى العواقب (فَقَدْ كَذَّبُوا) مردود على كلام محذوف كأنه قيل إن كانوا معرضين على الآيات فقد كذبوا (بِالْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ) أى بما هو أعظم آية وأكبرها وهو القرآن الذى تحدوا به فعجزوا عنه (فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَٰٓؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) أى أنباء الشىء الذى كانوا به يستهزءون وهو القرآن أى أخباره وأحواله يعنى سيعلمون بأى شىء استهزءوا وذلك عند إرسال العذاب عليهم فى الدنيا أو يوم القيامة أو عند ظهور الإسلام وعلو كلمته (أَلَمْ يَرَوْا) يعنى المكذبين (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ) هو مدة انقضاء أهل كل عصر وهو ثمانون سنة أو سبعون (مَّكَّنَّٰهُمْ) فى موضع جر صفة لقرن وجمع على المعنى (فِى الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ) التمكين فى البلاد إعطاء المكنة والمعنى لم نعط أهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة فى الأجسام والسعة فى الأموال والاستظهار بأسباب الدنيا (وَأَرْسَلْنَا السَّمَآءَ) المطر (عَلَيْهِم مِّدْرَارًا) كثيرا وهو حال من السماء (وَجَعَلْنَا الْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ) من تحت أشجارهم والمعنى عاشوا فى الخصب بين الأنهار والثمار وسقيا الغيث المدرار (فَأَهْلَكْنَٰهُم

بِذُنُوبِهِمْ) ولم يغن ذلك عنهم شيئاً (وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ) بدلا منهم (وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا) مكتوباً (فِى قِرْطَاسٍ) فى ورق (فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ) هو للتأكيد لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ومن المحتج عليهم العمى (لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (وَقَالُوا لَوْلَآ) هلا (أُنزِلَ عَلَيْهِ) على النبى ﷺ (مَلَكٌ) يكلمنا أنه نبى فقال الله (وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ) لقضى أمر هلاكهم (ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ) لايمهلون بعد نزوله طرفة عين لأنهم إذا شاهدوا ملكا فى صورته زهقت أرواحهم من هول مايشاهدون ومعنى ثم بعدمابين الأمرين قضاء الأمر وعدم الإنظار جعل عدم الإنظار أشد من قضاء الأمر لأن مفاجأة الشدة أشد من نفس الشدة (وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لأنهم كانوا يقولون تارة لولا أنزل على محمد ملك وتارة يقولون ماهذا إلا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لأنزل ملائكة (لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا) لأرسلناه فى صورة رجل كما كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله ﷺ فى أعم الأحوال فى صورة دحية لأنهم لايبقون مع رؤية الملائكة فى صورهم (وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ) ولخلطنا وأشكلنا عليهم من أمره إذا كان سبيله كسبيلك يامحمد فإنهم يقولون إذا رأوا الملك فى صورة الإنسان هذا إنسان وليس بملك يقال لبست الأمر على القوم وألبسته إذا أشبهته وأشكلته عليهم ثم سلى نبيه على ماأصابه من استهزاء قومه بقوله (وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) فأحاط بهم الشىء الذى كانوا يستهزئون به وهو الحق حيث أهلكوا من أجل استهزائهم به ومنهم متعلق بسخروا كقوله فيسخرون منهم والضمير للرسل والدال مكسورة عند أبى عمرو وعاصم لالتقاء الساكنين وضمها غيرهما إتباعا لضم التاء (قُلْ سِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ) والفرق بين فانظروا وبين ثم انظروا إن النظر جعل مسبباً عن السير فى فانظروا فكأنه قيل سيروا لأجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين ومعنى سيروا فى الأرض ثم انظروا إباحة السير فى الأرض للتجارة وغيرها وإيجاب النظر فى آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد مابين الواجب والمباح (قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) من استفهام وما بمعنى الذى فى موضع الرفع على الابتداء ولمن خبره (قُل لِّلَّهِ) تقرير لهم أى هو لله لاخلاف بينى وبينكم ولا تقدرون أن تضيفوا منه شيئاً إلى غيره

(كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) أصل كتب أوجب ولكن لايجوز الإجراء على ظاهره إذ لايجب على الله شيء للعبد فالمراد به أنه وعد ذلك وعداً مؤكداً وهو منجزه لامحالة وذكر النفس للاختصاص ورفع الوسائط ثم أوعدهم على إغفالهم النظر وإشراكهم به من لايقدر على خلق شيء بقوله (لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ) فيجازيكم على إشراككم (لَا رَيْبَ فِيهِ) في اليوم أوفى الجمع (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) نصب على الذم أى أريد الذين خسروا أنفسهم باختيارهم الكفر (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) وقال الأخفش الذين بدل من كم فى ليجمعنكم أى ليجمعن هؤلاء المشركين الذين خسروا أنفسهم والوجه هو الأول لأن سيبويه قال لايجوز مررت بى المسكين ولابك المسكين فتجعل المسكين بدلا من الياء أو الكاف لأنهما فى غاية الوضوح فلا يحتاجان إلى البدل والتفسير (وَلَهُ) عطف على لله (مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) من السكنى حتى يتناول الساكن والمتحرك أومن السكون ومعناه ماسكن وتحرك فيهما فاكتفى بأحد الضدين عن الآخر كقوله تقيكم الحر أى الحر والبرد وذكر السكون لأنه أكثر من الحركة وهو احتجاج على المشركين لأنهم لم ينكروا أنه خالق الكل ومدبره (وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) ناصراً ومعبوداً وهو مفعول ثان لأتخذ والأول غير وإنما أدخل همزة الاستفهام على مفعول أتخذ لاعليه لأن الإنكار فى اتخاذ غير الله ولياً لافى اتخاذ الولى فكان أحق بالتقديم (فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) بالجر صفة لله أى مخترعهما وعن ابن عباس رضى الله عنهما ماعرفت معنى الفاطر حتى اختصم إلىّ أعرابيان فى بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أى ابتدأتها (وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ) وهو يرزق ولا يرزق أى المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ) لأن النبى سابق أمته فى الإسلام كقوله: وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) وقيل لى لاتكونن من المشركين ولو عطف على ماقبله لفظ القيل وأن لاأكون والمعنى أمرت بالإسلام ونهيت عن الشرك (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى إنى أخاف عذاب يوم عظيم وهو القيامة إن عصيت ربى فالشرط معترض بين الفاعل والمفعول به، محذوف الجواب (مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ) العذاب (يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ) الله الرحمة العظمى وهى النجاة من يَصرِف حمزة وعلى وأبوبكر

أي من يصرف الله عنه العذاب (وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ) النجاة الظاهرة (وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ) من مرض أو فقر أو غير ذلك من بلاياه (فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ) فلا قادر على كشفه إلا هو (وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ) من غنى أوصحة (فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو قادر على إدامته وإزالته (وَهُوَ الْقَاهِرُ) مبتدأ وخبر أى الغالب المقتدر (فَوْقَ عِبَادِهِ) خبر بعدخبر أىعال عليهم بالقدرة. والقهر بلوغ المراد بمنع غيرهمن بلوغه (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى تنفيذ مراده (الْخَبِيرُ) بأهل القهر من عباده (قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً) أى شىء مبتدأ وأكبر خبره وشهادة تمييز وأى كلمة يراد بها بعض ماتضاف إليه فإذا كانت استفهاما كان جوابها مسمى باسم ما أضيفت إليه. وقوله (قُلِ اللَّهُ) جواب أىالله أكبر شهادة فالله مبتدأ والخبر محذوف فيكون دليلا على أنه يجوز إطلاق اسم الشىء على الله تعالى وهذا لأن الشىء اسم للموجود ولا يطلق على المعدوم والله تعالى موجود فيكون شيئاً ولذا نقول الله تعالى شىءلا كالأشياء ثم ابتدأ (شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) أى هو شهيد بينى وبينكم ويجوزأن يكون الجواب اللهشهيد بينىوبينكم لأنه إذا كان الله شهيداً بينهوبينهم فأكبر شىء شهادة شهيدله (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) أى ومن بلغه القرآن إلى قيام الساعة فى الحديث «من بلغة القرآن فكأنما رأى محمد» ﷺ ومن فى محل النصب بالعطف على كم والمراد به أهل مكة والعائد إليه محذوف أىومن بلغه، وفاعل بلغ ضمير القرآن (أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ) استفهام إنكار وتبكيت (قُل لَّا أَشْهَدُ) بماتشهدون وكرر(قُلْ) توكيدا (إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) ما كافةلأن عن العمل وهومبتدأوإله خبرهوواحد صفة أو بمعنىالذى فى محل النصب بإن وهو مبتدأ وإله خبره والجملة صلة الذى وواحد خبرإن وهذا الوجه أوقع (وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) به (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) يعنى اليهود والنصارى.والكتاب: التوراة والإنجيل (يَعْرِفُونَهُ) أىرسول الله ﷺ بحليته ونعته الثابت فى الكتابين (كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ) بحلاهم ونعوتهم وهذا استشهاد لأهل مكة بمعرفة أهل الكتاب به وبصحةنبوته ثم قال (الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) من المشركين ومن أهل الكتاب الجاحدين (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (وَمَنْ أَظْلَمُ) استفهام يتضمن معنى النفى أىلاأحد أظلم لنفسه، والظلم وضع الشىء فى غير موضعه، وأشنعه اتخاذ المخلوق معبوداً (مِمَّنْ

(ٱفْتَرَىٰ) اختلق (عَلَىٰ اللهِ كَذِباً) فيصفه بما لايليق به (أَوْ كَذَّبَ بِئَايَٰتِهِ) بالقرآن والمعجزات (إِنَّهُ) إن الأمر والشأن (لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ) جمعوا بين أمرين باطلين فكذبوا على الله مالاحجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة حيث قالوا: الملائكة بنات الله، وسموا القرآن والمعجزات سحراً (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) هو مفعول به والتقدير واذكر يوم نحشرهم (جَمِيعاً) حال من ضمير المفعول (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا) مع الله غيره توبيخاً، وبالياء فيهما يعقوب (أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ) آلهتكم التي جعلتموها شركاء الله (الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) أى تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان (ثُمَّ لَمْ تَكُن) وبالياء حمزة وعلى (فِتْنَتُهُمْ) كفرهم (إِلَّآ أَن قَالُوا وَاللهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ) يعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذى لزموه أعمارهم وقاتلوا عليه إلا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به أو ثم لم يكن جوابهم إلا أن قالوا فسمى فتنة لأنه كذب. وبرفع الفتنة مكى وشامى وحفص، فمن قرأ تكن بالتاء ورفع الفتنة فقد جعل الفتنة اسم تكن وأن قالوا الخبر أى لم تكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالياء ونصب الفتنة جعل أن قالوا اسم يكن أى لم يكن فتنتهم إلا قولهم، ومن قرأ بالتاء ونصب الفتنة حمل على المقالة. ربَّنا حمزة وعلى، على النداء أى يا ربنا وغيرهما بالجر على النعت من اسم الله (انظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ) بقولهم ما كنا مشركين قال مجاهد إذا جمع الله الخلائق ورأى المشركون سعة رحمة الله وشفاعة رسول الله ﷺ للمؤمنين قال بعضهم لبعض: تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع أهل التوحيد فإذا قال لهم الله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا والله ربنا ما كنا مشركين فيختم الله على أفواههم فتشهد عليهم جوارحهم (وَضَلَّ عَنْهُم) وغاب عنهم (مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) إلهيته وشفاعته (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ) حين تتلو القرآن روى أنه اجتمع أبو سفيان والوليد والنضر وأضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله ﷺ فقالوا للنضر مايقول محمد فقال والله ما أدرى مايقول محمد إلا أنه يحرك لسانه ويقول أساطير الأولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال أبو سفيان إنى لأراه حقاً فقال أبو جهل، كلا. فنزلت (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) أغطية جمع كنان وهو الغطاء مثل عنان وأعنة (أَن يَفْقَهُوهُ) كراهة أن يفقهوه (وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا يمنع من السمع ووحد الوقر لأنه مصدر وهو عطف على أكنة وهو حجة لنا فى الأصلح على المعتزلة (وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ

لاَّ يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا) حتى هى التى تقع بعدها الجمل والجملة قوله إذا جاؤك يقول الذين كفروا ويجادلونك فى موضع الحال ويجوز أن تكون جارة ويكون إذا جاؤك فى موضع الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال ويقول الذين كفروا تفسير له والمعنى أنه بلغ تكذيبهم الآيات إلى أنهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (إِنْ هَٰذَآ) ما القرآن (إِلآَّ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ) فيجعلون كلام الله أكاذيب وواحد الأساطير أسطورة (وَهُمْ) أى المشركون (يَنْهَوْنَ عَنْهُ) ينهون الناس عن القرآن أوعن الرسول واتباعه والإيمان به (وَيَنْئَوْنَ عَنْهُ) ويبعدون عنه بأنفسهم فيضلون ويضلون (وَإِن يُهْلِكُونَ) بذلك (إِلآَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) أى لا يتعداهم الضرر إلى غيرهم وإن كانوا يظنون أنهم يضرون رسول الله وقيل عنى به أبو طالب لأنه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله ﷺ وينأى عنه فلا يؤمن به والأول أشبه (وَلَوْ تَرَىٰ) حذف جوابه أى ولو ترى لشاهدت أمرا عظيما (إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ) أروها حتى يعاينوها أو حبسوا على الصراط فوق النار (فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ) إلى الدنيا تمنوا الرد إلى الدنيا ليؤمنوا وتم تمنيهم ثم ابتدءوا بقوله (وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) واعدين الإيمان كأنهم قالوا ونحن لانكذب ونؤمن. ولا نكذب ونكون حمزة وعلى وحفص على جواب التمنى بالواو وبإضمار أن ومعناه إن رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين وافقهما فى ونكون شامى (بَلْ) للإضراب عن الوفاء بما تمنوا (بَدَا لَهُم) ظهر لهم (مَّا كَانُوا يُخْفُونَ) من الناس (مِن قَبْلُ) فى الدنيا من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم وقيل هو فى المنافقين وأنه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه أو فى أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ﷺ (وَلَوْ رُدُّوا) إلى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) من الكفر (وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ) فيما وعدوا من أنفسهم لا يوفون به (وَقَالُوٓا) عطف على لعادوا أى ولو ردوا لكفروا ولقالوا (إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة أو على قوله وإنهم لكاذبون أى وإنهم لقوم كاذبون فى كل شىء وهم الذين قالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا وهى كناية عن الحياة أوهو ضمير القصة (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى

بين يدى سيده ليعاقبه أو وقفوا على جزاء ربهم (قَالَ) جواب لسؤال مقدر كأنه قيل ماذا قال لهم ربهم إذ وقفوا عليه فقيل قال (أَلَيْسَ هَٰذَا) أى البعث (بِالْحَقِّ) بالكائن الموجود وهذا تعيير لهم على التكذيب للبعث وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث ماهو بحق (قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا) أقروا وأكدوا الإقرار باليمين (قَالَ) الله تعالى (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) بكفركم (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ) ببلوغ الآخرة وما يتصل بها أو هو مجرى على ظاهره لأن منكر البعث منكر للرؤية (حَتَّىٰ) غاية لكذبوا لا لخسر لأن خسرانهم لا غاية له (إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ) أى القيامة لأن مدة تأخرها مع تأبد مابعدها كساعة واحدة (بَغْتَةً) فجأة وانتصابها على الحال يعنى باغتة أو على المصدر كأنه قيل بغتتهم الساعة بغتة وهى ورود الشىء على صاحبه من غير علمه بوقته (قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا) نداء تفجع معناه ياحسرة احضرى فهذا أوانك (عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا) قصرنا (فِيهَا) فى الحياة الدنيا أو فى الساعة أى قصرنا فى شأنها وفى الإيمان بها (وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ) آثامهم (عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ) خص الظهر لأن المعهود حمل الأثقال على الظهور كما عهد الكسب بالأيدى وهو مجاز عن اللزوم على وجه لا يفارقهم وقيل إن الكافر إذا خرج من قبره استقبله أقبح شىء صورة وأخبثه ريحا فيقول أنا عملك السيء فطالما ركبتنى فى الدنيا وأنا أركبك اليوم (أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) بئس شيئا يحملونه وأفاد ألا تعظيم ما يذكر بعده (وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ) جواب لقولهم إن هى إلا حياتنا الدنيا واللعب ترك ما ينفع بما لا ينفع واللهو الميل عن الجد إلى الهزل قيل ماأهل الحياة الدنيا إلاأهل لعب ولهو وقيل ماأعمال الحياة الدنيا إلالعب ولهو لأنها لاتعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة (وَلَلدَّارُ) مبتدأ (الْآخِرَةُ) صفتها ولدار الآخرة بالإضافة شامى أى ولدار الساعة الآخرة لأن الشىء لا يضاف إلى صفته. وخبر المبتدأ على القراءتين (خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) وفيه دليل على أن ما سوى أعمال المتقين لعب ولهو (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) بالتاء مدنى وحفص ولما قال أبو جهل مانكذبك يامحمد وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به نزل (قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ) الهاء ضمير الشأن (لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ) لاينسبونك إلى الكذب. وبالتخفيف

نافع وعلى من أكذبه إذا وجده كاذبا (وَلَـٰكِنَّ الظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) من إقامة الظاهر مقام المضمر وفيه دلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم والباء يتعلق بيجحدون أو بالظالمين كقوله فظلموا بها والمعنى أن تكذيبك أمر راجع إلى الله لأنك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك فى الحقيقة وإنما يكذبون الله لأن تكذيب الرسول تكذيب المرسل (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ) تسلية لرسول الله ﷺ وهو دليل على أن قوله فإنهم لا يكذبونك ليس بنفى لتكذيبه وإنما هو من قولك لغلامك إذا أهانه بعض الناس إنهم لم يهينوك وإنما أهانونى (فَصَبَرُوا) والصبر حبس النفس على المكروه (عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا) على تكذيبهم وإيذائهم (حَتَّىٰ أَتَـٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِ اللَّهِ) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون. إنا لننصر رسلنا (وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِيْ الْمُرْسَلِينَ) بعض أنبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين، وأجاز الأخفش أن تكون من زائدة والفاعل نبأ المرسلين وسيبويه لا يجيز زيادتها فى الواجب كان يكبر على النبى ﷺ كفر قومه وإعراضهم ويحبوا مجىء الآيات ليسلموا فنزل (وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ) عظم وشق (إِعْرَاضُهُمْ) عن الإسلام (فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا) منفذا تنفذ فيه إلى ماتحت الأرض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (فِى الْأَرْضِ) صفة لنفقا (أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم) منها (بِـَٔايَةٍ) فافعل وهو جواب فإن استطعت وإن استطعت وجوابها جواب وإن كان كبر والمعنى إنك لاتستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على إسلام قومه وأنه لو استطاع أن يأتيهم بآية من تحت الأرض أو من فوق السماء لأتى بها رجاء إيمانهم (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ) لجعلهم بحيث يختارون الهدى ولكن لما علم أنهم يختارون الكفر لم يشأ أن يجمعهم على ذلك كذا قاله الشيخ أبو منصور رحمه الله (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَـٰهِلِينَ) من الذين يجهلون ذلك ثم أخبر أن حرصه على هدايتهم لاينفع لعدم سمعهم كالموتى بقوله (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ) أى إنما يجيب دعاءك الذين يسمعون دعاءك بقلوبهم (وَالْمَوْتَىٰ) مبتدأ أى الكفار (يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا (وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ) هلا أنزل عليه (ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ) كما نقترح من جعل الصفا ذهبا

وتوسيع أرض مكة وتفجير الأنهار خلالها (قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً) كما اقترحوا (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) إن الله قادر على أن ينزل تلك الآية أولا يعلمون ما عليهم فى الآية من البلاء لو أنزلت (وَمَا مِن دَآبَّةٍ) هى اسم لما يدب وتقع على الذكر والمؤنث (فِى الْأَرْضِ) فى موضع جر صفة لدابة (وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ) قيد الطيران بالجناحين لنفى المجاز لأن غير الطائر قد يقال فيه طار إذا أسرع (إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم) فى الخلق والموت والبعث والاحتياج إلى مدبر يدبر أمرها (مَّا فَرَّطْنَا) ما تركنا (فِى الْكِتَٰبِ) فى اللوح المحفوظ (مِن شَىْءٍ) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ماوجب أن يثبت، أوالكتاب القرآن وقوله من شىء أى من شىء يحتاجون إليه فهو مشتمل على ماتعبدنا به عبارة وإشارة ودلالة واقتضاء (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ) يعنى الأمم كلها من الدواب والطيور فينصف بعضها من بعض كما روى أنه يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول كونى ترابا وإنما قال إلا أمم مع إفراد الدابة والطائر لمعنى الاستغراق فيهما ولماذكر من خلائقه وآثار قدرته مايشهد لربوبيته وينادى على عظمته قال (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ) لا يسمعون كلام المنبه (وَبُكْمٌ) لا ينطقون بالحق خابطون (فِى الظُّلُمَٰتِ) أى ظلمة الجهل والحيرة والكفر غافلون عن تأمل ذلك والتفكر فيه. صم وبكم خبر الذين ودخول الواو لا يمنع من ذلك، وفى الظلمات خبر آخر ثم قال إيذانا بأنه فعال لما يريد (مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ) أى من يشأ الله ضلاله يضلله (وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) وفيه دلالة خلق الأفعال وإرادة المعاصى ونفى الأصلح (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ) وبتليين الهمزة مدنى، وبتركه على، ومعناه هل علمتم أن الأمر كما يقال لكم فأخبرونى بما عندكم والضمير الثانى لا محل له من الإعراب والتاء ضمير الفاعل ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره أرأيتكم (إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ) من تدعون ثم بكتهم بقوله (أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ) أى أتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم إذا أصابكم ضر أم تدعون الله دونها (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) فى أن الأصنام آلهة فادعوها لتخلصكم (بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ) أى ما تدعونه إلى كشفه (إِن شَآءَ) إن أراد أن يتفضل عليكم (وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ) وتتركون آلهتكم أو لاتذكرون آلهتكم فى ذلك الوقت لأن أذهانكم مغمورة بذكر ربكم وحده إذ هو القادر على

كشف الضر دون غيره ويجوز أن يتعلق الاستخبار بقوله أغير الله تدعون كأنه قيل أرأيتكم أغير الله تدعون إن أتاكم عذاب الله (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) رسلا فالمفعول محذوف فكذبوهم (فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ) بالبؤس والضر والأول القحط والجوع والثانى المرض ونقصان الأنفس والأموال (لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم فالنفوس تتخشع عند نزول الشدائد (فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا) أى هلا تضرعوا بالتوبة ومعناه نفى التضرع كأنه قيل فلم يتضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد أنه لم يكن لهم عذر فى ترك التضرع إلا عنادهم (وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ) فلم ينزجروا بما ابتلوا به (وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وصاروا معجبين بأعمالهم التى زينها الشيطان لهم (فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ) من البأساء والضراء أى تركوا الاتعاظ به ولم يزجرهم (فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ) من الصحة والسعة وصنوف النعمة فتحنا شامى (حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا بِمَآ أُوتُوٓا) من الخير والنعمة (أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ) آيسون متحسرون وأصله الإطراق حزنا لما أصابه أو ندما على ما فاته وإذا للمفاجأة (فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا) أى أهلكوا عن آخرهم ولم يترك منهم أحد (وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) إيذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم أو احمدوا الله على إهلاك من لم يحمد الله ثم دل على قدرته وتوحيده بقوله (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ) بأن أصمكم وأعماكم (وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم) فسلب العقول والتمييز (مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ) بما أخذ وختم عليه. من رفع بالابتداء وإله خبره وغير صفة لإله وكذا يأتيكم والجملة فى موضع مفعولى أرأيتم وجواب الشرط محذوف (ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ) لهم (ٱلْءَايَٰتِ) نكررها (ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها والصدوف الإعراض عن الشىء (قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً) بأن لم تظهر أماراته (أَوْ جَهْرَةً) بأن ظهرت أماراته وعن الحسن ليلا أو نهارا (هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ) ما يهلك هلاك تعذيب وسخط إلا الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بربهم (وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ) بالجنان والنيران للمؤمنين والكفار ولن نرسلهم ليقترح عليهم الآيات بعد وضوح أمرهم بالبراهين القاطعة والأدلة الساطعة (فَمَنْ ءَامَنَ

وَأَصْلَحَ) أى داوم على إيمانه (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) فلا خوفَ يعقوب (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ) جعل العذاب ماسا كأنه حى يفعل بهم مايريدمن الآلام (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) بسبب فسقهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى بالكفر (قُل لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ) أى قسمه بين الخلق وأرزاقه ومحل (وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) النصب عطفا على محل عندى خزائن الله لأنه من جملة المقول كأنه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ) أى لا أدعى ما يستبعد فى العقول أن يكون البشر من ملك خزائن الله وعلم الغيب ودعوى الملكية وإنما أدعى ما كان لكثير من البشر وهو النبوة (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ) أى ماأخبركم إلا بماأنزل الله على (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) مثل للضال والمهتدى أو لمن اتبع ما يوحى إليه ومن لم يتبع أو لمن يدعى المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الإلهية (أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) فلاتكونوا ضالين أشباه العميان أو فتعلموا أنى ماادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا أن اتباع ما يوحى إلى مما لابد لى منه (وَأَنذِرْ بِهِ) بما يوحى (الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) هم المسلمون المقرون بالبعث إلا أنهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما أوحى إليه أو أهل الكتاب لأنهم مقرون بالبعث (لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ) فى موضع الحال من يحشروا أى يخافون أن يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) يدخلون فى زمرة أهل التقوى ولما أمر النبى عليه السلام بإنذار غير المتقين ليتقوا أمر بعد ذلك بتقريب المتقين ونهى عن طردهم بقوله (وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ) وأثنى عليهم بأنهم يواصلون دعاء ربهم أى عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام أو معناه يصلون صلاة الصبح والعصر أو الصلوات الخمس. بالغُدوة شامى ووسمهم بالإخلاص فى عبادتهم بقوله (يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) فالوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته نزلت فى الفقراء بلال وصهيب وعمار وأضرابهم حين قال رؤساء المشركين لو طردت هؤلاء السقاط لجالسناك فقال عليه السلام ماأنا بطارد المؤمنين فقالوا اجعل لنا يوما ولهم يوما وطلبوا بذلك كتابا فدعا عليا رضى الله عنه ليكتب فقام الفقراء وجلسوا ناحية فنزلت فرمى عليه الصلاة والسلام بالصحيفة وأتى الفقراء فعانقهم (مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ) كقوله إن حسابهم إلا على ربى (وَمَا مِنْ

حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ) وذلك أنهم طعنوا فى دينهم وإخلاصهم فقال حسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم إليك كما أن حسابك عليك لا يتعداك إليهم (فَتَطْرُدَهُمْ) جواب النفى وهو ماعليك من حسابهم (فَتَكُونَ مِنَ الظَّٰلِمِينَ) جواب النهى وهو ولا تطرد ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لأن كونه ظالما مسبب عن طردهم (وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ) ومثل ذلك الفتن العظيم ابتليتا الأغنياء بالفقراء (لِّيَقُولُوا) أى الأغنياء (أَهَٰؤُلَآءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا) أى أنعم الله عليهم بالإيمان ونحن المقدمون والرؤساء وهم الفقراء إنكارا لأن يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه لو كان خيرا ما سبقونا إليه (أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّٰكِرِينَ) بمن يشكر نعمته (وَإِذَا جَآءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ) إما أن يكون أمرا بتبليغ سلام الله إليهم وإما أن يكون أمرا بأن يبدأهم بالسلام إكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذا قوله (كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ) من جملة مايقول لهم ليبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم ومعناه وعدكم بالرحمة وعدا مؤكدا (أَنَّهُ) الضمير للشأن (مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًا) ذنبا (بِجَهَٰلَةٍ) فى موضع الحال أى عمله وهو جاهل بما يتعلق به من المضرة أو جعل جاهلا لإيثاره المعصية على الطاعة (ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ) من بعد السوء أو العمل (وَأَصْلَحَ) أخلص توبته (فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أنه فإنه شامى وعاصم الأول بدل الرحمة والثانى خبر مبتدأ محذوف أى فشأنه أنه غفور رحيم. أنه فأنه مدنى الأول بدل الرحمة والثانى مبتدأ. إنه فإنه غيرهم على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل إنه من عمل منكم (وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ) وبالياء حمزة وعلى وأبو بكر (سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ) بالنصب مدنى غيره بالرفع فرفع السبيل مع التاء والياء لأنها تذكر وتؤنث ونصب السبيل مع التاء على خطاب الرسول ﷺ يقال استبان الأمر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها فى صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه ومن يرجى إسلامه ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب أن يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ) أى صرفت وزجرت بأدلة العقل والسمع عن عبادة ما تعبدون من دون الله (قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهْوَآءَكُمْ) أى لا أجرى فى طريقتكم التى سلكتموها فى دينكم من اتباع

الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذى منه وقعوا فى الضلال (قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا) أى إن اتبعت أهواءكم فأنا ضال (وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وما أنا من المهتدين فى شئ يعنى أنكم كذلك ولما نفى أن يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى) أى إنى من معرفة ربى وأنه لا معبود سواه على حجة واضحة (وَكَذَّبْتُم بِهِ) حيث أشركتم به غيره وقيل على بينة من ربى على حجة من جهة ربى وهو القرآن وكذبتم به بالبينة وذكر الضمير على تأويل البرهان أوالبيان أوالقرآن ثم عقبه بما دل على أنهم أحقاء بأن يعاقبوا بالعذاب فقال (مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) يعنى العذاب الذى استعجلوه فى قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ) فى تأخير عذابكم (يَقُصُّ الْحَقَّ) حجازى وعاصم أى يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص أثره الباقون يقض الحق فى كل ما يقضى من التأخير والتعجيل فالحق أى القضاء الحق صفة لمصدر يقضى وقوله (وَهُوَ خَيْرُ الْفَٰصِلِينَ) أى القاضين بالقضاء الحق إذ الفصل هو القضاء وسقوط الياء من الخط لاتباع اللفظ لالتقاء الساكنين (قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى) أى فى قدرتى وإمكانى (مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ) من العذاب (لَقُضِىَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ) لأهلكتكم عاجلا غضبا لربى (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّٰلِمِينَ) فهو ينزل عليكم العذاب فى وقت يعلم أنه أردع (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ) المفاتح جمع مفتح وهو المفتاح، أوهى خزائن العذاب والرزق أو ماغاب عن العباد من الثواب والعقاب والآجال والأحوال. جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لأن المفاتح يتوصل بها إلى ما فى الخزائن المستوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيفية فتحها توصل إليها فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما فى المخازن قيل عنده مفاتح الغيب وعندك مفاتح العيب فمن آمن بغيبه أسبل الله الستر على عيبه (وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ) من النبات والدواب (وَالْبَحْرِ) من الحيوان والجواهر وغيرها (وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا) ما للنفى ومن للاستغراق أى يعلم عددها وأحوالها قبل السقوط وبعده (وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ) عطف على ورقة

وداخل فى حكمها وقوله (إِلاَّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) كالتكرير لقوله إلا يعلمها لأن معنى إلا يعلمها ومعنى إلا فى كتاب مبين واحدوهو علم الله أو اللوح ثم خاطب الكفرة بقوله (وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ) أى يقبض أنفسكم عن التصرف بالتمام فى المنام (وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ) كسبتم فيه من الآثام (ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ) ثم يوقظكم فى النهار أوالتقدير ثم يبعثكم فى النهار ويعلم ماجرحتم فيه فقدم الكسب لأنه أهم وليس فيه أنه لايعلم ماجرحنا بالليل ولا أنه لايتوفانا بالنهار فدل أن تخصيص الشيء بالذكر لايدل على نفى ماعداه (لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى) لتوفى الآجال على الاستكمال (ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ) رجوعكم بالبعث بعد الموت (ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فى ليلكم ونهاركم. قال بعض أهل الكلام: إن لكل حاسة من هذه الحواس روحا تقبض عند النوم ثم ترد إليها إذا ذهب النوم فأما الروح التى تحيا بها النفس فإنها لاتقبض إلا عند انقضاء الأجل والمراد بالأرواح المعانى والقوى التى تقوم بالحواس ويكون بها السمع والبصر والأخذ والمشى والشم ومعنى ثم يبعثكم فيه أى يوقظم ويرد إليكم أرواح الحواس فيستدل به على منكرى البعث لأنه بالنوم يذهب أرواح هذه الحواس ثم يردها إليها فكذا يحيي الأنفس بعد موتها (وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً) ملائكة حافظين لأعمالكم وهم الكرام الكاتبون ليكون ذلك أزجر للعباد عن ارتكاب الفساد إذا تفكروا أن صحائفهم تقرأ على رءوس الأشهاد (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ) حتى لغاية حفظ الأعمال أى وذلك دأب الملائكة مع المكلف مدة الحياة إلى أن يأتيه الممات (تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا) أى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه توفيه واستوفيه بالإمالة حمزة رسلنا أبو عمرو (وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ) لايتوانون ولا يؤخرون (ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى ٱللَّهِ) إلى حكمه وجزائه أى ردالمتوفون بردالملائكة (مَوْلَىٰهُمُ) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (ٱلْحَقِّ) العدل الذى لا يحكم إلا بالحق وهما صفتان لله (أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ) يومئذ لاحكم فيه لغيره (وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ) لايشغله حساب عن حساب يحاسب جميع الخلق فى مقدار حلب شاة وقيل الرد إلى من رباك خير من البقاء مع من آذاك (قُلْ مَن يُنَجِّيكُم) ينجيكم ابن عباس (مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ) مجاز عن مخاوفهما وأهوالهما أو ظلمات البر الصواعق والبحر الأمواج وكلاهما فى الغيم والليل (تَدْعُونَهُۥ) حال من ضمير المفعول فى ينجيكم (تَضَرُّعًا)

معلنين الضراعة وهو مصدر فى موضع الحال وكذا (وَخُفْيَةً) أى مسرين فى أنفسكم خِفية حيث كان أبو بكروهما لغتان (لَئِنْ أَنجَٰنَا) عاصم وبالامالة حمزة وعلى. الباقون أنجيتنا والمعنى يقولون لئن خلصنا (مِنْ هَٰذِهِ) الظلمات (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ) لله تعالى (قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم) بالتشديد كوفى (مِّنْهَا) من الظلمات (وَمِن كُلِّ كَرْبٍ) وغم وحزن (ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ) ولا تشكرون (قُلْ هُوَ الْقَادِرُ) هو الذى عرفتموه قادراً أو هو الكامل القدرة فاللام يحتمل العهد والجنس (عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ) كما أمطر على قوم لوط وعلى أصحاب الفيل الحجارة (أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ) كما غرّق فرعون وخسف بقارون أو من قبل سلاطينكم وسفلتكم أو هو حبس المطر والنبات (أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا) أو يخلطكم فرقا مختلفين على أهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لإمام ومعنى خلطهم أن ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا فى ملاحم القتال (وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ) يقتل بعضكم بعضا والبأس السيف وعنه عليه الصلاة والسلام «سألت الله تعالى أن لا يبعث على أمتى عذابا من فوقهم أو من تحت أرجلهم فأعطانى ذلك وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعى وأخبرنى جبريل أن فناء أمتى بالسيف» (انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَٰتِ) بالوعد والوعيد (لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ) بالقرآن أو بالعذاب (قَوْمُكَ) قريش (وَهُوَ الْحَقُّ) أى الصدق أو لا بد أن ينزل بهم (قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) بحفيظ وكل إلىّ أمركم إنما أنا منذر (لِّكُلِّ نَبَإٍ) لكل شىء ينبأ به يعنى إنباءهم بأنهم يعذبون وإيعادهم به (مُّسْتَقَرٌّ) وقت استقرار وحصول لابد منه (وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) تهديد (وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا) أى القرآن يعنى يخوضون فى الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش فى أنديتهم يفعلون ذلك (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ) ولا تجالسهم وقم عنهم (حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِ) غير القرآن مما يحل فحينئذ يجوز أن تجالسهم (وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ) مانهيت عنه ينسّينك شامى نسّى وأنسى واحد (فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ) بعد أن تذكر (مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم) من حساب هؤلاء الذين يخوضون فى القرآن تكذيبا واستهزاء (مِّن شَىْءٍ) أى وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شىء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم

(وَلَـكِن) عليهم أن يذكروهم (ذِكْرَىٰ) إذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم وإظهار الكراهة لهم وموعظتهم. ومحل ذكرى نصب أى ولـكن يذكرونهم ذكرى أى تذكيرا، أورفع والتقدير ولـكن عليهم ذكرى فذكرى مبتدأ والخبر محذوف (لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) لعلهم يجتنبون الخوض حياء أو كراهة لمساءتهم (وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ) الذى كلفوه ودعوا إليه وهو دين الإسلام (لَعِباً وَلَهْوًا) سخروا به واستهزءوا. ومعنى ذرهم أعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم واللهو مايشغل الإنسان من هوى أو طرب (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ) وعظ بالقرآن (أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ) مخافة أن تسلم إلى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها، وأصل الإبسال المنع (لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللهِ وَلِيٌّ) ينصرها بالقوة (وَلَا شَفِيعٌ) يدفع عنها بالمسئلة. ولاوقف على كسبت فى الصحيح لأن قوله ليس لها صفة لنفس والمعنى وذكر بالقرآن كراهة أن تبسل نفس عادمة وليا وشفيعا بكسبها (وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ) نصب على المصدر وإن تفد كل فداء والعدل الفدية لأن الفادى يعدل المفدى بمثله وفاعل (لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ) لاضمير العدل لأن العدل هنا مصدر فلا يسند إليه الأخذ وأما فى قوله ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدّى به فصح إسناده إليه (أُوْلَٰئِكَ) إشارة إلى المتخذين من دينهم لعبا ولهوا وهو مبتدأ والخبر (الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا) وقوله (لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ) أى ماء سخين حار خبر ثان لأولئك والتقدير أولئك المبسلون ثابت لهم شراب من حميم أو مستأنف (وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بكفرهم (قُلْ) لأبى بكر يقل لابنه عبد الرحمن وكان يدعو أباه إلى عبادة الأوثان (أَنَدْعُوا) أنعبد (مِن دُونِ اللهِ) الضار النافع (مَالَا يَنفَعُنَا) مالا يقدر على نفعنا إن دعوناه (وَلَا يَضُرُّنَا) إن تركنا (وَنُرَدُّ) وأنرد (عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا) راجعين إلى الشرك (بَعْدَ إِذْ هَدَيٰنَا اللهُ) للإسلام وأنقذنا من عبادة الأصنام (كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ) كالذى ذهبت به الغيلان ومردة الجن والكاف فى محل النصب على الحال من الضمير فى نرد على أعقابنا أى أننكص مشبهين من استهوته الشياطين وهو استفعال من هوى فى الأرض إذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه (فِى الْأَرْضِ) فى المهمه (حَيْرَانَ) حال من مفعول استهوته أى تائها ضالا عن الجادة لايدرى كيف يصنع (لَهُ) لهذا المستهوى (أَصْحَٰبٌ) رفقة (يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى) إلى أن يهدوه الطريق. سمى الطريق المستقيم بالهدى يقولون له

(ائْتِنَا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لايجيبهم ولايأتيهم وهذا مبنى على ما يقال إن الجن تستهوى الإنسان والغيلان تستولى عليه فشبه به الضال عن طريق الإسلام التابع لخطوات الشيطان، والمسلمون يدعونه إليه فلا يلتفت إليهم (قُلْ إِنَّ هُدَى اللهِ) وهو الإسلام (هُوَ الْهُدَىٰ) وحده وما وراءه ضلال (وَأُمِرْنَا) محله النصب بالعطف على محل إن هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا (لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) والتقدير وأمرنا لأن نسلم ولأن أقيموا أى للإسلام ولإقامه الصلاة (وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِى إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) يوم القيامة (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) بالحكمة أومحقا (وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ) على الخبر دون الجواب (قَوْلُهُ الْحَقُّ) مبتدأ ويوم يقول خبره مقدما عليه كما تقول يوم الجمعة قولك الصدق أى قولك الصدق كائن يوم الجمعة واليوم بمعنى الحين . والمعنى أنه خلق السماوات والأرض بالحق والحكمة وحين يقول لشئ من الأشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة أى لا يكون شيئا من السماوات والأرض وسائر المكونات إلا عن حكمة وصواب (وَلَهُ الْمُلْكُ) مبتدأ وخبر (يَوْمَ يُنفَخُ) ظرف لقوله وله الملك (فِى الصُّورِ) هو القرن بلغة اليمن أو جمع صورة (عَٰلِمُ الْغَيْبِ) هو عالم الغيب (وَالشَّهَٰدَةِ) أى السر والعلانية (وَهُوَ الْحَكِيمُ) فى الإفناء والإحياء (الْخَبِيرُ) بالحساب والجزاء (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ) هو اسم أبيه أولقبه لأنه خلاف بين النسابين أن اسم أبيه تارخ وهو عطف بيان لأبيه وزنه فاعل (أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً) استفهام توبيخ أى أتتخذها آلهة وهى لا تستحق الإلهية (إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ وَكَذَٰلِكَ) أى وكما أريناه قبح الشرك (نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى نرى بصيرته لطائف خلق السماوات والأرض ونرى حكاية حال ماضية والملكوت أبلغ من الملك لأن الواو والتاء تزادان للمبالغة . قال مجاهد فرجت له السموات السبع فنظر إلى مافيهن حتى انتهى نظره إلى العرش وفرجت له الأرضون السبع حتى نظر إلى مافيهن (وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ) فعلنا ذلك أوليستدل، وليكون من الموقنين عيانا كما أيقن بيانا (فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ) أى أظلم وهو عطف على قال إبراهيم لأبيه، وقوله: وكذلك نرى إبراهيم. جملة اعتراضية بين المعطوف والمعطوف عليه (رَءَا كَوْكَبًا) أى الزهرة أو المشترى وكان أبوه وقومه يعبدون الأصنام

والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى أن شيئاً منها ليس بإله لقيام دليل الحدوث فيها ولأن لها محدثا أحدثها ومدبراً دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر أحوالها فلما رأى الكوكب الذى كانوا يعبدونه (قَالَ هَٰذَا رَبِّى) أى قال لهم هذا ربى فى زعمكم أو المراد أهذا استهزاء بهم وإنكاراً عليهم والعرب تكتفى عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت والصحيح أن هذا قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لأنه أدعى إلى الحق وأنجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (فَلَمَّآ أَفَلَ) غاب (قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ) أى لا أحب عبادة الأرباب المتغيرين عن حال إلى حال لأن ذلك من صفات الأجسام (فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا) مبتدئاً فى الطلوع (قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ) نبه قومه على أن من اتخذ القمر إلٰها فهو ضال وإنما احتج عليهم بالأفول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال إلى حال لأن الاحتجاج به أظهر لأنه انتقال مع خفاء واحتجاب (فَلَمَّآ رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى) وإنما ذكره لأنه أراد الطالع أو لأنه جعل المبتدأ مثل الخبر لأنهما شىء واحد معنى وفيه صيانة الرب عن شبهة التأنيث ولهذا قالوا فى صفات الله تعالى علام ولم يقولوا علامة وإن كان الثانى أبلغ تفاديا من علامة التأنيث (هَٰذَآ أَكْبَرُ) من باب استعمال النصفة أيضاً مع خصومه (فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ) من الأجرام التى تجعلونها شركاء لخالقها وقيل هذا كان نظره واستدلاله فى نفسه فحكاه الله تعالى والأول أظهر لقوله ياقوم إنى برىء مما تشركون (إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ) أى للذى دلت هذه المحدثات على أنه منشئها (حَنِيفًا) حال أى مائلا عن الأديان كلها إلى الإسلام (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) بالله شيئاً من خلقه (وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ) فى توحيد الله تعالى ونفى الشركاء عنه (قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ) فى توحيده. أتحاجونى مدنى وابن ذكوان (وَقَدْ هَدَىٰنِ)إلى التوحيد ، وبالياء فى الوصل أبو عمرو ولما خوفوه أن معبوداتهم تصيبه بسوء قال (وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا) أى لا أخاف معبوداتكم فى وقت قط لأنها لاتقدر على منفعة ولا مضرة إلا إذا شاء ربى أن يصيبنى منها بضر فهو قادر على أن يجعل فيما

شاء نفعا وفيما شاء ضرا لاالأصنام (وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا) فلا يصيب عبدا شىء من ضر أو نفع إلا بعلمه (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) فتميزوا بين القادر والعاجز (وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ) معبوداتكم وهى مأمونة الخوف (وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ) بإشراكه (عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا) حجة إذ الاشراك لايصح أن يكون عليه حجة والمعنى ومالكم تنكرون علىّ الأمن فى موضع الأمن ولا تنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف (فَأَىُّ الْفَرِيقَيْنِ) أى فريقى الموحدين والمشركين (أَحَقُّ بِالْأَمْنِ) من العذاب (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) ولم يقل فأينا احترازا من تزكية نفسه ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ) بشرك عن الصديق رضى الله عنه (أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ) تم كلام إبراهيم عليه السلام (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ)إشارة إلى جميع ما احتج به إبراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل إلى وهم مهتدون (ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ) وهو خبر بعد خبر (نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ) فى العلم والحكمة وبالتنوين كوفى وفيه نقض قول المعتزلة فى الأصلح (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) بالرفع (عَلِيمٌ) بالأهل (وَوَهَبْنَا لَهُ) لابراهيم (إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا) أى كلهم وانتصب كلا بهدينا (وَنُوحًا هَدَيْنَا) أى وهدينا نوحاً (مِن قَبْلُ) من قبل إبراهيم (وَمِن ذُرِّيَّتِهِ) الضمير لنوح أو لإبراهيم والأوّل أظهر لأن يونس ولوطا لم يكونا من ذرية إبراهيم (دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) والتقدير وهدينا من ذريته هؤلاء (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) ونجزى المحسنين جزاء مثل ذلك فالكاف فى موضع نصب نعت لمصدر محذوف (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ) أى كلهم (مِّنَ الصَّٰلِحِينَ) وذكر عيسى معهم دليل على أن النسب يثبت من قبل الأم أيضاً لأنه جعله من ذرية نوح عليه السلام وهو لايتصل به إلا بالأم وبذا أجيب الحجاج حين أنكر أن يكون بنو فاطمة أولاد النبى عليه السلام (وَإِسْمَٰعِيلَ وَالْيَسَعَ) والليسع حيث كان بلامين حمزة وعلى (وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَٰلَمِينَ) بالنبوة والرسالة (وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ) فى موضع النصب عطفا على كلا أى وفضلنا بعض آبائهم (وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَاجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ذَٰلِكَ) أى مادان به هؤلاء المذكورون (هُدَى اللّهِ) دين الله (يَهْدِى بِهِ

مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيه نقض قول المعتزله لأنهم يقولون إن الله شاء هداية الخلق كلهم لكنهم لم يهتدوا (وَلَوْ أَشْرَكُوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات العلى (لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لبطلت أعمالهم كما قال لئن أشركت ليحبطن عملك (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ) يريد الجنس (وَالْحُكْمَ) والحكمة أو فهم الكتاب (وَالنُّبُوَّةَ) وهى أعلى مراتب البشر (فَإِن يَكْفُرْ بِهَا) بالكتاب والحكم والنبوة أو بآياب القرآن (هَٰؤُلَاءِ) أى أهل مكة (فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا) هم الأنبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله: أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده أو أصحاب النبى عليه السلام أوكل من آمن به أو العجم ومعنى توكيلهم بها أنهم وفقوا للإيمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشىء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه والباء فى (لَّيْسُوا بِهَا) صلة كافرين وفى (بِكَٰفِرِينَ) لتأكيد النفى (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) أى الأنبياء الذين مر ذكرهم (فَبِهُدَىٰهُمُ اقْتَدِهْ) فاختص هداهم بالاقتداء ولاتقتد إلا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الإيمان بالله وتوحيده وأصول الدين دون الشرائع فهى مختلفة، والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الوصل واستحسن إيثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف ويحذفها حمزة وعلى الوصل ويختلسها شامى (قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ) على الوحى أوعلى تبليغ الرسالة والدعاء إلى التوحيد (أَجْرًا) جعلا وفيه دليل على أن أخذ الأجر على تعليم القرآن ورواية الحديث لايجوز (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ) ما القرآن إلا عظة للجن والإنس (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ) أى ما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده حين أنكروا بعثة الرسل والوحى إليهم وذلك من أعظم رحمته وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين روى أن جماعة من اليهود منهم مالك بن الصيف كانوا يجادلون النبى عليه السلام فقال النبى عليه السلام له «أليس فى التوراة أن الله يبغض الحبر السمين» قال نعم قال «فأنت الحبر السمين» فغضب وقال ما أنزل الله على بشر من شىء وحق قدره منصوب نصب المصدر (قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَٰبَ الَّذِى جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا) حال من الضمير فى به أومن الكتاب (وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا) مما فيه نعت رسول الله ﷺ أى بعضوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الإبداء والإخفاء . وبالياء فى الثلاثة مكى وأبو عمرو

(وَعُلِّمْتُم) يا أهل الكتاب بالكتاب (مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ) من أمور دينكم ودنياكم (قُلِ اللَّهُ) جواب أى أنزله الله فإنهم لا يقدرون أن ينا كروك (ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ) فى باطلهم الذى يخوضون فيه (يَلْعَبُونَ) حال من ذرهم أو من خوضهم (وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ) على نبينا عليه السلام (مُبَارَكٌ) كثير المنافع والفوائد (مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) من الكتب (وَلِتُنذِرَ) وبالياء أبوبكر أى الكتاب وهو معطوف على مادل عليه صفة الكتاب كأنه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ماتقدمه من الكتب والإنذار (أُمَّ الْقُرَىٰ) مكة وسميت أم القرى لأنها سرة الأرض وقبلة أهل القرى وأعظمها شأنا ولأن الناس يؤمونها (وَمَنْ حَوْلَهَا) أهل الشرق والغرب (وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بهذا الكتاب فأصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن (وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ) خصت الصلاة بالذكر لأنها علم الإيمان وعماد الدين فمن حافظ عليها يحافظ على أخواتها ظاهراً (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا)هو مالك بن الصيف (أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ) هو مسيلمة الكذاب (وَمَن قَالَ) فى موضع جر عطف على من افترى أى وممن قال (سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ) أى سأقول وأملى هو عبد الله بن سعد بن أبى سرح كاتب الوحى وقد أملى النبى عليه السلام عليه ولقد خلقنا الإنسان إلى خلقاً آخر فجرى على لسانه فتبارك الله أحسن الخالقين فقال عليه السلام «اكتبها فكذلك نزلت» فشك وقال إن كان محمد صادقاً فقد أوحى إلى كما أوحى إليه وإن كان كاذبا فقد قلت كما قال فارتد ولحق بمكة أو النضر بن الحرث كان يقول والطاحنات طحنا فالعاجنات عجناً فالخابزات خبزا كأنه يعارض (وَلَوْ تَرَىٰ) جوابه محذوف أى لرأيت أمرا عظيماً (إِذِ الظَّٰلِمُونَ) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز أن تكون للجنس فيدخل هؤلاء لاشتماله (فِي غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ) شدائده وسكراته (وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا أَنفُسَكُمُ) أى يبسطون إليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم أخرجوها إلينا من أجسادكم وهذه عبارة عن التشديد فى الإزهاق من غير تنفيس وإمهال (الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ) أرادوا وقت الإماتة ومايعذبون به من شدة النزع. والهون : الهوان الشديد وإضافة العذاب إليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (بِمَا كُنتُمْ

تَقُولُونَ عَلَى اللهِ غَيْرَ الْحَقِّ) من أن له شريكا وصاحبة وولدا وغير الحق مفعول تقولون أووصف لمصدر محذوف أى قولا غير الحق (وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ) فلا تؤمنون بها (وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا) للحساب والجزاء (فُرَٰدَىٰ) منفردين بلا مال ولا معين وهو جمع فريد كأسير وأسارى (كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ) فى محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أى مجيئا مثل ما خلقناكم (أَوَّلَ مَرَّةٍ) على الهيئات التى ولدتم عليها فى الانفراد (وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ) ملكناكم (وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ) ولم تحتملوا منه نقيرا (وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا) فى استعبادكم (لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ) بينكم وصلكم عن الزجاج والبين : الوصل والهجر قال .

فوالله لولا البين لم يكن الهوى ولولا الهوى ما حن للبين آلف

بينكم مدنى وعلى وحفص أى وقع التقطع بينكم (وَضَلَّ عَنكُم) وضاع وبطل (مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ) أنها شفعاؤكم عند الله (إِنَّ اللهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ) بالنبات والشجر أى فلق الحب عن السنبلة والنواة عن النخلة، والفلق: الشق، وعن مجاهد أراد الشقين اللذين فى النواة والحنطة (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) النالات الغض النامى من الحب اليابس (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) الحب اليابس من النبات النامى أو الإنسان من النطفة والنطفة من الإنسان أو المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن فاحتج الله عليهم بما يشاهدونه من خلقه لأنهم أنكروا البعث فأعلمهم أنه الذى خلق هذه الأشياء فهو يقدر على بعثهم وإنما قال ومخرج الميت بلفظ اسم الفاعل لأنه معطوف على فالق الحب لا على الفعل ويخرج الحى من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لأن فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس إخراج الحى من الميت لأن النامى فى حكم الحيوان دليله قوله: ويحيى الأرض بعد موتها (ذَٰلِكُمُ اللهُ) ذلكم المحيى والمميت هو الله الذى تحق له الربوبية لا الأصنام (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون عنه وعن تواليه إلى غيره بعد وضوح الأمر بما ذكرنا (فَالِقُ الْإِصْبَاحِ) هو مصدر سمى به الصبح أى شاق عمود الصبح عن سواد الليل أوخالق نور النهار (وَجَعَلَ[1] الَّيْلَ) وجعل الليل كوفى لأن اسم الفاعل الذى قبله بمعنى المضى فلما كان فالق بمعنى فلق عطف عليه جعل لتوافقهما معنى (سَكَنًا) مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه أى ليسكن

(١) فى النسخ التى بأيدينا : وجاعل الليل وهى قراءة سبعية وهى المناسبة لقوله وجعل الليل الخ اه .

فيه الخلق عن كد المعيشة إلى نوم الغفلة أو عن وحشة الخلق إلى الأنس بالحق (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) انتصبا بإضمار فعل يدل عليه جاعل الليل أى وجعل الشمس والقمر (حُسْبَانًا) أى جعلهما على حسبان لأن حساب الأوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما أن الحسبان بالكسر مصدر حسب (ذَٰلِكَ) إشارة إلى جعلهما حسبانا أى ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) الذى قهرهما وسخرهما (الْعَلِيمِ) بتدبيرهما وتدويرهما (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ) خلقها (لِتَهْتَدُوا بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) أى فى ظلمات الليل بالبر وبالبحر وأضافها إليهما لملابستها لهما أوشبه مشتبهات الطرق بالظلمات (قَدْ فَصَّلْنَا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدبينا الآيات الدالة على التوحيد لقوم يعلمون (وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ) هى آدم عليه السلام (فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ) فمستقر بالكسر مكى وبصرى فمن فتح القاف كان المستودع اسم مكان مثله ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول يعنى فلكم مستقر فى الرحم ومستودع فى الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها أو فمنكم مستقر ومنكم مستودع (قَدْ فَصَّلْنَا الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ) وإنما قيل يعلمون ثم ويفقهون هنا لأن الدلالة ثم أظهر وهنا أدق لأن إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة أدق فكان ذكر الفقه الدال على تدقيق النظر أوفق (وَهُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً) من السحاب مطرا (فَأَخْرَجْنَا بِهِ) بالماء (نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ) نبت كل صنف من أصناف النامى أى السبب وهو الماء واحد والمسببات صنوف مختلفه(فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ) من النبات (خَضِرًا) أى شيئا غضا أخضر يقال أخضر وخضر وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نُّخْرِجُ مِنْهُ) من الخضر (حَبًّا مُّتَرَاكِبًا) وهو السنبل الذى تراكب حبه (وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ) هو رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو جمع قنو وهو العذق نظيره صنو وصنوان (دَانِيَةٌ) من المجتنى لانحنائها بثقل حملها أو لقصر ساقها وفيه اكتفاء أى وغير دانية لطولها كقوله سرابيل تقيكم الحر (وَجَنَّٰتٍ) بالنصب عطفا على نبات كل شىء أى وأخرجنا به جنات (مِّنْ أَعْنَابٍ) أى مع النخل وكذا (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ) وجنات بالرفع الأعشى أى وثم جنات من أعناب أى مع النخل (مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ) يقال اشتبه الشيئان

وتشابها نحو استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك يعني بعضه متشابه وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم (انظُرُوٓا إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ) إذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضعيفا لا ينتفع به (وَيَنْعِهِۦٓ) ونضجه أي انظروا إلى حال نضجه كيف يعود شيئا جامعا لمنافع، نظر اعتبار واستدلال على قدرة مقدره ومدبره وناقله من حال إلى حال (إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ثُمُرُهُ وكذا ما بعده حمزة وعلى جمع ثمار فهو جمع الجمع يقال ثمرة وثمر وثمار وثمر (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ الْجِنَّ) إن جعلت لله شركاء مفعولى جعلوا كان الجن بدلا من شركاء وإلا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على الأول وفائدة التقديم استعظام أن يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا أو غير ذلك والمعنى أنهم أطاعوا الجن فيما سولت لهم من شركهم فجعلوهم شركاء لله (وَخَلَقَهُمْ) أي وقد خلق الجن فكيف يكون المخلوق شريكا لخالقه والجملة حال أو وخلق الجاعلين لله شركاء فكيف يعبدون غيره (وَخَرَقُوا لَهُۥ) أي اختلقوا يقال خلق الإفك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى أو هو من خرق الثوب إذا شقه أي اشتقوا له (بَنِينَ) كقول أهل الكتابين في المسيح وعزير (وَبَنَٰتٍۭ) كقول بعض العرب في الملائكة. وخرقوا بالتشديد للتكثير مدنى لقوله بنين وبنات (بِغَيْرِ عِلْمٍ) من غير أن يعلموا حقيقة ما قالوا من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن جهالة وهو حال من فاعل خرقوا أي جاهلين بما قالوا (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ) من الشريك والولد (بَدِيعُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) يقال بدُع الشيء فهو بديع وهو من إضافة الصفة المشبهة إلى فاعلها يعني بديع سمواته وأرضه أو هو بمعنى المبدع أي مبدعها وهو خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ وخبره (أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ) أو هو فاعل تعالى (وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ) أي من أين يكون له ولد والولد لا يكون إلا من صاحبة ولا صاحبة له ولأن الولادة من صفات الأجسام ومخترع الأجسام لا يكون جسما حتى يكون له ولد (وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ) أي ما من شيء إلا وهو خالقه وعالمه ومن كان كذلك كان غنيا عن كل شيء والولد إنما يطلبه المحتاج (ذَٰلِكُمُ) إشارة إلى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي (اللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ) وقوله (فَاعْبُدُوهُ) مسبب عن مضمون الجملة أي من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق

بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ) أى هومع تلك الصفات مالك لـكل شىء من الأرزاق والآجال رقيب على الأعمال (لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَرُ) لا تحيط به أو أبصار من سبق ذكرهم وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لأن المنفى هو الإدراك لاالرؤية ،والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل إدراكه لا رؤيته فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم ونفى الإحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به فهكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفى إدراك ما تستحيل رؤيته لاتمدح فيه لأن كل ما لا يرى لايدرك وإنما التمدح بنفى الإدراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصى عن عهدتها ومن ينفى الرؤية يلزمه نفى أنه معلوم موجود وإلا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهة بخلاف كل موجود لم يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئى وهذا لأن الرؤية تحقق الشىء بالبصر كما هو فإن كان المرئى فى الجهة يرى فيها وإن كان لافى الجهة يرى لا فيها (وَهُوَ) للطف إدراكه (يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ وَهُوَ اللَّطِيفُ)أى العالم بدقائق الأمور ومشكلاتها (الْخَبِيرُ) العليم بظواهر الأشياءوخفياتها وهو من قبيل اللف والنشر (قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ) البصيرة نور القلب الذى به يستبصر القلب كما أن البصر نور العين الذى به تبصر أى جاءكم من الوحى والتنبيه ماهو للقلوب كالبصائر (فَمَنْ أَبْصَرَ) الحق وآمن (فَلِنَفْسِهِ) أبصر وإياها نفع (وَمَنْ عَمِىَ) عنه وضل (فَعَلَيْهَا) فعلى نفسه عمى وإياها ضر بالعمى (وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) أحفظ أعمالكم وأجازيكم عليها إنما أنامنذر والله هو الحفيظ عليكم. الكاف فى (وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْأَيَٰتِ) فى موضع نصب صفة المصدر المحذوف أى نصرف الآيات تصريفا مثل ما تلونا عليك (وَلِيَقُولُوا) جوابه محذوف أى وليقولوا (دَرَسْتَ) نصرفها ومعنى درست قرأت كتب أهل الكتاب. دارست مكى وأبو عمرو أى دارست أهل الكتاب. دَرَسَت شامى أى قدمت هذه الآية ومضت كما قالوا أساطير الأولين (وَلِنُبَيِّنَهُ) أى القرآن وإن لم يجر له ذكر لكونه معلوما أو الآيات لأنها فى معنى القرآن قيل اللام الثانية حقيقة والأولى لام العاقبة والصيرورة

أى لتصير عاقبة أمرهم إلى أن يقولوا درست وهو كقوله فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وهم لم يلتقطوه للعداوة وإنما التقطوه ليصير لهم قرة عين ولكن صارت عاقبة أمرهم إلى العداوة فكذلك الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا درست ولكن حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين فشبه به وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه وعندنا ليس كذلك لما عرف (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) الحق من الباطل (اتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) ولا تتبع أهواءهم (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) اعتراض أكد به إيجاب اتباع الوحى لا محل له من الإعراب أو حال من ربك مؤكدة (وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) فى الحال إلى أن يرد الأمر بالقتال (وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ) أى إيمانهم فالمفعول محذوف (مَآ أَشْرَكُوا) بيّن أنهم لا يشركون على خلاف مشيئة الله ولو علم منهم اختيار الإيمان لهداهم إليه ولكن علم منهم اختيار الشرك فشاء شركهم فأشركوا بمشيئته (وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) مراعيا لأعمالهم مأخوذا بإجرامهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ) بمسلط وكان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا عنه لئلا يكون سبهم سببا لسب الله بقوله (وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ) منصوب على جواب النهى (عَدْوًا) ظلما وعدوانا (بِغَيْرِ عِلْمٍ) على جهالة بالله وبما يجب أن يذكر به (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التزيين (زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ) من أمم الكفار (عَمَلَهُمْ) وهو كقوله أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فإن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء وهو حجة لنا فى الأصلح (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ) مصيرهم (فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فيخبرهم بما عملوا ويجزيهم عليه(وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) جهد مصدر وقع موقع الحال أى جاهدين فى الإتيان بأوكد الأيمان (لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ) من مقترحاتهم (لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْأَيَٰتُ عِندَ اللَّهِ) وهو قادر عليها لا عندى فكيف آتيكم بها (وَمَا يُشْعِرُكُمْ) وما يدريكم (أَنَّهَآ) أن الآية المقترحة (إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ) بها يعنى أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تعلمون ذلك وكان المؤمنون يطمعون فى إيمانهم إذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال الله تعالى وما يدريكم أنهم لا يؤمنون على معنى إنكم لا تدرون ما سبق علمى به من أنهم لا يؤمنون إنها بالكسر مكى وبصرى وأبو بكر على أن الكلام تم قبله أى وما يشعركم ما يكون منهم ثم أخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم

من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح كقوله وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون. لا تؤمنون شامى وحمزة (وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ) عن قبول الحق (وَأَبْصَـٰرَهُمْ) عن رؤية الحق عند نزول الآية التى اقترحوها فلا يؤمنون بها قيل هو عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم ومايشعركم أى وما يشعركم أنهم لا يؤمنون ومايشعركم أنا نقلب أفئدتهم وأبصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق (كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ) كما كانوا عند نزول آياتنا أولا لا يؤمنون بها (وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ) قيل وما يشعركم أنا نذرهم فى طغيانهم يعمهون يتحيرون (وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ) جمعنا (كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا) كفلاء بصحة مابشرنا به وأنذرنا جمع قبيل وهو الكفيل. قِبلا مدنى وشامى أى عيانا وكلاهما نصب على الحال (مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ) إيمانهم فيؤمنوا وهـذا جواب لقول المؤمنين لعلهم يؤمنون بنزول الآية (وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ) أى هؤلاء لا يؤمنون إذا جاءتهم الآية المقترحة (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا) وكما جعلنا لك أعداء من المشركين جعلنا لمن تقدمك من الأنبياء أعداء لما فيه من الابتلاء الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والأجر وانتصب (شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ) على البدل من عدوا أو على أنه من المفعول الأول وعدوّا مفعول ثان (يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) يوسوس شياطين الجن إلى شياطين الإنس وكذلك بعض الجن إلى بعض وبعض الإنس إلى بعض، وعن مالك ابن دينار إن شيطان الإنس أشد علىّ من شيطان الجن لأنى إذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عنى وشيطان الإنس يجيئنى فيجرنى إلى المعاصى عيانا. وقال عليه السلام «قرناء السوء شر من شياطين الجن» (زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ) مازينوه من القول والوسوسة والإغراء على المعاصى (غُرُورًا) خدعا وأخذا على غرة وهو مفعول له (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَافَعَلُوهُ) أى الإيحاء يعنى ولو شاء الله لمنع الشياطين من الوسوسة ولـكنه امتحن بما يعلم أنه أجزل فى الثواب (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) عليك وعلى الله فإن الله يخزيهم وينصرك ويجزيهم (وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ) ولتميل إلى زخرف القول قلوب الكفار وهى معطوفة على غرورا أى ليغروا ولتصغى إليه (وَلِيَرْضَوْهُ) لأنفسهم (وَلِيَقْتَرِفُوا مَاهُم مُّقْتَرِفُونَ)

من الآثام (أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِي حَكَماً) أي قل يا محمد أفغير الله أطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وَهُوَ الَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَٰبَ) المعجز (مُفَصَّلًا) حال من الكتاب أي مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافتراء ثم عضد الدلالة على أن القرآن حق بعلم أهل الكتاب أنه حق لتصديقه ماعندهم وموافقته له بقوله (وَالَّذِينَ ءاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ) أي عبد الله بن سلام وأصحابه (يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ) شامي وحفص (مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين فيه أيها السامع أو فلا تكونن من الممترين في أن أهل الكتات يعلمون أنه منزل بالحق ولا يَرِيبْكَ جحود أكثرهم وكفرهم به (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) أي ماتكلم به. كلمات ربك حجازي وشامي وأبو عمرو أي تم كل ماأخبر به وأمر ونهي ووعد وأوعد (صِدْقاً) في وعده ووعيده (وَعَدْلاً) في أمره ونهيه وانتصبا على التميز أو على الحال (لاَّ مُبَدِّلُ لِكَلِمَٰتِهِ) لا أحد يبدل شيئاً من ذلك (وَهُوَ السَّمِيعُ) لإقرار من أقر (الْعَلِيمُ) بإصرار من أصر أو السميع لما يقولون العليم بمايضمرون (وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ) أي الكفار لأنهم الأكثرون (يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللهِ) دينه (إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ) وهو ظنهم أن آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ) يكذبون في أن الله حرم عليهم كذا وأحل لهم كذا (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) أي هو يعلم الكفار والمؤمنين. من رفع بالابتداء ولفظها لفظ الاستفهام والخبر يضل وموضع الجملة نصب بيعلم المقدر لا بأعلم لأن أفعل لايعمل في الاسم الظاهر النصب ويعمل الجر وقيل تقديره أعلم بمن يضل بدليل ظهور الباء بعده في بالمهتدين (فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِ مُؤْمِنِينَ) هو مسبب عن إنكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك أنهم كانوا يقولون للمسلمين إنكم تزعمون أنكم تعبدون الله فما قتل الله أحق أن تأكلوا مما قتلتم أنتم فقيل للمسلمين إن كنتم متحققين بالإيمان فكلوا مما ذكر اسم الله عليه خاصة أي على ذبحه دون ما ذكر عليه اسم غيره من آلهتهم أو مات حتف أنفه (وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تَأْكُلُوا) ما استفهام في موضع رفع بالابتداء ولكم الخبر أي وأي غرض لكم في أن

لاتأكلوا (مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم) بين لكم (مَّاحَرَّمَ عَلَيْكُمْ) مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة ـ فصل وحرم كوفى غير حفص و بفتحهما مدنى وحفص وبضمهما غيرهم (إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ) مما حرم عليكم فإنه حلال لكم فى حال الضرورة أى شدة المجاعة إلى أكله (وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ) ليضلون كوفى (بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ) أى يضلون فيحرمون ويحللون بأهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ) بالمتجاوزين من الحق إلى الباطل (وَذَرُوا ظَٰهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ) علانيته وسره أو الزنا فى الحوانيت والصديقة فى السر أو الشرك الجلى والخفى (إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ) يوم القيامة (بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ) يكتسبون فى الدنيا (وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ) عند الذبح (وَإِنَّهُ) وإن أكله (لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ) ليوسوسون (إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ) من المشركين (لِيُجَٰدِلُوكُمْ) بقولهم لا تأكلون مما قتله الله وتأكلون مما تذبحون بأيديكم ، والآية تحرم متروك التسمية وخصت حالة النسيان بالحديث أو بجعل الناسى ذاكرا تقديراً (وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ) فى استحلال ماحرمه الله (إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ) لأن من اتبع غير الله فى دينه فقد أشرك به ومن حق التدين أن لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه لما فى الآية من التشديد العظيم ومن أوّل الآية بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه لقوله أو فسقا أهل لغير الله به وقال إن الواو فى وإنه لفسق للحال لأن عطف الجملة الاسمية على الفعلية لايحسن فيكون التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه فسقا والفسق مجمل فبين بقوله أو فسقا أهل لغير الله به فصار التقدير ولا تأكلوا منه حال كونه مهلا لغير الله به فيكون ماسواه حلالا بالعمومات المحلة منها قوله قل لاأجد الآية فقد عدل عن ظاهر اللفظ (أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ) أى كافرا فهديناه لأن الإيمان حياة القلوب ميْتاً مدنى (وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ) مستضيئا به والمراد به اليقين (كَمَن مَّثَلُهُ) أى صفته (فِي الظُّلُمَٰتِ) أى خابط فيها (لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا) لايفارقها ولا يتخلص منها وهو حال قيل المراد بهما حمزة وأبو جهل والأصح أن الآية عامة لكل من هداه الله ولكل من أضله الله فبين أن مثل المهتدى مثل الميت الذى أحيي وجعل مستضيئا يمشى فى الناس بنور الحكمة والإيمان ومثل الكافر مثل من هو فى الظلمات التى لايتخلص منها

(كَذَٰلِكَ) أى كما زين للمؤمن إيمانه (زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ) بتزيين الله تعالى كقوله زينا لهم أعمالهم (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى أعمالهم (وَكَذَٰلِكَ) أى وكما جعلنا فى مكة صناديدها ليمكروا فيها (جَعَلْنَا) صيرنا (فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَـٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا) ليتجبروا على الناس فيها ويعملوا بالمعاصى . واللام على ظاهرها عند أهل السنة وليست بلام العاقبة وخص الأكابر وهم الرؤساء لأن مافيهم من الرياسة والسعة أدعى لهم إلى المكر والكفر من غيرهم دليله ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ثم سلى رسوله عليه السلام ووعد له النصرة بقوله (وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ) لأن مكرهم يحيق بهم (وَمَا يَشْعُرُونَ) أنه يحيق بهم أكابر مفعول أول والثانى فى كل قرية، ومجرميها بدل من أكابر أو الأول مجرميها والثانى أكابر والتقدير مجرميها أكابر ولما قال أبو جهل زاحمنا بنو عبد مناف فى الشرف حتى إذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبى يوحى إليه والله لا نرضى به إلا أن يأتينا وحى كما يأتيه، نزل (وَإِذَا جَآءَتْهُمْ) أى الأكابر (ءَايَةٌ) معجزة أو آية من القرآن تأمرهم بالإيمان (قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ اللهِ) أى نعطى من الآيات مثل ما أعطى الأنبياء فأعلم الله تعالى أنه أعلم بمن يصلح للنبوة فقال تعالى (اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) مكى وحفص رسالاته غيرهما حيث مفعول به والعامل محذوف والتقدير يعلم موضع رسالته (سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) من أكابرها (صَغَارٌ) ذل وهو ان (عِندَ اللهِ) فى القيامة (وَعَذَابٌ شَدِيدٌ) فى الدارين من القتل والأسر وعذاب النار (بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ) فى الدنيا (فَمَن يُرِدِ اللهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَـٰمِ) يوسعه وينور قلبه. قال عليه السلام «إذا دخل النور فى القلب انشرح وانفتح» قيل وما علامة ذلك قال الإنابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت (وَمَن يُرِدْ) أى الله (أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا) ضيقا مكى (حَرَجًا) حرجا صفة لضيقا مدنى وأبو بكر بالغا فى الضيق حرجا غيرهما وصفا بالمصدر (كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى السَّمَآءِ) كأنه كلف أن يصعد إلى السماء إذا دعى إلى الإسلام من ضيق صدره عنه إذا ضاقت عليه الأرض فطلب مصعدا فى السماء أو كعازب الرأى طائر القلب فى الهواء يصعد مكى يصاعد أبو بكر وأصله يتصاعد الباقون يصعّد وأصله يتصعد (كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ) العذاب فى الآخرة واللعنة فى الدنيا (عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) والآية حجة لنا على المعتزلة

فى إرادة المعاصى (وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ) أى طريقه الذى اقتضته الحكمة وسنته فى شرح صدر من أراد هدايته وجعله ضيقاً لمن أراد ضلاله (مُسْتَقِيماً) عادلا مطردا وهو حال مؤكدة (قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (لَهُمْ) أى لقوم يذكرون (دَارُ السَّلَٰمِ) دار الله يعنى الجنة أضافها إلى نفسه تعظيما لها أو دار السلامة من كل آفة وكدر أو السلام التحية سميت دار السلام لقوله: تحيتهم فيها سلام. إلا قيلا سلاما سلاما (عِندَ رَبِّهِمْ) فى ضمانه (وَهُوَ وَلِيُّهُم) محبهم أو ناصرهم على أعدائهم (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) بأعمالهم أو متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون أو هو ولينا فى الدنيا بتوفيق الأعمال وفى العقبى بتحقيق الآمال (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ(١) جَمِيعاً) وبالياء حفص أى واذكر يوم نحشرهم أو ويوم نحشرهم قلنا (يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ) أضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجنود (وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ) الذين أطاعوهم واستمعوا إلى وسوستهم (رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ) أى انتفع الإنس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى أسباب التوصل إليها وانتفع الجن بالإنس حيث أطاعوهم وساعدوهم على مرادهم فى أغوائهم (وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا الَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث وتحسر على حالهم (قَالَ النَّارُ مَثْوَٰكُمْ) منزلكم (خَٰلِدِينَ فِيهَآ) حال والعامل معنى الاضافة كقوله تعالى: أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. فمصبحين حال من هؤلاء والعامل فى الحال معنى الاضافة إذ معناه المازجة والمضامة والمثوى ليس بعامل لأن المكان لايعمل فى شىء (إِلَّا مَا شَآءَ اللَّهُ) أى يخلدون فى عذاب النار الأبد كله إلا ماشاء الله إلا الأوقات التى ينقلون فيها من عذاب السعير إلى عذاب الزمهرير (إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ) فيما يفعل بأوليائه وأعدائه (عَلِيمٌ) بأعمالهم فيجزى كلا على وفق عمله (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ الظَّٰلِمِينَ بَعْضاً) تتبع بعضهم بعضاً فى النار أو نسلط بعضهم على بعض أو نجعل بعضهم أولياء بعض (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصى ثم يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (يَٰمَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ) عن الضحاك بعث إلى الجن رسلا منهم كما بعث

(١) فى الأصول التى بأيدينا نحشرهم وهى قراءة ، وقد نبهنا قبل على أننا مشينا على قراءة حفص .

إلى الانس رسلامنهم لأنهم بهم آنس وعليه ظاهر النص وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وإنما قيل رسل منكم لأنه لما جمع الثقلين فى الخطاب صح ذلك وإن كان من أحدهما كقوله: يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان. أو رسلهم رسل نبينا كقوله ولوا إلى قومهم منذرين (يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى) يقرءون كتبى (وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا) يعنى يوم القيامة (قَالُوا شَهِدْنَآ عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا) بوجوب الحجة علينا وتبليغ الرسل إلينا (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَـٰفِرِينَ) بالرسل (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من بعثة الرسل إليهم وهو خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك (أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَـٰفِلُونَ) تعليل أى الأمر ماقصصنا عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على أن أنْ مصدرية ويجوز أن تكون مخففة من الثقيلة، والمعنى لأن الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم بسبب ظلم أقدموا عليه أو ظالما على أنه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظالما وهو متعال عنه (وَلِكُلٍّ) من المكلفين (دَرَجَـٰتٌ) منازل (مِّمَّا عَمِلُوا) من جزاء أعمالهم وبه استدل أبو يوسف ومحمد رحمهما الله على أن للجن الثواب بالطاعة لأنه ذكر عقيب ذكر الثقلين (وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بساه عنه وبالتاء شامى (وَرَبُّكَ الْغَنِىُّ) عن عباده وعن عبادتهم (ذُو الرَّحْمَةِ) عليهم بالتكاليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ) أيها الظلمة (وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ) من الخلق المطيع (كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ) من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم أهل سفينة نوح عليه السلام (إِنَّ مَا) مابمعنى الذى (تُوعَدُونَ) من البعث والحساب والثواب والعقاب (لَأَتٍ) خبر إن أى لكائن (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين رد لقولهم من مات فقد فات. المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة إذا تمكن أبلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله (قُلْ يَـٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) يحتمل اعملوا على تمكنكم من أمركم وأقصى استطاعتكم وإمكانكم واعملوا على جهتكم وحالكم التى أنتم عليها، ويقال للرجل إذا أمر أن يثبت على حاله: على مكانتك يافلان أى اثبت على ما أنت عليه (إِنِّى عَامِلٌ) على مكانتى التى أنا عليها أى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فإنى ثابت على الإسلام وعلى مصابرتكم وهو أمر تهديد ووعيد، دليله قوله (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَـٰقِبَةُ الدَّارِ) أى فسوف تعلمون أينا تكون له العاقبة المحمودة وهذا طريق لطيف

فى الإنذار (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّـٰلِمُونَ) أى الكافرون مكاناتكم حيث كان أبو بكر يكون حمزة وعلى وموضع من رفع إذا كان بمعنى أى وعلق عنه فعل العلم أو نصب إذا كان بمعنى الذى (وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَـٰمِ نَصِيباً) أى وللأصنام نصيبا فاكتفى بدلالة قوله تعالى (فَقَالُوا هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَائِنَا) بزُعمهم على وكذا ما بعده أى زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة (فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَىٰ اللهِ) أى لا يصل إلى الوجوه التى كانوا يصرفونه إليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ) من إنفاقهم عليها والإجراء على سدنتها روى أنهم كانوا يعينون أشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منهما لآلهتهم فإذا رأوا ما جعلوا لله زاكيا ناميا رجعوا فجعلوه للأصنام وإذا زكا ما جعلوه للأصنام تركوه لها وقالوا إن الله غنى وإنما ذاك لحبهم آلهتهم وإيثارهم لها وفى قوله مما ذرأ إشارة إلى أن الله كان أولى بأن يجعل له الزاكى لأنه هو الذى ذرأه ثم ذم صنيعهم بقوله (سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) فى إيثار آلهتهم على الله وعملهم على مالم يشرع لهم وموضع ما رفع أى ساء الحكم حكمهم أو نصب أى ساء حكما حكمهم (وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) أى كما زين لهم تجزئة المال زين وأد البنات (قَتْلَ) مفعول زين (أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ) هو فاعل زين زين بالضم قتل بالرفع أولادهم بالنصب شركائهم بالجر شامى على إضافة القتل إلى الشركاء أى الشياطين والفصل بينهما بغير الظرف وهو المفعول وتقديره زين لكثير من المشركين قتل شركائهم أولادهم (لِيُرْدُوهُمْ) ليهلكوهم بالإغواء (وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ) وليخلطوا عليهم ويشوبوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا عنه إلى الشرك (وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا فَعَلُوهُ) وفيه دليل على أن الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى (فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ) وما يفترونه من الإفك أو وافترائهم لأن ضرر ذلك الافتراء عليهم لا عليك ولا علينا (وَقَالُوا هَـٰذِهِ أَنْعَـٰمٌ وَحَرْثٌ) للأوثان (حِجْرٌ) حرام فعل بمعنى المفعول كالذبح والطحن ويستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لأن حكمه حكم الأسماء غير الصفات وكانوا إذا عينوا أشياء من حرثهم وأنعامهم لآلهتهم قالوا (لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ) يعنون خدم الأوثان والرجال دون النساء ، والزعم قول بالظن يشوبه الكذب (وَأَنْعَـٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا) هى البحائر

والسوائب والحوامى (وَأَنْعَـٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) حالة الذبح وإنما يذكرون عليها أسماء الأصنام (افْتِرَآءً عَلَيْهِ) هو مفعول له أو حال أى قسموا أنعامهم قسم حجر وقسم لايركب وقسم لايذكر اسم الله عليها ونسبوا ذلك إلى الله افتراء عليه (سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وعيد (وَقَالُوا مَا فِى بُطُونِ هَـٰذِهِ الْأَنْعَـٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا) كانوا يقولون فى أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لايأكل منه الإناث وماولد ميتا اشترك فيه الذكور والإناث وأنث خالصة وهوخبر ماللحمل على المعنى لأن مافى معنى الأجنة وذكر ومحرم حملا على اللفظ أوالتاء للمبالغة كنسابة (وَإِن يَكُن مَّيْتَةً) أى وإن يكن مافى بطونها ميتة، وإن تكن ميتةً أبو بكر أى وإن تكن الأجنة ميتة، وإن تكن ميتةٌ شامى على كان التامة، يكن ميتة مكى لتقدم الفعل وتذكير الضمير فى (فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ) لأن الميتة اسم لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وإن يكن ميت فهم فيه شركاء (سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ) جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحريم (إِنَّهُ حَكِيمٌ) فى جزائهم (عَلِيمٌ) باعتقادهم (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَـٰدَهُمْ) كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر قتّلوا مكى وشامى (سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ) لخفة أحلامهم وجهلهم بأن الله هو رازق أولادهم لاهم (وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ) من البحائر والسوائب وغيرها (افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ) مفعول له (قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) إلى الصواب (وَهُوَ الَّذِى أَنشَأَ) خلق (جَنَّـٰتٍ) من الكروم (مَّعْرُوشَـٰتٍ) مسموكات مرفوعات (وَغَيْرَ مَعْرُوشَـٰتٍ) متروكات على وجه الأرض لم تعرش يقال عرشت الكرم إذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان (وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وهوحال مقدرة لأن النخل وقت خروجه لا أكل فيه حتى يكون مختلفا وهو كقوله فادخلوها خالدين (أُكُلُهُ) أكله حجازى وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لأنه معطوف عليه أو لكل واحد (وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَـٰبِهًا) فى اللون (وَغَيْرَ مُتَشَـٰبِهٍ) فى الطعم (كُلُوا مِن ثَمَرِهِ) من ثمر كل واحد وفائدة (إِذَآ أَثْمَرَ) أن يعلم أن أول وقت الإباحة وقت إطلاع الشجر الثمر ولا يتوهم أنه لا يباح إلا إذا أدرك (وَءَاتُوا حَقَّهُ) عشره وهو حجة أبى حنيفة رحمه الله

فى تعميم العشر (يَوْمَ حَصَادِهِ) بصرى وشامى وعاصم وبكسر الحاء غيرهم وهما لغتان (وَلَا تُسْرِفُوآ) بإعطاء الكل وتضييع العيال وقوله كلوا إلى (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) اعتراض (وَمِنَ الْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا) عطف على جنات أى وأنشأ من الأنعام مايحمل الأثقال وما يفرش للذبح أو الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لأنهادانية من الأرض مثل الفرش المفروش عليها (كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ) أى ما أحل الله لكم منها ولا تحرموها كما فى الجاهلية (وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَـٰنِ) طرقه فى التحليل والتحريم كفعل أهل الجاهليه (إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) فاتهموه على دينكم (ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَاجٍ) بدل من حمولة وفرشا (مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ)زوجين اثنين يريد الذكر والأنثى والواحد إذا كان وحده فهو فرد وإذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والأنثى ويدل عليه قوله ثمانية أزواج ثم فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وفتح عين المعز مكى وشامى وأبو عمرو وهما لغتان والهمزة فى (قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضأن والذكر من المعز وبالأنثيين الأنثى من الضأن والأنثى من المعز والمعنى إنكار أن يحرم الله من جنسى الغنم ضأنها ومعزها شيئا من نوعى ذكورها وإناثها ولا مما تحمل الإناث وذلك أنهم كانوا يحرمون ذكورة الأنعام تارة وإناثها طورا وأولادها كيفما كانت ذكوراً أو إناثا أومختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فأنكر ذلك عليهم وانتصب آلذكرين بحرم وكذا أم الأنثيين أى أم حرم الأنثيين وكذا مافى أم ما اشتملت (نَبِّئُونِى بِعِلْمٍ) أخبرونى بأمر معلوم من جهة الله يدل على تحريم ما حرمتم (إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) فى أن الله حرمه(وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ) منهما (حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ) منهما (أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ) أم ماتحمل إناثها (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ) أم منقطعة أى بل أكنتم شهداء (إِذْ وَصَّـٰكُمُ اللهُ بِهَـٰذَا) يعنى أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم ولما كانوا لا يؤمنون برسول الله وهم يقولون الله حرم هذا الذى نحرمه تهكم بهم فى قوله أم كنتم شهداء على معنى أعرفتم التوصية به مشاهدين

لأنكم لا تؤمنون بالرسل (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا) فنسب إليه تحريم مالم يحرم (لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ) أى الذين فى علمه أنهم يختمون على الكفر ووقع الفاصل بين بعض المعدود وبعضه اعتراضا غير أجنبى من المعدود وذلك أن الله تعالى من على عباده بإنشاء الأنعام لمنافعهم وبإباحتها لهم فالاعتراض بالاحتجاج على من حرمها يكون تأكيدا للتحليل والاعتراضات فى الكلام لاتساق إلا للتوكيد (قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ) أى فى ذلك الوقت أو فى وحى القرآن لأن وحى السنة قد حرم غيره أو من الأنعام لأن الآية فى رد البحيرة وأخواتها وأما الموقوذة والمتردية والنطيحة فمن الميتة وفيه تنبيه على أن التحريم إنما يثبت بوحى الله وشرعه لابهوى الأنفس (مُحَرَّمًا) حيوانا حرم أكله (عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ) على آكل يأكله (إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً) إلاأن يكون الشىء المحرم ميتة أن تكون مكى وشامى وحمزة ميتةٌ شامى (أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا) مصبوبا سائلا فلايحرم الدم الذى فى اللحم والكبد والطحال (أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ) نجس (أَوْ فِسْقًا) عطف على المنصوب قبله وقوله فإنه رجس اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه (أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ) منصوب المحل صفة لفسقا أى رفع الصوت على ذبحه باسم غير الله وسمى بالفسق لتوغله فى باب الفسق (فَمَنِ اضْطُرَّ) فمن دعته الضرورة إلى أكل شىء من هذه المحرمات (غَيْرَ بَاغٍ) على مضطر مثله تارك لمواساته (وَلَا عَادٍ) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) لا يؤاخذه (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ) أى ماله أصبع من دابة أو طائر ويدخل فيه الإبل والنعام (وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ) أى حرمنا عليهم لحم كل ذى ظفر وشحمه وكل شىء منه ولم يحرم من البقر والغنم إلا الشحوم وهى الثروب وشحوم الكلى (إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ) إلا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أَوِ الْحَوَايَآ) أو ما اشتمل على الأمعاء واحدها حاوياء أوحوية (أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ) وهو الألية أو المخ (ذَٰلِكَ) مفعول ثان لقوله (جَزَيْنَـٰهُم) والتقدير جزيناهم ذلك (بِبَغْيِهِمْ) بسبب ظلمهم (وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ) فيما أخبرنا به وكيف نشكر من سبب معصيتهم لتحريم الحلال ومعصية سالفنا لتحليل الحرام حيث قال. وعفا عنكم فالآن باشروهن. (فَإِن كَذَّبُوكَ) فيما أوحيت إليك

من هذا (فقل ربكم ذو رحمة وٰسعة) بها يمهل المكذبين ولا يعاجلهم بالعقوبة (ولا يرد بأسه) عذابه مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) إذا جاء فلا تغتر بسعة رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) إخبار بما سوف يقولونه (لو شاء الله) أن لا نشرك (ما أشركنا ولا ءاباؤنا ولا حرمنا من شىء) ولكن شاء فهذا عذرنا يعنون أن شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم ما أحل الله لهم بمشيئته ولولا مشيئته لم يكن شىء من ذلك(كذٰلك كذب الذين من قبلهم)أى كتكذيبهم إياك كان تكذيب المتقدمين رسلهم وتشبثوا بمثل هذا فلم ينفعهم ذلك إذلم يقولوه عن اعتقاد بل قالوا ذلك استهزاء ولأنهم جعلوا مشيئته حجة لهم على أنهم معذورون به وهذا مردود لا لإقرار بالمشيئة أو معنى المشيئه هنا الرضا كما قال الحسن أى رضى الله منا ومن آبائنا الشرك والشرك مراد لكنه غير مرضى ألا ترى أنه قال فلو شاء لهدا كم أجمعين أخبر أنه لو شاء منهم الهدى لآمن كلهم ولكن لم يشأ من الكل الإيمان بل شاء من البعض الإيمان ومن البعض الكفر فيجب حمل المشيئة هنا على ما ذكرناه دفعا للتناقض (حتىٰ ذاقوا بأسنا) حتى أنزلنا عليهم العذاب (قل هل عندكم من علم) من أمر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) فتظهروه (إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون) تكذبون (قل فلله الحجة البٰلغة) عليكم بأوامره ونواهيه ولا حجة لكم على الله بمشيئته (فلو شاء لهدىٰكم أجمعين) أى فلو شاء هدايتكم وبه تبطل صولة المعتزلة (قل هلم شهداءكم) هاتوا شهداءكم وقربوهم ويستوى فى هذه الكلمة الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع (الذين يشهدون أن الله حرم هٰذا) أى ما زعموه محرما (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لأنه إذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم فكان واحدا منهم (ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بـٔايٰتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أن من كذب بآيات الله فهو متبع للهوى إذ لو تبع الدليل لم يكن إلا مصدقا بالآيات موحدا لله (والذين لا يؤمنون بالآخرة) هم المشركون (وهم بربهم يعدلون) يسوون الأصنام (قل) للذين حرموا الحرث والأنعام (تعالوا) هو من الخاص الذى صار عاما وأصله أن يقول من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر حتى عم (أتل ما حرم ربكم) الذى حرمه ربكم

(عَلَيْكُمْ) من صلة حرم (أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) أن مفسرة لفعل التلاوة ولا للنهى (وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) وأحسنوا بالوالدين إحسانا ولما كان إيجاب الإحسان تحريما لترك الإحسان ذكر فى المحرمات وكذا حكم ما بعده من الأوامر (وَلَا تَقْتُلُوٓا أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ) من أجل فقر ومن خشيته كقوله خشية إملاق (نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) لأن رزق العبيد على مولاهم (وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَٰحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا) مابينك وبين الخلق (وَمَا بَطَنَ) مابينك وبين الله، ماظهر بدل من الفواحش (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ) كالقصاص والقتل على الردة والرجم (ذَٰلِكُمْ وَصَّٰكُم بِهِ) أى المذكور مفصلا أمركم ربكم بحفظه (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لتعقلوا عظمها عند الله (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) إلا بالخصلة التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أشده مبلغ حلمه فادفعوه إليه وواحده شد كفلس وأفلس (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ) بالسوية والعدل (لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا) إلا ما يسعها ولا تعجز عنه وإنما أتبع الأمر بإيفاء الكيل والميزان ذلك لأن مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا نقصان مما فيه حرج فأمر ببلوغ الوسع وأن ما وراءه معفو عنه (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا) فاصدقوا (وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ) ولوكان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل كقوله ولوعلى أنفسكم أوالوالدين والأقربين (وَبِعَهْدِ اللهِ) يوم الميثاق أوفى الأمر والنهى والوعد والوعيد والنذر واليمين(أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ)أىمامر (وَصَّٰكُم بِهِلَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بالتخفيف حيث كانحمزة وعلىوحفص علىحذف إحدى التاءين. غيرهم بالتشديد أصلهتتذكرون فأدغم التاء الثانية فى الذال أى أمركم به لتتعظوا (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى) ولأن هذا صراطى فهو علة الاتباع بتقدير اللام ، وأن بالتخفيف شامى وأصله وأنه على أن الهاء ضمير الشأن والحديث وإن على الابتداء حمزة وعلى (مُسْتَقِيمًا) حال (فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع والضلالات (فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ) فتفرقكم أيادى سبا عن صراط الله المستقيم وهو دين الإسلام روى أن رسول الله ﷺ خطخطا مستويا ثم قال «هذا سبيل الرشد وصراطاللهفاتبعوه» ثمخط على كل جانب ستة خطوط ممالة ثمقال «هذهسبل على كل سبيلمنهاشيطان يدعوإليه فاجتنبوها» وتلا هذه

الآية ثم يصير كل واحد من الاثنى عشر طريقا ستة طرق فتكون اثنين وسبعين وعن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب وعن كعب: إن هذه الآيات لأول شيء في التوراة (ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) لتكونوا على رجاء إصابة التقوى. ذكر أولا تعقلون ثم تذكرون ثم تتقون لأنهم إذا عقلوا تفكروا ثم تذكروا أى اتعظوا فاتقوا المحارم (ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ تَمَامًا) أى ثم أخبركم إنا آتينا أو هو عطف على قل أى ثم قل آتينا أو ثم مع الجملة تأتى بمعنى الواو كقوله ثم الله شهيد (عَلَى الَّذِيَ أَحْسَنَ) على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين دليله قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام أى تتمة للكرامة على العبد الذى أحسن الطاعة فى التبليغ فى كل ما أمر به (وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ) وبيانا مفصلا لكل مايحتاجون إليه فى دينهم (وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم) أى بنى اسرائيل (بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) يصدقون أى بالبعث والحساب وبالرؤية (وَهَٰذَا) أى القرآن (كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ) كثير الخير (فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا) مخالفته (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) لترحموا (أَن تَقُولُوٓا) كراهة أن تقولوا أو لئلا تقولوا (إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا) أى أهل التوراة وأهل الإنجيل وهذا دليل على أن المجوس ليسوا بأهل كتاب (وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ) عن تلاوة كتبهم (لَغَٰفِلِينَ) لا علم لنا بشيء من ذلك إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والأصل وإنه كنا عن دراستهم غافلين على أن الهاء ضمير الشأن والخطاب لأهل مكة والمراد إثبات الحجة عليهم بإنزال القرآن على محمد ﷺ كيلا يقولوا يوم القيامة: إن التوراة والإنجيل أنزلا على طائفتين من قبلنا وكنا غافلين عما فيهما (أَوْ تَقُولُوا) كراهة أن تقولوا (لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ) لحدة أذهاننا وثقابة أفهامنا وغزارة حفظنا لأيام العرب (فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى إن صدقتم فيما كنتم تعدون من أنفسكم فقد جاءكم مافيه البيان الساطع والبرهان القاطع فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللهِ) بعد ما عرف صحتها وصدقها (وَصَدَفَ عَنْهَا) أعرض (سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ) وهو النهاية فى النكاية (بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ) بإعراضهم (هَلْ يَنظُرُونَ) أى أقمنا حجج الوحدانية وثبوت الرسالة وأبطلنا ما يعتقدون

من الضلالة فما ينتظرون فى ترك الضلالة بعدها (إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰئِكَةُ) أى ملائكة الموت لقبض أرواحهم يأتيهم حمزة وعلى (أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ) أى أمر ربك وهو العذاب أو القيامة وهذا لأن الإتيان متشابه وإتيان أمره منصوص عليه محكم فيرد إليه (أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ) أى أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك (يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا) لأنه ليس بإيمان اختيارى بل هو إيمان دفع العذاب والبأس عن أنفسهم (لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ) صفة نفسا (أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا) أى إخلاصا كما لا يقبل إيمان الكافر بعد طلوع الشمس من مغربها لا يقبل إخلاص المنافق أيضا أو توبته وتقديره لا ينفع إيمان من لم يؤمن ولا توبة من لم يتب قبل (قُلِ انتَظِرُوٓا) إحدى الآيات الثلاث (إِنَّا مُنتَظِرُونَ) بكم إحداها (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ) اختلفوا فيه وصاروا فرقا كما اختلفت اليهود والنصارى وفى الحديث «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وهى الناجية ، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وتفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى الهاوية إلا واحدة وهى السواد الأعظم» وفى رواية «وهى ما أنا عليه وأصحابى» وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض. فارقوا دينهم حمزة وعلى أى تركوا (وَكَانُوا شِيَعًا) فرقا كل فرقة تشيع إماما لها (لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ) أى من السؤال عنهم وعن تفرقهم أو من عقابهم (إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فيجازيهم على ذلك (مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا) تقديره عشر حسنات أمثالها إلا أنه أقيم صفة الجنس المميزة مقام الموصوف (وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) بنقص الثواب وزيادة العقاب (قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ) ربىَ أبو عمرو ومدنى (إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا) نصب على البدل من محل إلى صراط مستقيم لأن معناه هدانى صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما (قِيَمًا) قيِّما فيعل من قام كسيد من ساد وهو أبلغ من القائم قيما كوفى وشامى وهو مصدر بمعنى القيام وصف به (مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ) عطف بيان (حَنِيفًا) حال من إبراهيم (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بالله يامعشر قريش (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى) أى عبادتى ، والناسك العابد أو ذبحى أو حجى (وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى) وما أتيته فى حياتى وأموت عليه من الإيمان والعمل

(لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ) خالصة لوجهه. محياى ومماتى بسكون الياء الأول وفتح الثانى مدنى وبعكسه غيره (لَا شَرِيكَ لَهُ) فى شىء من ذلك (وَبِذَٰلِكَ) الإخلاص (أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) لأن إسلام كل نبى متقدم على إسلام أمته (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا) جواب عن دعائهم له إلى عبادة آلهتهم والهمزة للإنكار أى منكر أن أطلب ربا غيره وتقديم المفعول للإشعار بأنه أهم (وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) وكل من دونه مربوب ليس فى الوجود من له الربوبية غيره (وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أى لا تؤخذ نفس آثمة بذنب نفس أخرى (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) من الأديان التى فرقتموها (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ) لأن محمدا ﷺ خاتم النبيين فأمته قد خلفت سائر الأمم أو لأن بعضهم يخلف بعضا أو هم خلفاء الله فى أرضه يملكونها ويتصرفون فيها (وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ) فى الشرف والرزق وغير ذلك (دَرَجَٰتٍ) مفعول ثان أو التقدير إلى درجات أوهى واقعة موقع المصدر كأنه قيل رفعة بعد رفعة (لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ) فيما أعطاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والغنى بالفقير والمالك بالمملوك (إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ) لمن كفر (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) لمن قام بشكرها، ووصف العقاب بالسرعة لأن ما هو آت قريب وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب عن النبى ﷺ «من قرأ ثلاث آيات من أول الأنعام حين يصبح وكل الله تعالى به سبعين ألف ملك يحفظونه وكتب له مثل أعمالهم إلى يوم القيامة».

﴿ سورة الأعراف مكية وهى مائتان وخمس آيات بصرى وست كوفى ومدنى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓمٓصٓ) قال الزجاج المختار فى تفسيره ماقال ابن عباس رضى الله عنهما: أنا الله أعلم وأفصل (كِتَـٰبٌ) خبرمبتدأ محذوف أىهو كتاب (أُنزِلَ إِلَيْكَ) صفته والمراد بالكتاب السورة (فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ) شك فيه وسمى الشك حرجا لأن الشاك ضيق الصدر حرجه كما أن المتيقن منشرح الصدر منفسحه أى لاشك فى أنه منزل من الله أو حرج منه بتبليغه لأنه كان يخاف قومه وتكذيبهم له وإعراضهم عنه وأذاهم فكان يضيق صدره من الأذى ولا ينشط له فأمنه الله ونهاه عن المبالاة بهم والنهى متوجه إلى الحرج وفيه من المبالغة مافيه والفاء للعطف أى هذا الكتاب أنزلته إليك فلا يكن بعد إنزاله حرج فى صدرك واللام فى (لِتُنذِرَ بِهِۦ) متعلق بأنزل أى أنزل إليك لإنذارك به أو بالنهى لأنه إذا لم يخفهم أنذرهم وكذا إذا أيقن أنه من عند الله شجعه اليقين على الإنذار به لأن صاحب اليقين جسور متوكل على ربه (وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) فى محل النصب بإضمار فعلها أى لتنذر به وتذكر تذكيرا فالذكرى اسم بمعنى التذكير أوالرفع بالعطف على كتاب أىهو كتاب وذكرى للمؤمنين أو بأنه خبر مبتدأ محذوف أو الجر بالعطف على محل لتنذر أى للإنذار وللذكرى (اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ) أى القرآن والسنة (وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِۦ) من دون الله (أَوْلِيَآءَ) أى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والإنس فيحملوكم على عبادة الأوثان والأهواء والبدع (قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقليلا نصب بتذكرون أى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة تتذكرون شامى (وَكَم) مبتدأ (مِّن قَرْيَةٍ) تبيين والخبر (أَهْلَكْنَـٰهَا) أى أردنا إهلاكها كقوله إذا قمتم إلى الصلاة (فَجَآءَهَا) جاء أهلها (بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَـٰتًا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا (أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ) حال معطوفة على بياتا كأنه قيل فجاءهم بأسنا بائتين أو قائلين وإنما قيل هم قائلون بلا واو ولا يقال جاءنى زيد هوفارس بغير واو لأنه لما عطف على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفى عطف لأن واو الحال هى واو العطف استعيرت للوصل وخص

هذان الوقتان لأنهما وقتا الغفلة فيكون نزول العذاب فيما أشد وأفظع. وقوم لوط عليه السلام أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب عليه السلام وقت القيلولة وقيل بياتا ليلا أى ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون (فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ) دعاؤهم وتضرعهم (إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ) لما جاءهم أوائل العذاب (إِلَّآ أَن قَالُوٓا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ) اعترفوا بالظلم على أنفسهم والشرك حين لم ينفعهم ذلك ودعواهم اسم كان وأن قالوا الخبر ويجوز العكس (فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ) أرسل مسند إلى إليهم أى فلنسألن المرسل إليهم وهم الأمم عما أجابوا به رسلهم (وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ) عما أجيبوا به (فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم) على الرسل والمرسل إليهم ما كان منهم (بِعِلْمٍ) عالمين بأحوالهم الظاهرة والباطنة وأقوالهم وأفعالهم (وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ) عنهم وعما وجد منهم ومعنى السؤال التوبيخ والتقريع والتقرير إذا فاهوا بألسنتهم وشهد عليهم أنبياؤهم (وَٱلْوَزْنُ) أى وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها وهو مبتدأ وخبره (يَوْمَئِذٍ) أى يوم يسأل الله الأمم ورسلهم فحذفت الجملة وعوض عنها التنوين (ٱلْحَقُّ) أى العدل صفته ثم قيل توزن صحف الأعمال بميزان له لسان وكفتان إظهاراً للنصفة وقطعا للمعذرة وقيل هو عبارة عن القضاء السوى والحكم العادل والله أعلم بكيفيته (فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ) جمع ميزان أو موزون أى فمن رجحت أعماله الموزونة التى لها وزن وقدر وهى الحسنات أو ما توزن به حسناتهم (فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ) هم الكفار فإنه لا إيمان لهم ليعتبر معه عمل فلا يكون فى ميزانهم خير فتخف موازينهم (فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ) يجحدون فالآيات الحجج والظلم بها وضعها فى غير موضعها أى جحودها وترك الانقياد لها (وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ) جعلنا لكم فيها مكانا وقراراً أو مكنا كم فيها وأقدرناكم على التصرف فيها (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ) جمع معيشة وهى ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها والوجه تصريح الياء لأنها أصلية بخلاف صحائف فالياء فيها زائدة وعن نافع أنه همز تشبيها بصحائف (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) مثل قليلا ما تذكرون (وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ) أى خلقنا أباكم آدم عليه السلام طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك دليله (ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ) ممن سجد لآدم عليه السلام (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ) ما رفع أى أى شىء

منعك من السجود ولا زائدة بدليل ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى ومثلها لئلا يعلم أهل الكتاب أى ليعلم (إِذْ أَمَرْتُكَ) فيه دليل على أن الأمر للوجوب والسؤال عن المانع من السجود مع علمه به للتوبيخ ولإظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره بأصله وتحقيره أصل آدم عليه السلام (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ) وهى جوهر نورانى (وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) وهو ظلمانى وقد أخطأ الخبيث بل الطين أفضل لرزانته ووقاره ومنه الحلم والحياء والصبر وذلك دعاه إلى التوبة والاستغفار وفى النار الطيش والحدة والترفع وذلك دعاه إلى الاستكبار والتراب عدة الممالك والنار عدة المهالك والنار مظنة الخيانة والإفناء والتراب مئنة الأمانة والإنماء والطين يطفىء النار ويتلفها والنار لا تتلفه وهذه فضائل غفل عنها إبليس حتى زل بفاسد من المقاييس . وقول نافى القياس أول من قاس ابليس قياس. على أن القياس عند مثبته مردود عند وجود النص وقياس إبليس عناد للأمر المنصوص. وكان الجواب لما منعك أن يقول منعنى كذا وإنما قال أنا خير منه لأنه قد استأنف قصة وأخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم عليه السلام وبعلة فضله عليه فعلم منها الجواب ـ كأنه قال منعنى من السجود فضلى عليه ـ وزيادة عليه وهى إنكار الأمر واستبعاد أن يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله إذ سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب (قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا) من الجنة أو من السماء لأنه كان فيها وهى مكان المطيعين والمتواضعين والفاء فى فاهبط جواب لقوله أنا خير منه أى إن كنت تتكبر فاهبط (فَمَا يَكُونُ لَكَ) فما يصح لك (أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا) وتعصى (فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّٰغِرِينَ) من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه يذمك كل إنسان ويلعنك كل لسان لتكبرك وبه علم أن الصغار لازم للاستكبار (قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أمهلنى إلى يوم البعث وهو وقت النفخة الأخيرة (قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ) إلى النفخة الأولى وإنما أجيب إلى ذلك لما فيه من الابتلاء وفيه تقريب لقلوب الأحباب أى هذا برىء بمن يسيئنى فكيف بمن يحبنى وإنما جسره على السؤال مع وجود الزلل منه فى الحال علمه بحلم ذى الجلال (قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى) أضللتنى أى فبسبب إغوائك إياى والباء تتعلق بفعل القسم المحذوف تقديره فسبب إغوائك أقسم أو تكون الباء للقسم أى فأقسم بإغوائك (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ الْمُسْتَقِيمَ) لأعترضن لهم على طريق الإسلام مترصدا للرد متعرضا للصد كما يتعرض العدو

على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقولك ضرب زيد الظهر أى على الظهر وعن طاوس أنه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل قدرى فقال له طاوس تقوم أو تقام فقام الرجل فقيل له أتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما أغويتنى وهو يقول أنا أغوى نفسى (ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ) أشككهم فى الآخرة (وَمِنْ خَلْفِهِمْ) أرغبهم فى الدنيا (وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ) من قبل الحسنات (وَعَن شَمَآئِلِهِمْ) من قبل السيئات وهو جمع شمال يعنى ثم لآتينهم من الجهات الأربع التى يأتى منها العدو فى الأغلب وعن شقيق ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعة مراصد من بين يدى فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا. ومن خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فاقرأ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها وعن يمينى فيأتينى من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وعن شمالى فيأتينى من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون ولم يقل من فوقهم ومن تحتهم لمكان الرحمة والسجدة وقال فى الأولين من لابتداء الغاية وفى الأخيرين عن لأن عن تدل على الانحراف (وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ) مؤمنين قاله ظنا فأصاب لقوله ولقد صدّق عليهم إبليس ظنه أو سمعه من الملائكة بإخبار الله تعالى إياهم (قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا) من الجنة أو من السماء (مَذْءُومًا) معيبا من ذأمه إذا ذمه والذأم والذم العيب (مَّدْحُورًا) مطرودا مبعدا من رحمة الله واللام فى (لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ) موطئة للقسم وجوابه (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ) وهو ساد مسد جواب الشرط (مِنكُمْ) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب (أَجْمَعِينَ وَيَـٰٓـَٔادَمُ) وقلنا يا آدم بعد إخراج إبليس من الجنة (اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ) اتخذها مسكنا (فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا) فتصيرا (مِنَ الظَّـٰلِمِينَ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَـٰنُ) وسوس إذا تكلم كلاما خفيا يكرره وهو غير متئد ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذى يلقى إليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه (لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَاتِهِمَا) ليكشف لهما

ماستر عنهما من عوراتهما وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستقبحا فى الطباع والعقول. فإن قلت ماللواو المضمومة فى وورى لم تقلب همزة كما فى أويصل تصغير واصل وأصله وويصل فقلبت الواو همزة كراهة لاجتماع الواوين قلت لأن الثانية مدة كألف وارى فكما لم يجب همزها فى واعد لم يجب فى وورى وهذا لأن الواوين إذا تحركتا ظهر فيهما من الثقل مالا يكون فيهما إذا كانت الثانية ساكنة وهذامدرك بالضرورة فالتزموا إبدالها فى موضع الثقل لافى غيره وقرأ عبدالله أورى بالقلب (وَقَالَ مَا نَهَـٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ) إلا كراهة أن تكونا ملكين تعلمان الخير والشر وتستغنيان عن الغذاء وقرئ مِلكين لقوله وملك لا يبلى (أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَـٰلِدِينَ) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين (وَقَاسَمَهُمَآ) وأقسم لهما (إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ النَّـٰصِحِينَ) وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه لما كان منه القسم ومنهما التصديق فكأنها من اثنين (فَدَلَّـٰهُمَا) فنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بِغُرُورٍ) بما غرهما به من القسم بالله وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضى الله عنهما من خدعنا بالله انخدعنا له (فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ) وجداطعمها آخذين فى الأكل منها وهى السنبلة أوالكرم (بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا) ظهرت لهما عوراتهما لتهافت اللباس عنهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وقيل كان لباسهما من جنس الأظفار أى كالظفر بياضا فى غاية اللطف واللين فبقى عند الأظفار تذكيرا للنعم وتجديدا للندم (وَطَفِقَا) وجعلا يقال طفق يفعل كذا أى جعل (يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ) يجعلان على عورتهما من ورق التين أو الموز ورقة فوق ورقة ليستترا بها كما تخصف النعل (وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ) هذا عتاب من الله وتنبيه على الخطأ وروى أنه قال لآدم عليه السلام ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى ولكن ماظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا بكد يمين وعرق جبين فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد ودرس وذرى وطحن وعجن وخبز (وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ الشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ) فيه دليل لنا على المعتزلة لأن الصغائر عندهم مغفورة (قَالَ اهْبِطُوا)

الخطاب لآدم وحواء بلفظ الجمع لأن إبليس هبط من قبل ويحتمل أنه هبط إلى السماء ثم هبطوا جميعا إلى الأرض (بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ) فى موضع الحال أى متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه (وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ) استقرار أو موضع استقرار (وَمَتَاعٌ) وانتفاع بعيش (إِلَىٰ حِينٍ) إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم عليه السلام وحضرته الوفاة وأحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربى فإنما أصابنى ما أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له قبرا ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده (قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ) فى الأرض (وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ) للثواب والعقاب تَخرجون حمزة وعلى (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا) جعل ما فى الأرض منزلا من السماء لأن أصله من الماء وهو منها (يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ) يستر عوراتكم (وَرِيشًا) لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوءاتكم ولباسا يزينكم (وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ) ولباس الورع الذى يقى العقاب وهو مبتدأ وخبره الجملة وهى (ذَٰلِكَ خَيْرٌ) كأنه قيل ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر أو ذلك صفة للمبتدأ وخير خبر المبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير أو لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أى وهو لباس التقوى أى ستر العورة لباس المتقين ثم قال ذلك خير وقيل ولباس أهل التقوى من الصوف والخشن ولباسَ التقوى مدنى وشامى وعلى عطفا على لباسا أى وأنزلنا عليكم لباس التقوى (ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى إنزال اللباس (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوءات وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما فى العرى من الفضيحة وإشعارا بأن التستر من التقوى (يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ) لا يخدعنكم ولا يضلنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما فتن أبويكم بأن أخرجهما منها (يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا) حال أى أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا فى أن نزع عنهما والنهى فى الظاهر للشيطان وفى المعنى لبنى آدم

أى لا تتبعوا الشيطان فيفتنكم (لِيُرِيَهُمَا سَوْءآتِهِمَآ) عوراتهما (إِنَّهُ) الضمير للشأن والحديث (يَرٰكُمْ هُوَ) تعديل للنهى وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجى يكيدكم من حيث لا تشعرون (وَقَبِيلُهُ) وذريته أو وجنوده من الشياطين وهو عطف على الضمير فى يراكم المؤكد بهو ولم يعطف عليه لأن معمول الفعل هو المستكن دون هذا البارز وإنما يعطف على ما هو معمول الفعل (مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ) قال ذو النون إن كان هو يراك من حيث لاتراه فاستعن بمن يراه من حيث لايراه وهو الله الكريم الستار الرحيم الغفار(إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) فيه دلالة خلق الأفعال (وَإِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً) مايبالغ فى قبحه من الذنوب وهوطوافهم بالبيت عراة وشركهم (قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا) أى إذافعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوايفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها حيث أقرنا عليها إذ لو كرهها لنقلنا عنها وهما باطلان لأن أحدهما تقليد للجهال والثانى افتراء على ذى الجلال (قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَآءِ) إذ المأمور به لابد أن يكون حسنا وإن كان فيه على مراتب على ماعرف فى أصول الفقه (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ) استفهام إنكار وتوبيخ (قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِالْقِسْطِ) بالعدل وبما هو حسن عند كل عاقل فكيف يأمر بالفحشاء (وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) وقل أقيموا وجوهكم أى اقصدواعبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها فى كل وقت سجود أو فى كل مكان سجود (وَادْعُوهُ) واعبدوه(مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ)أى الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا(كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ) كما أنشأكم ابتداء يعيدكم، احتج عليه فى إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة (فَرِيقًا هَدَىٰ) وهم المسلمون (وَفَرِيقًا) أى أضل فريقا (حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ) وهم الكافرون (إِنَّهُمُ) إن الفريق الذين حق عليهم الضلالة (اتَّخَذُوا الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ) أى أنصارا (وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ) والآية حجة لنا على أهل الاعتزال فى الهداية والإضلال (يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ) لباس زينتكم (عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) كلما صليتم وقيل الزينة المشط والطيب ، والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئاته للصلاة لأن الصلاة مناجاة الرب فيستحب لها التزين والتعطر كما يجب التستر والتطهر (وَكُلُوا) من اللحم والدسم (وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوٓا) بالشروع فى الحرام أو فى مجاوزة الشبع (إِنَّهُ

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ) وعن ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت واشرب ماشئت والبس ماشئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وكان للرشيد طبيب نصرانى حاذق فقال لعلىّ بن الحسين بن واقد ليس فى كتابكم من علم الطب شىء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له علىّ قد جمع الله الطب كله فى نصف آية من كتابه وهو قوله وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصرانى ولم يرو عن رسولكم شىء فى الطب فقال قد جمع رسولنا الطب فى ألفاظ يسيرة وهى قوله عليه السلام «المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ماعودته» فقال النصرانى ماترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا ثم استفهم إنكارا على محرم الحلال بقوله (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ) من الثياب وكل مايتجمل به (الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) أى أصلها يعنى القطن من الأرض والقز من الدود (وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ الرِّزْقِ) والمستلذات من المآكل والمشارب وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها (خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) لا يشركهم فيها أحد ولم يقل للذين آمنوا ولغيرهم لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الأصالة والكفار تبع لهم. خالصة بالرفع نافع فهى مبتدأ خبره للذين آمنوا وفى الحياة الدنيا ظرف للخبر أو خالصة خبر ثان أو خبر مبتدأ محذوف أى هى خالصة، وغيره نصبها على الحال من الضمير الذى فى الظرف الذى هو الخبر أى هى ثابتة للذين آمنوا فى الحياة الدنيا فى حال خلوصها يوم القيامة (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ) نميز الحلال من الحرام (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) أنه لا شريك له (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَٰحِشَ) ربى حمزة الفواحش ماتفاحش قبحه أى تزايد (مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ) سرها وعلانيتها (وَالْإِثْمَ) أى شرب الخمر أو كل ذنب (وَالْبَغْىَ) والظلم والكبر (بِغَيْرِ الْحَقِّ) متعلق بالبغى ومحل (وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَٰنًا) حجة النصب كأنه قال حرم الفواحش وحرم الشرك ينزل بالتخفيف مكى وبصرى وفيه تهكم إذ لايجوز أن ينزل برهانا على أن يشرك به غيره (وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَالَا تَعْلَمُونَ) وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ) وقت معين يأتيهم فيه عذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا وهو وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل

فى أجل معلوم عند الله كما نزل بالأمم (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) قيد بساعة لأنها أقل ما يستعمل فى الإمهال (يَٰبَنِي ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ) هى إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط لأن ما للشرط ولذا لزمت فعلها النون الثقيلة أو الخفيفة (رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي) يقرءون عليكم كتبي وهو فى موضع رفع صفة لرسل وجواب الشرط (فَمَنِ اتَّقَىٰ) الشرك (وَأَصْلَحَ) العمل منكم (فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) أصلا فلا خوف يعقوب (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا) منكم (بِئَايَٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا) تعظموا عن الإيمان بها (أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ) فمن أشنع ظلما (مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِئَايَٰتِهِ) ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب ماقاله (أُوْلَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَٰبِ) ما كتب لهم من الأرزاق والأعمار (حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُم رُسُلُنَا) ملك الموت وأعوانه وحتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له وهى حتى التى يبتدأ بعدها الكلام والكلام هنا الجملة الشرطية وهى إذا جاءتهم رسلنا (يَتَوَفَّوْنَهُمْ) يقبضون أرواحهم وهو حال من الرسل أى متوفيهم وما فى (قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ) فى خط المصحف موصولة بأين وحقها أن تكتب مفصولة لأنها موصولة والمعنى أين الآلهة الذين تعبدون (مِن دُونِ اللهِ) ليذبوا عنكم (قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا) غابوا عنا فلا نراهم (وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ) اعترفوا بكفرهم بلفظ الشهادة التى هى لتحقيق الخبر (قَالَ ادْخُلُوا) أى يقول الله تعالى يوم القيامة لهؤلاء الكفار ادخلوا (فِيٓ أُمَمٍ) فى موضع الحال أى كائنين فى جملة أمم مصاحبين لهم (قَدْ خَلَتْ) مضت (مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) من كفار الجن والإنس (فِي النَّارِ) متعلق بادخلوا (كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ) النار (لَّعَنَتْ أُخْتَهَا) شكلها فى الدين أى التى ضلت بالاقتداء بها (حَتَّىٰٓ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا) أصله تداركوا أى تلاحقوا واجتمعوا فى النار فأبدلت التاء دالا وسكنت للإدغام ثم أدخلت همزة الوصل (جَمِيعًا) حال (قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ) منزلة وهى الأتباع والسفلة (لِأُولَىٰهُمْ) منزلة وهى القادة والرءوس ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لامعهم (رَبَّنَا) ياربنا (هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا) مضاعفا (مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ) للقادة بالغواية والإغواء وللأتباع بالكفر والاقتداء (وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ)

مالكل فريق منكم من العذاب. لايعلمون أبو بكر أى لايعلم كل فريق مقدار عذاب الفريق الآخر (وَقَالَتْ أُولَٰهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت أن لافضل لكم علينا وأنا متساوون فى استحقاق الضعف (فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) بكسبكم وكفركم وهو من قول القادة للسفلة ولاوقف على فضل أو من قول الله لهم جميعاً والوقف على فضل (إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ السَّمَآءِ) أى لايؤذن لهم فى صعود السماء ليدخلوا الجنة إذهى فى السماء أو لايصعد لهم عمل صالح ولا تنزل عليهم البركة أو لاتصعد أرواحهم إذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين إلى السماء ، وبالتاء مع التخفيف أبو عمرو وبالياء معه حمزة وعلى (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِى سَمِّ الْخِيَاطِ) حتى يدخل البعير فى ثقب الإبرة أى لا يدخلون الجنة أبداً لأنه علقه بما لايكون والخياط والمخيط مايخاط به وهو الإبرة (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك الجزاء الفظيع الذى وصفنا (نَجْزِى الْمُجْرِمِينَ)أى الكافرين بدلالة التكذيب بآيات الله والاستكبار عنها (لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ) فراش (وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ) أغطية جمع غاشية (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الظَّٰلِمِينَ) أنفسهم بالكفر (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ) طاقتها والتكليف إلزام مافيه كلفة أى مشقة (أُولَٰئِكَ) مبتدأ والخبر (أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ) والجملة خبر الذين، ولانكلف نفساً إلا وسعها اعتراض بين المبتدأ والخبر (هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) حقد كان بينهم فى الدنيا فلم يبق بينهم إلا التواد والتعاطف وعن على رضى الله عنه إنى لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ) حال من هم فى صدورهم والعامل فيها معنى الإضافة (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا) لما هو وسيلة إلى هذا الفوز العظيم وهو الإيمان (وَمَا كُنَّا) ما كنا بغير واو شامى على أنها جملة موضحة للأولى (لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا اللَّهُ) اللام لتوكيد النفى أى وما كان يصح أن نكون مهتدين لولا هداية الله وجواب لولا محذوف دل عليه ماقبله (لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) فكان لطفا لنا وتنبيها على الاهتداء فاهدينا يقولون ذلك سرورا بما نالوا وإظهارا لما اعتقدوا (وَنُودُوٓا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ) أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف والجملة بعدها

خبرها تقديره ونودوا بأنه تلكم الجنة والهاء ضمير الشأن أو بمعنى أى كأنه قيل لهم تلكم الجنة (أُورِثْتُمُوهَا) أعطيتموها وهو حال من الجنة والعامل فيها ما فى تلك من معنى الإشارة (بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) سماها ميراثا لأنها لاتستحق بالعمل بل هى محض فضل الله وعده على الطاعات كالميراث من الميت ليس بعوض عن شيء بل هو صلة خالصة. وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله إن المعتزلة خالفوا الله فيما أخبر ونوحاً عليه السلام وأهل الجنة والنار وإبليس لأنه قال الله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وقال نوح عليه السلام: ولا ينفعكم نصحى إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم. وقال أهل الجنة: وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله. وقال أهل النار: لو هدانا الله لهدينا كم. وقال إبليس: فبما أغويتنى (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا) أن مخففة من الثقيلة أو مفسرة وكذلك أن لعنة الله على الظالمين (مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا) من الثواب (حَقًّا) حال (فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ) من العذاب (حَقًّا) وتقديره وعدكم ربكم فحذف كم لدلالة وعدنا ربنا عليه وإنما قالوا لهم ذلك شماتة بأصحاب النار واعترافا بنعم الله تعالى (قَالُوا نَعَمْ) وبكسر العين حيث كان على (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ) نادى مناد وهو ملك يسمع أهل الجنة والنار (أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ) أنّ لعنةَ مكى وشامى وحمزة وعلى (الَّذِينَ يَصُدُّونَ) يمنعون (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) مفعول ثان ليبغون أى ويطلبون لها الاعوجاج والتناقض (وَهُم بِالْآخِرَةِ) بالدار الآخرة (كَافِرُونَ وَبَيْنَهُمَا) وبين الجنه والنار أو بين الفريقين (حِجَابٌ) وهو السور المذكور فى قوله: فضرب بينهم بسور (وَعَلَى الْأَعْرَافِ) على أعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهى أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رِجَالٌ) من أفاضل المسلمين أو من آخرهم دخولا فى الجنة لاستواء حسناتهم وسيآتهم أو من لم يرض عنه أحد أبويه أو أطفال المشركين (يَعْرِفُونَ كُلًّا) من زمرة السعداء والأشقياء (بِسِيمَاهُمْ) بعلامتهم قيل سيما المؤمنين بياض الوجوه ونضارتها وسيما الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون (وَنَادَوْا) أى أصحاب الأعراف (أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) أنه سلام أو أى سلام وهو تهنئة منهم لأهل الجنة (لَمْ يَدْخُلُوهَا) أى أصحاب الأعراف ولا محل له لأنه استئناف كأن سائلا سأل أصحاب الأعراف فقيل لم يدخلوها

(وَهُمْ يَطْمَعُونَ) فى دخولها أوله محل وهو صفة لرجال (وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ) أبصار أصحاب الأعراف وفيه أن صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا (تِلْقَآءَ) ظرف أى ناحية (أَصْحَابِ النَّارِ) ورأوا ماهم فيه من العذاب (قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فاستعاذوا بالله وفزعوا إلى رحمته أن لا يجعلهم معهم (وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا) من رءوس الكفرة (يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ) المال أو كثرتكم واجتماعكم ومانافية (وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ) واستكباركم على الحق وعلى الناس ثم يقولون لهم (أَهَٰؤُلَاءِ) مبتدأ (الَّذِينَ) خبر مبتدأ مضمر تقديره أهؤلاء هم الذين (أَقْسَمْتُمْ) حلفتم فى الدنيا والمشار إليهم فقراء المؤمنين كصهيب وسلمان ونحوهما (لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ) جواب أقسمتم وهو داخل فى صلة الذين تقديره أقسمتم عليهم بأن لا ينالهم الله برحمة أى لا يدخلهم الجنة يحتقرونهم لفقرهم فيقال لأصحاب الأعراف (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ) وذلك بعد أن نظروا إلى الفريقين وعرفوهم بسيماهم وقالوا ماقالوا (لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) أن مفسرة وفيه دليل على أن الجنة فوق النار (أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) من غيره من الأشربة لدخوله فى حكم الإفاضة أو أريد أو ألقوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبناً وماءاً بارداً * أى وسقيتها وإنما سألوا ذلك مع يأسهم عن الإجابة لأن المتحير ينطق بما يفيد وبما لا يفيد (قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) هو تحريم منع كما فى وحرمنا عليه المراضع وتقف هنا إن رفعت أو نصبت مابعده ذما وإن جررته وصفاً للكافرين فلا (الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا) فحرموا وأحلوا ماشاءوا أو دينهم عيدهم (وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) اغتروا بطول البقاء (فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ) نتركهم فى العذاب (كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) أى كنسيانهم وجحودهم (وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ) ميزنا حلاله وحرامه ومواعظه وقصصه (عَلَىٰ عِلْمٍ) عالمين بكيفية تفصيل أحكامه (هُدًى وَرَحْمَةً) حال من منصوب فصلناه كما أن على علم حال من مرفوعه (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ هَلْ يَنظُرُونَ) ينتظرون (إِلَّا تَأْوِيلَهُ) إلا عاقبة أمره وما يؤول إليه من تبين صدقه وظهور صحة مانطق به من الوعد

والوعيد (يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ) تركوه وأعرضوا عنه (قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ) أى تبين وصح أنهم جاءوا بالحق فأقروا حين لاينفعهم (فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ) جواب الاستفهام (أَوْ نُرَدُّ) جملة معطوفة على الجملة قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كأنه قيل فهل لنا من شفعاء أوهل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كقولك ابتداء هل يضرب زيد أو عطف على تقدير هل يشفع لنا شافع أوهل نرد (فَنَعْمَلَ) جواب الاستفهام أيضا (غَيْرَ الَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوآ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) ماكانوا يعبدونه من الأصنام (إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) أراد السموات والأرض ومابينهما وقد فصلها فى حم السجدة أى من الأحد إلى الجمعه لاعتبار الملائكة شيئا فشيئا وللإعلام بالتأنى فى الأمور ولأن لكل عمل يوما ولأن إنشاء شىء بعد شىء أدل على عالم مدبر مريد يصرّفه على اختياره ويجريه على مشيئته (ثُمَّ اسْتَوَىٰ) استولى (عَلَى الْعَرْشِ) أضاف الاستيلاء إلى العرش وإن كان سبحانه وتعالى مستوليا على جميع المخلوقات لأن العرش أعظمها وأعلاها وتفسير العرش بالسرير والاستواء بالاستقرار كما تقوله المشبهة باطل لأنه تعالى كان قبل العرش ولا مكان وهو الآن كما كان لأن التغير من صفات الأكوان والمنقول عن الصادق والحسن وأبى حنيفة ومالك رضى الله عنهم أن الاستواء معلوم والتكييف فيه مجهول والإيمان به واجب والجحود له كفر والسؤال عنه بدعة (يُغْشِى الَّيْلَ النَّهَارَ) يغشّى حمزة وعلى وأبو بكر أى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل (يَطْلُبُهُ حَثِيثاً) حال من الليل أى سريعا والطالب هو الليل كأنه لسرعة مضيه يطلب النهار (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ) أى وخلق الشمس والقمر والنجوم (مُسَخَّرَاتٍ) حال أى مذللات والشمس والقمر والنجوم مسخراتٌ شامى والشمس مبتدأ والبقية معطوفة عليها والخبر مسخرات (بِأَمْرِهِ) هو أمر تكوين ولماذكر أنه خلقهن مسخرات بأمره قال (أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ) أى هو الذى خلق الأشياء وله الأمر (تَبَارَكَ اللهُ) كثر خيره أو دام بره من البركة النماء أو من البروك الثبات ومنه البركة (رَبُّ الْعَٰلَمِينَ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً) نصب على الحال أى ذوى تضرع وخفية والتضرع تفعل من الضراعة وهى الذل أى تذللا وتملقا. قال عليه السلام «إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا إنه معكم

أينما كنتم» عن الحسن بين دعوة السر والعلانية سبعون ضعفا (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) المجاوزين ما أمروا به فى كل شىء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج الرافعين أصواتهم بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الإسهاب فى الدعاء وعن النبى ﷺ «سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرّب إليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل» ثم قرأ إنه لا يحب المعتدين (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) أى بالمعصية بعد الطاعة أوبالشرك بعد التوحيد أو بالظلم بعد العدل (وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا) حالان أى خائفين من الرد طامعين فى الإجابة أومن النيران وفى الجنان أو من الفراق وفى التلاق أو من غيب العاقبة وفى ظاهر الهداية أو من العدل وفى الفضل (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) ذكر قريب على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو لأنه صفة موصوف محذوف أى شىء قريب أو على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيق أو للإضافة إلى المذكر (وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ) الريح مكى وحمزة وعلى (بُشْرًا) نشرا حمزة وعلى مصدر نشر وانتصابه إما لأن أرسل ونشر متقاربان فكأنه قيل نشرها نشرا وإما على الحال أى منشورات بشرا عاصم تخفيف بشرا جمع بشير لأن الرياح تبشر بالمطر نشرا شامى تخفيف نشر كرسل ورسل وهو قراءة الباقين جمع نشور أى ناشرة للمطر (بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) أمام نعمته وهو الغيث الذى هو من أجلّ النعم (حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ) حملت ورفعت واشتقاق الإقلال من القلة لأن الرافع المطيق يرى ما يرفعه قليلا (سَحَابًا ثِقَالًا) بالماء جمع سحابة (سُقْنَاهُ) الضمير للسحاب على اللفظ ولو حمل على المعنى كالثقال لأنث كالوحمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ) ـميت ـلأجل بلد ليس فيه مطر ولسقيه ميّت مدنى وحمزة وعلى وحفص (فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ) بالسحاب أو بالسوق وكذلك (فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الإخراج وهو إخراج الثمرات (نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) فيؤديكم التذكر إلى الإيمان بالبعث إذ لا فرق بين الإخراجين لأن كل واحد منهما إعادة الشىء بعد إنشائه (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ) الأرض الطيبة التراب (يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ) بتيسيره وهو موضع الحال كأنه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لأنه واقع فى مقابلة نكدا (وَالَّذِي خَبُثَ) صفة للبلد أى والبلد الخبيث (لَا

يُخْرُجُ) أى نباته فحذف للاكتفاء (إِلاَّ نَكِدًا) هو الذى لاخير فيه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ وهو المؤمن ولمن لا يؤثر فيه شيء من ذلك وهو الكافر وهذا التمثيل واقع على أثرذكر مثل المطر وإنزاله بالبلد الميت وإخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التصريف (نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ) نرددها ونكررها (لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ) نعمة الله وهم المؤمنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها (لَقَدْ أَرْسَلْنَا) جواب قسم محذوف أى والله لقد أرسلنا (نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ) أرسل وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو اسم إدريس عليه السلام (فَقَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) غيره على فالرفع على المحل كأنه قيل مالكم إله غيره فلا تعبدوا معه غيره والجر على اللفظ (إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) يوم القيامة أو يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (قَالَ ٱلْمَلَأُ) أى الأشراف والسادة (مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ) أى بين فى ذهاب عن طريق الصواب، والرؤية رؤية القلب (قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ) ولم يقل ضلال كما قالوا لأن الضلالة أخص من الضلال فكانت أبلغ فى نفى الضلال عن نفسه كأنه قال ليس بى شيء من الضلال ثم استدرك لتأكيد نفى الضلالة فقال (وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) لأن كونه رسولا من الله مبلغا لرسالاته فى معنى كونه على الصراط المستقيم فكان فى الغاية القصوى من الهدى (أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى) ما أوحى إلى فى الأوقات المتطاولة أو فى المعانى المختلفة من الأوامر والنواهى والمواعظ والبشائر والنظائر أبلغكم أبو عمرو وهو كلام مستأنف بيان لكونه رسول رب العالمين (وَأَنصَحُ لَكُمْ) وأقصد صلاحكم بإخلاص يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على إمحاض النصيحة وحقيقة النصح إرادة الخير لغيرك مما تريده لنفسك أوالنهاية فى صدق العناية (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ) أى من صفاته يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على أعدائه وأن بأسه لايرد عن القوم المجرمين (أَوَعَجِبْتُمْ) الهمزة للإنكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كأنه قيل أكذبتم وعجبتم (أَن جَآءَكُمْ) من أن جاءكم (ذِكْرٌ) موعظة (مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ) على لسان رجل منكم أى من جنسكم وذلك أنهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا فى آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء

ربنا لأنزل ملائكة (لِيُنذِرَكُمْ) ليحذركم عاقبة الكفر (وَلِتَتَّقُوا) ولتوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الإنذار (وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ولترحموا بالتقوى إن وجدت منكم (فَكَذَّبُوهُ) فنسبوه إلى الكذب (فَأَنجَيْنَهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ) وكانوا أربعين رجلا وأربعين امرأة وقيل تسعة: بنوه سام وحام ويافث، وستة ممن آمن به (فِى الْفُلْكِ) يتعلق بمعه كأنه قيل والذين صحبوه فى الفلك (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ) عن الحق يقال أعمى فى البصر وعمٍ فى البصيرة (وَإِلَىٰ عَادٍ) وأرسلنا إلى عاد وهو عطف على نوحا (أَخَاهُمْ) واحدا منهم من قولك ياأخا العرب للواحد منهم وإنما جعل واحدا منهم لأنهم عن رجل منهم أفهم فكانت الحجة عليهم ألزم (هُودًا) عطف بيان لأخاهم وهو هود بن شالخ ابن أرفخشد بن سام بن نوح (قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) وإنما لم يقل فقال كما فى قصة نوح عليه السلام لأنه على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ) وإنما وصف الملأ بالذين كفروا دون الملأ من قوم نوح لأن فى أشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد فأريدت التفرقة بالوصف ولم يكن فى أشراف قوم نوح عليه السلام مؤمن (إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك إلى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا مجازا يعنى أنه متمكن فيها غير منفك عنها (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ) فى ادعائك الرسالة (قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ) فيما أدعوكم إليه (أَمِينٌ) على ما أقول لكم وإنما قال هنا وأنا لكم ناصح أمين لقولهم وإنا لنظنك من الكاذبين أى ليقابل الاسم الاسم وفى إجابة الأنبياء عليهم السلام من ينسبهم إلى الضلالة والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والإغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بأن خصومهم أضل الناس وأسفههم أدب حسن وخلق عظيم وإخبار الله تعالى ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسلبون أذيالهم على ما يكون منهم (أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ) أى خلفتموهم

فى الأرض أوفى مساكنهم وإذمفعول بهوليس بظرف أى اذكروا وقت استخلافكم (وَزَادَكُمْ فِى الْخَلْقِ بَصْطَةً) طولا وامتدادا فكان أقصرهم ستين ذراعا وأطولهم مائة ذراع بصطة حجازى وعاصم وعلى (فَاذْكُرُوا ءَالَآءَ اللهِ) فى استخلافكم وبسطة أجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء إلى نحو إنى وآناء (لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ومعنى المجىء فى (قَالُوا أَجِئْتَنَا) أن يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله ﷺ بحراء قبل المبعث فلما أوحى إليه جاء قومه يدعوهم (لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا) أنكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الأصنام شركاء معه حبا لما نشئوا عليه (فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من العذاب (إِن كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ) أن العذاب نازل بنا (قَالَ قَدْ وَقَعَ) أى قد نزل (عَلَيْكُم) جعل المتوقع الذى لابد من نزوله بمنزلة الواقع كقولك لمن طلب إليك بعض المطالب قدكان (مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ) عذاب (وَغَضَبٌ) سخط (أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ) فى أشياء ماهى إلا أسماء ليس تحتها مسميات لأنكم تسمون الأصنام آلهة وهى خالية عن معنى الألوهية (أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ) حجة (فَانتَظِرُوٓا) نزول العذاب (إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) ذلك (فَأَنجَيْنَٰهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ) أى من آمن به (بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا) الدابر الأصل أوالكائن خلف الشىء وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم (وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ) فائدة نفى الإيمان عنهم مع إثبات التكذيب بآيات الله الإشعار بأن الهلاك خص المكذبين وقصتهم أن عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم أصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله إليهم هودا فكذبوه فأمسك القطر عنهم ثلاث سنين وكانوا إذا نزل بهم بلاء طلبوا إلى الله الفرج منه عند بيته الحرام فأوفدوا إليه قيل بن عنز ونعيم بن هزال ومرثد بن سعد وكان يكتم إيمانه بهود عليه السلام وأهل مكة إذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فنزلوا عليه بظاهر مكة فقال لهم مرثد لن تسقوا حتى تؤمنوا بهود فخلفوا مرثدا وخرجوا فقال قيل: اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فأنشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء ياقيل اختر لنفسك ولقومك فاختار السوداء على ظن أنها أكثر ماء فخرجت على عاد من واد لهم فاستبشروا

وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فأهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فأتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا (وَإِلَىٰ ثَمُودَ) وأرسلنا إلى ثمود وقرىء وإلى ثمودٍ بتأويل الحى أو باعتبار الأصل لأنه اسم أبيهم الأكبر ومنع الصرف بتأويل القبيلة وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام (أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) آية ظاهرة شاهدة على صحة نبوتى فكأنه قيل ماهذه البينة فقال (هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ) وهذه إضافة تخصيص وتعظيم لأنها بتكوينه تعالى بلا صلب ولا رحم (لَكُمْ ءَايَةً) حال من الناقة والعامل معنى الإشارة فى هذه كأنه قيل أشير إليها آية ولكم بيان لمن هى له آية وهى ثمود لأنهم عاينوها (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ اللَّهِ) أى الأرض أرض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى أرض ربها من نبات ربها فليس عليكم مؤنتها (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ) ولا تضربوها ولا تعقروها ولا تطردوها إكراما لآية الله (فَيَأْخُذَكُمْ) جواب النهى (عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوٓا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ) ونزلكم، والمباءة المنزل (فِى الْأَرْضِ) فى أرض الحجر بين الحجاز والشام (تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا) غرفا للصيف (وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا) للشتاء، وبيوتا حال مقدرة نحو خط هذا الثوب قميصا إذ الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب قميصا فى حال الخياطة (فَاذْكُرُوٓا ءَالَآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِى الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) روى أن عادا لما أهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوها فى الأرض وعمروا أعمارا طوالا فنحتوا البيوت من الجبال خشية الانهدام قبل الممات وكانوا فى سعة من العيش فعتوا على الله وأفسدوا فى الأرض وعبدوا الأوثان فبعث الله إليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من أوسطهم نسبا فدعاهم إلى الله فلم يتبعه إلا قليل منهم مستضعفون فأنذرهم فسألوه أن يخرج من صخرة بعينها ناقة عشراء فصلى ودعا ربه فتمخضت تمخض النتوج بولدها فخرجت منها ناقة كما شاءوا فآمن به جندع ورهط من قومه (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ) وقال شامى (لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار (لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ) بدل من الذين استضعفوا

بإعادة الجار وفيه دليل على أن البدل حيث جاء كان فى تقدير إعادة العامل والضمير فى منهم راجع إلى قومه وهو يدل على أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين أو إلى الذين استضعفوا وهو يدل على أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ) قالوه على سبيل السخرية (قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ) وإنما صار هذا جوابا لهم لأنهم سألوهم عن العلم بإرساله فجعلوا إرساله أمرا معلوما مسلما كأنهم قالوا العلم بإرساله وبما أرسل به لاشبهة فيه وإنما الكلام فى وجوب الإيمان به فنخبركم أنا به مؤمنون (قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل به رداً لما جعله المؤمنون معلوما مسلما (فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ) أسند العقر إلى جميعهم وإن كان العاقر قدار بن سالف لأنه كان برضاهم وكان قدار أحمر أزرق قصيرا كما كان فرعون كذلك وقال عليه السلام «ياعلى أشقى الأولين عاقر ناقة صالح وأشقى الآخرين قاتلك» (وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ) وتولوا عنه واستكبروا وأمر ربهم ما أمر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تأكل فى أرض الله أوشأن ربهم وهو دينه (وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من العذاب (إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ) الصيحة التى زلزلت لها الأرض واضطربوا لها (فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ) فى بلادهم أو مساكنهم (جَٰثِمِينَ) ميتين قعودا يقال الناس جثم أى قعود لاحراك بهم ولا يتكلمون (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) لما عقروا الناقة (وَقَالَ يَٰقَوْمِ) عند فراقه إياهم (لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ) الآمرين بالهدى لاستحلاء الهوى والنصيحة منيحة تدرأ الفضيحة، ولكنها وخيمة تورث السخيمة روى أن عقرهم الناقة كان يوم الأربعاء فقال صالح تعيشون بعده ثلاثة أيام تصفر وجوهكم أول يوم وتحمر فى الثانى وتسود فى الثالث ويصيبكم العذاب فى الرابع وكان كذلك روى أنه خرج فى مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكى فلما علم أنهم هلكوا رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ) أى واذكر لوطا وإذ بدل منه (أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ) أتفعلون السيئة المتمادية فى القبح (مَا سَبَقَكُم بِهَا) ماعملها قبلكم والباء للتعدية ومنه قوله عليه السلام «سبقك بها عكاشة» (مِنْ أَحَدٍ) من زائدة لتأكيد النفى وإفادة معنى الاستغراق (مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) من للتبعيض وهذه جملة مستأنفة أنكر عليهم أولا بقوله أتأتون الفاحشة ثم وبخهم

عليهافقال أنتم أول من عملهاوقوله تعالى (إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ) ـ أئنكم لتأتون الرجال ـ بيان لقوله أتأتون الفاحشة والهمزة مثلها فى أتأتون للإنكار. إنكم على الإخبار مدنى وحفص يقال أتى المرأة إذا غشيها (شَهْوَةً) مفعول له أى للاشتهاء لا حامل لكم عليه إلا مجرد الشهوة ولا ذم أعظم منه لأنه وصف لهم بالبهيمية (مِّن دُونِ النِّسَآءِ) أى لا من النساء (بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التى توجب ارتكاب القبائح وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود فى كل شىء فمن ثم أسرفوا فى باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد (وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّآ أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ) أى لوطا ومن آمن معه يعنى ما أجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط من إنكار الفاحشة ووصفهم بصفة الإسراف الذى هو أصل الشر ولكنهم جاءوا بشىء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الأمر بإخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم (إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ) يدّعون الطهارة ويدعون فعلنا الخبيث عن ابن عباس رضى الله عنهما عابوهم بما يتمدح به (فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ) ومن يختص به من ذويه أو من المؤمنين (إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ) من الباقين فى العذاب، والتذكير لتغليب الذكور على الإناث وكانت كافرة موالية لأهل سدوم وروى أنها التفتت فأصابها حجر فماتت (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا) وأرسلنا عليهم نوعا من المطر عجيباً قالوا أمطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وأمطرت حجارة على مسافريهم وقال أبو عبيدة أمطر فى العذاب ومطر فى الرحمة (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ) وأرسلنا إلى مدين وهو اسم قبيلة (أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا أهل بخس للمكاييل والموازين (قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى معجزة وإن لم تذكر فى القرآن (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ) أتموهما والمراد فأوفوا الكيل ووزن الميزان أو يكون الميزان كالميعاد بمعنى المصدر (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ) ولا تنقصوا حقوقهم بتطفيف الكيل ونقصان الوزن وكانوا يبخسون الناس كل شىء فى مبايعتهم وبخس يتعدى إلى مفعولين وهما الناس وأشياءهم تقول بخست زيدا حقه أى نقصته إياه (وَلَا تُفْسِدُوا فِى الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا) بعد الإصلاح فيها أى

لاتفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الأنبياء والأولياء وإضافته كإضافة بل مكر الليل والنهار أى بل مكركم فى الليل والنهار (ذَٰلِكُمْ) إشارة إلى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزال وترك البخس والإفساد فى الأرض (خَيْرٌ لَّكُمْ) فى الإنسانية وحسن الأحدوثة (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) مصدقين لى فى قولى (وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ) بكل طريق(تُوعِدُونَ) من آمن بشعيب بالعذاب (وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) عن العبادة (مَنْ ءَامَنَ بِهِ) بالله وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وَتَبْغُونَهَا) وتطلبون لسبيل الله (عِوَجًا) أى تصفونها للناس بأنها سبيل معوجة غير مستقيمة لتمنعوهم عن سلوكها ومحل توعدون وماعطف عليه النصب على الحال أى لاتقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا) إذ مفعول به غير ظرف أى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فَكَثَّرَكُمْ) الله ووفر عددكم وقيل إن مدين بن إبراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا (وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) آخر أمر من أفسد قبلكم من الأمم كقوم نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام (وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا) فانتظروا (حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) أى بين الفريقين بأن ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله تعالى منهم أو هو حث للمؤمنين على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من المشركين إلى أن يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم أو هو خطاب للفريقين أى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار والكافرون على مايسوءهم من إيمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ) لأن حكمه حق وعدل لايخاف فيه الجور (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا) أى ليكونن أحد الأمرين إما إخراجكم وإما عودكم فى الكفر (قَالَ) شعيب (أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ) الهمزة للاستفهام والواو للحال تقديره أتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين قالوا نعم ثم قال شعيب (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم) وهو قسم على تقدير حذف اللام أى والله لقد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم (بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا اللَّهُ مِنْهَا) خلصنا الله فإن قلت كيف قال شعيب إن عدنا فى ملتكم والكفر على الأنبياء

عليهم السلام محال قلت أراد عود قومه إلا أنه نظم نفسه في جملتهم وإن كان بريئاً من ذلك إجراء لكلامه على حكم التغليب (وَمَا يَكُونُ لَنَآ) وما ينبغي لنا وما يصح (أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللهُ رَبُّنَا) إلا أن يكون سبق في مشيئته أن نعود فيها إذ الكائنات كلها بمشيئة الله تعالى خيرها وشرها (وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً) تمييز أي هو عالم بكل شيء فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم كيف تتقلب (عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا) في أن يثبتنا على الإيمان ويوفقنا لازدياد الإيقان (رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ) أي احكم والفتاحة الحكومة والقضاء بالحق بفتح الأمر المغلق فلذا سمي فتحا ويسمى أهل عمان القاضي فتاحا (وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ) كقوله وهو خير الحاكمين (وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْباً إِنَّكُمْ إِذاً لَّخَاسِرُونَ) مغبونون لفوات فوائد البخس والتطفيف باتباعه لأنه ينهاكم عنهما ويحملكم على الإيفاء والتسوية وجواب القسم الذي وطأته اللام في لئن اتبعتم وجواب الشرط إنكم إذاً لخاسرون فهو ساد مسد الجوابين (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) ميتين (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً) مبتدأ خبره (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا) لم يقيموا فيها. غني بالمكان أقام (الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْباً) مبتدأ خبره (كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ) لامن قالوا لهم إنكم إذاً لخاسرون وفي هذا الابتداء معنى الاختصاص كأنه قيل الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بأن أهلكوا كأن لم يقيموا في دارهم لأن الذين اتبعوا شعيباً قد أنجاهم الله الذين كذبوا شعيباً هم المخصوصون بالخسران العظيم دون أتباعه فهم الرابحون وفي التكرار مبالغة واستعظام لتكذيبهم ولما جرى عليهم (فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) بعد أن نزل بهم العذاب (وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَىٰ) أحزن (عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ) اشتد حزنه على قومه ثم أنكر على نفسه فقال كيف يشتد حزني على قوم ليسوا بأهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم أو أراد لقد أعذرت لكم في الإبلاغ والتحذير مما حل بكم فلم تصدقوني فكيف آسى عليكم (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ) يقال لكل مدينة قرية وفيه حذف أي فكذبوه (إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ) بالبؤس والفقر (وَالضَّرَّاءِ) الضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم أو هما نقصان النفس والمال

(لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ) ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا أردية الكبر (ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ) أى أعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء، والمحنة: الرخاء والسعة والصحة (حَتَّى عَفَوا) كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم من قولهم عفا النباب إذا كثر ومنه قوله عليه السلام «واعفوا اللحى» (وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّآءُ وَالسَّرَّآءُ) أى قالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بعقوبة الذنب فكونوا على ما أنتم عليه (فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً) فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بنزول العذاب واللام فى (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ) إشارة إلى أهل القرى التى دل عليها وما أرسلنا فى قرية من نبي كأنه قال ولو أن أهل تلك القرى الذين كذبوا وأهلكوا (ءَامَنُوا) بدل كفرهم (وَاتَّقَوْا) الشرك مكان ارتكابه (لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم) لفتّحنا شامى (بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) أراد المطر والنبات أو لآتيناهم بالخير من كل وجه (وَلَٰكِن كَذَّبُوا) الأنبياء (فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) بكفرهم وسوء كسبهم ويجوز أن تكون اللام للجنس (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ) يريد الكفار منهم (أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا) عذابنا (بَيَاتًا) ليلا أى وقت بيات، يقال بات بياتا (وَهُمْ نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى) نهارا والضحى فى الأصل ضوء الشمس إذا أشرقت والفاء والواو فى أفأمن وأوأمن حرفا عطف دخل عليهما همزة الإنكار والمعطوف عليه فأخذناهم بغتة وقوله ولو أن أهل القرى إلى يكسبون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وإنما عطفت بالفاء لأن المعنى فعلوا وصنعوا فأخذناهم بغتة أبعد ذلك أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وأمنوا أن يأتيهم بأسنا ضحى أوْ أمن شامى وحجازى على العطف بأو والمعنى إنكار الأمن من أحد هذين الوجهين من إتيان العذاب ليلا أو ضحى فإن قلت كيف دخل همزة الاستفهام على حرف العطف وهو ينافى الاستفهام قلت التنافى فى المفرد لا فى عطف جملة على جملة لأنه على استئناف جملة بعد جملة (وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يشتغلون بما لا يجدى عليهم (أَفَأَمِنُوا) تكرير لقوله أفأمن أهل القرى (مَكْرَ اللَّهِ) أخذه العبد من حيث لا يشعر وعن الشبلى قدس الله روحه العزيز: مكره بهم تركه إياهم على ما هم عليه وقالت ابنة الربيع بن خيثم لأبيها مالى أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال

يابنتاه إن أباك يخاف البيات أراد قوله أن يأتيهم بأسنا بياتا (فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَسِرُونَ) إلا الكافرون الذين خسروا أنفسهم حتى صاروا إلى النار (أَوَلَمْ يَهْدِ) يبين (لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ) أن لو نشاء مرفوع بأنه فاعل يهد وأن مخففة من الثقيلة أى أولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم فى ديارهم ويرثون أرضهم هذا الشأن وهو أنا لو نشاء أصبناهم بذنوبهم كما أصبنا من قبلهم فأهلكنا الوارثين كما أهلكنا الموروثين وإنما عدى فعل الهداية باللام لأنه بمعنى التبيين (وَنَطْبَعُ) مسأنف أى ونحن نختم (عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) الوعظ (تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا) كقوله هذا بعلى شيخا فى أنه مبتدأ وخبر وحال أو تكون القرى صفة تلك ونقص خبرا والمعنى تلك القرى المذكورة من قوم نوح إلى قوم شعيب نقص عليك بعض أنبائها ولها أنبــاء غيرها لم نقصها عليك (وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) عند مجىء الرسل بالبينات (بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ) بما كذبوا من آيات الله من قبل مجىء الرسل أو فما كانوا ليؤمنوا إلى آخر أعمارهم بما كذبوا به أولا حين جاءتهم الرسل أى استمروا على التكذيب من لدن مجىء الرسل إليهم إلى أن ماتوا مصرين مع تتابع الآيات واللام لتأكيد النفى (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الطبع الشديد (يَطْبَعُ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَٰفِرِينَ) لما علم منهم أنهم يختارون الثبات على الكفر (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ) الضمير للناس على الإطلاق يعنى أن أكثر الناس نقضوا عهد الله وميثاقه فى الإيمان والآية اعتراض أو للأمم المذكورين فإنهم كانوا إذا عاهدوا الله فى ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم أنجاهم نكثوا (وَإِن) وإن الشأن والحديث (وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ) لخارجين عن الطاعة ، والوجود بمعنى العلم بدليل دخول إن المخففة واللام الفارقة ولا يجوز ذلك إلا فى المبتدأ والخبر والأفعال الداخلة عليهما (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم) الضمير للرسل فى قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للأمم (مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ) بالمعجزات الواضحات (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا بِهَا) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لأنهما من واد واحد إن الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين آذوا من آمن أو لأنه إذا وجب الإيمان بها فكفروا بدل الإيمان كان كفرهم بها ظلما حيث وضعوا الكفر غير موضعه وهو موضع الإيمان (فَانظُرْ كَيْفَ

كان عَـٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) حيث صاروا مغرقين (وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰفِرْعَوْنُ) يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الأكاسرة وكأنه قال ياملك مصر واسمه قابوس أو الوليد بن مصعب بن الريان (إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَـٰلَمِينَ) إليك قال فرعون كذبت فقال موسى (حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ) أى أنا حقيق على قول الحق أى واجب على قول الحق أن أكون قائله والقائم به. حقيق علىّ نافع أى واجب علىّ ترك القول على الله إلا الحق أى الصدق وعلى هذه القراءة تقف على العالمين وعلى الأول يجوز الوصل على جعل حقيق وصف الرسول وعلى بمعنى الباء كقراءة أبى أى إنى رسول خليق بأن لا أقول أو يعلق على بمعنى الفعل فى الرسول أى إنى رسول حقيق جدير بالرسالة أرسلت على أن لا أقول على الله إلا الحق (قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) بما يبين رسالتى (فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) فخلهم يذهبوا معى راجعين إلى الأرض المقدسة التى هى وطنهم. وذلك أن يوسف عليه السلام لما توفى غلب فرعون على نسل الأسباط واستعبدهم فأنقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذى دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عام معى حفص (قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ) من عند من أرسلك (فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ) فأتنى بها لتصح دعواك ويثبت صدقك فيها (فَأَلْقَىٰ) موسى عليه السلام (عَصَاهُ) من يده (فَإِذَا هِىَ) إذا هذه للمفاجأة وهى من ظروف المكان بمنزلة ثمة وهناك (ثُعْبَانٌ) حية عظيمة (مُّبِينٌ) ظاهر أمره روى أنه كان ذكرا فاغراً فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الأسفل فى الأرض والأعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون فهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وحمل على الناس فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا فصاح فرعون ياموسى خذه وأنا أومن بك فأخذه موسى فعاد عصا (وَنَزَعَ يَدَهُ) من جيبه (فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّـٰظِرِينَ) أى فإذا هى بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة إلا إذا كان بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجمع الناس للنظر إليه روى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه فقال يدك ثم أدخلها فى جيبه ونزعها فإذا هى بيضاء غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الأدمة (قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ)

عالم بالسحر ماهر فيه قد خيل إلى الناس المصاحية والآدم أبيض. وهذا الكلام قد عزى إلى فرعون فى سورة الشعراء وأنه قاله للملأ وهنا عزى إليهم فيحتمل أنه قد قاله هو وقالوه هم فحكى قوله ثمة وقولهم هنا أوقاله ابتداء فتلقنه منه الملأ فقالوه لأعقابهم (يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ) يعنى مصر (فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) تشيرون من آمرته فأمرنى بكذا إذا شاورته فأشار عليك برأى وهو من كلام فرعون قاله للملأ لما قالوا له إن هذا لساحر عليم يريد أن يخرجكم (قَالُوٓا أَرْجِهْ) بسكون الهاء عاصم وحمزة أى أخر واحبس أى أخر أمره ولا تعجل أو كأنه هم بقتله فقالوا أخر قتله واحبسه ولا تقتله ليتبين سحره عند الخلق (وَأَخَاهُ) هرون (وَأَرْسِلْ فِى الْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ) جامعين (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ) سحار حمزة وعلى أى يأتوك بكل ساحر عليم مثله فى المهارة أو بخير منه (وَجَآءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ) يريد فأرسل إليهم فحضروا (قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا) على الخبر وإثبات الأجر العظيم حجازى وحفص ولم يقل فقالوا لأنه على تقدير سؤال سائل ماقالوا إذ جاءوه فأجيب بقوله قالوا إن لنا لأجراً الجملاعلى الغلبة والتنكير للتعظيم كأنهم قالوا لابدلنا من أجرعظيم (إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَٰلِبِينَ قَالَ نَعَمْ) إن لكم لأجراً (وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) عندى فتكونون أول من يدخل وآخر من يخرج وكانوا ثمانين ألفا أوسبعين ألفاً أو بضعة وثلاثين ألفاً (قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ) عصاك (وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ) لما معنا وفيه دلالة على أن رغبتهم فى فى أن يلقوا قبله حيث أكد ضميرهم المتصل بالمنفصل وعرف الخبر (قَالَ) لهم موسى عليه السلام (أَلْقُوا) تخييرهم إياه أدب حسن راعوه معه كما يفعل المتناظرون قبل أن يتحاوروا الجدال وقد سوغ لهم موسى مارغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم واعتمادا على أن المعجزة لن يغلبها سحر أبدا (فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ النَّاسِ) أروها بالحيل والشعوذة وخيلوا إليها ما الحقيقة بخلافه روى أنهم ألقوا حبالا غلاظاً وخشبا طوالا فإذا هى أمثال الحيات قد ملأت الأرض وركب بعضها بعضا (وَاسْتَرْهَبُوهُمْ) وأرهبوهم إرهابا شديدا كأنهم استدعوا رهبتهم بالحيلة (وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ) فى باب السحر أوفى عين من رآه (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ) ـ تلقّف ـ تبتلع تلقف حفص (مَا يَأْفِكُونَ) ماموصولة أو مصدرية يعنى ما يأفكونه أى يقلبونه عن الحق إلى الباطل ويزورونه أوإفكهم تسمية للمأفوك بالإفك روى أنها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت

عصا كما كانت وأعدم الله بقدرته تلك الأجرام العظيمة أو فرقها أجزاء لطيفة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ) لحصل وثبت (وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من السحر (فَغُلِبُوا هُنَالِكَ) أى فرعون وجنوده والسحرة (وَٱنقَلَبُوا صَٰغِرِينَ) وصاروا أذلاء مبهوتين (وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ) وخروا سجدا لله كأنما ألقاهم ملق لشدة خرورهم أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا فكانوا أول النهار كفاراً سحرة وفى آخره شهداء بررة (قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ) هو بدل مما قبله (قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ) على الخبر حفص وهذا توبيخ منه لهم وبهمزتين كوفى غير حفص فالأولى همزة الاستفهام ومعناه الإنكار والاستبعاد (قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ) قبل إذنى لكم (إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا) إن صنعكم هذا الحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل أن تخرجوا إلى الصحراء لغرض لكم وهو أن تخرجوا من مصر القبط وتسكنوا بنى اسرائيل (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) وعيد أجمله ثم فصله بقوله (لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ) من كل شق طرفا (ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ) هو أول من قطع من خلاف وصلب (قَالُوٓا إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ) فلا نبالى بالموت لانقلابنا إلى لقاء ربنا ورحمته أو إنا جميعاً يعنون أنفسهم وفرعون ننقلب إلى الله فيحكم بيننا (وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا) وما تعيب منا إلا الإيمان بآيات الله أرادوا وما تعيب منا إلا ماهو أصل المناقب والمفاخر وهو الإيمان ومنه قوله :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

(رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) أى اصبب صبا ذريعا والمعنى هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء إفراغا (وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) ثابتين على الإسلام (وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ) أرض مصر بالاستعلاء فيها وتغيير دين أهلها لأنه وافق السحرة على الإيمان ستمائة ألف نفر (وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ) عطف على ليفسدوا. قيل صنع فرعون لقومه أصناما وأمرهم أن يعبدوها تقربا إليه كما يعبد عبدة الأصنام الأصنام ويقولون ليقربونا إلى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الأعلى (قَالَ) فرعون مجيبا للملإ (سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ) سنقتل حجازى أى سنعيد

عليهم قتل الأبناء ليعلموا أنا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وأنهم مقهورون تحت أيدينا كما كانوا ولئلا يتوهم العامة أنه هو المولود الذى تحدث المنجمون بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم إلى اتباعه (قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا) قال لهم ذلك حين جزعوا من قول فرعون سنقتل أبناءهم تسلية لهم ووعدا بالنصر عليهم (إِنَّ الْأَرْضَ) اللام للعهد أى أرض مصر أو للجنس فيتناول أرض مصر تناولا أوليا (لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) فيه تمنيته إياهم أرض مصر (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بشارة بأن الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأخليت هذه الجملة عن الواو لأنها جملة مستأنفة بخلاف قوله وقال الملأ لأنها معطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون (قَالُوا أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا) يعنون قتل أبنائهم قبل مولد موسى إلى أن استنبىء وإعادته عليهم بعد ذلك وذلك اشتكاء من فرعون واستبطاء لوعد النصر (قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ) تصريح بما رمز إليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو إهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر (فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد أنه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف أو رغيفان وطلب المنصور زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقى فينظر كيف تعملون (وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) سنى القحط وهن سبع سنين والسنة من الأسماء الغالبة كالدابة والنجم (وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ) قيل السنون لأهل البوادى ونقص الثمرات للأمصار (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) ليتعظوا فينبهوا على أن ذلك لإصرارهم على الكفر ولأن الناس فى حال الشدة أضرع خدوداً وأرق أفئدة وقيل عاش فرعون أربعمائة سنة لم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو أصابه فى تلك المدة وجع أو جوع أو حمى لما ادعى الربوبية (فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ) الصحة والخصب (قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ) أى هذه التى نستحقها (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ) جدب ومرض (يَطَّيَّرُوا) أصله يتطيروا فأدغمت التاء فى الطاء لأنها من طرف اللسان وأصول الثنايا (بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ) تشاءموا بهم وقالوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما أصابتنا وإنما دخل إذا فى الحسنة

وعرفت الحسنة وان فى السيئة ونكرت السيئة لأن جنس الحسنة وقوعه كالكائن لكثرته وأما السيئة فلا تقع إلا فى الندرة ولا يقع إلا شىء منها (أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ) سبب خيرهم وشرهم (عِندَ اللَّهِ) فى حكمه ومشيئته والله هو الذى يقدر ما يصيبهم من الحسنة والسيئة قل كل من عند الله (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ) أصل مهما ما ما فا الأولى للجزاء ضمت إليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى ما تخرج أخرج أينما تكونوا فإما نذهبن بك إلا أن الألف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى وهو فى موضع النصب بتأتنا أى أيما شىء تحضرنا تأتنا به ومن آية تبيين لهما والضمير فى به وبها راجع إلى مهما إلا أن الأول ذكر على اللفظ والثانى أنث على المعنى لأنها فى معنى الآية وإنما سموها آية اعتبارا لتسمية موسى أو قصدوا بذلك الاستهزاء (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ) ماطاف بهم وغلبهم من مطر أو سيل قيل طفا الماء فوق حروثهم وذلك أنهم مطروا ثمانية أيام فى ظلمة شديدة لايرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر أحد أن يخرج من داره وقيل دخل الماء فى بيوت القبط حتى قاموا فى الماء إلى تراقيهم فمن جلس غرق ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل من الماء قطرة أو هو الجدرى أو الطاعون (وَالْجَرَادَ) فأكلت زروعهم وثمارهم وسقوف بيوتهم وثيابهم ولم يدخل بيوت بنى إسرائيل منها شىء (وَالْقُمَّلَ) وهى الدبى وهو أولاد الجراد قبل نبات أجنحتها أو البراغيث أو كبار القردان (وَالضَّفَادِعَ) وكانت تقع فى طعامهم وشرابهم حتى إذا تكلم الرجل تقع فى فيه (وَالدَّمَ) أى الرعاف وقيل مياههم انقلبت دما حتى إن القبطى والإسرائيلى إذا اجتمعا على إناء فيكون مايلى الإسرائيلى ماء وما يلى القبطى دما وقيل سال عليهم النيل دما (ءَايَٰتٍ) حال من الأشياء المذكورة (مُّفَصَّلَٰتٍ) مبينات ظاهرات لايشكل على عاقل أنها من آيات الله أو مفرقات بين كل آيتين شهر (فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بموسى (وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ) العذاب الأخير وهو الدم أو العذاب المذكور واحداً بعد واحد (قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ) ما مصدرية أى بعهده عندك وهو النبوة والباء تتعلق بادع أى ادع الله لنا متوسلا إليه بعهده عندك (لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ

لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ) إلى حد من الزمان (هُم بَٰلِغُوهُ) لا محالة فمعذبون فيه لاينفعهم ما تقدم لهم من الإمهال وكشف العذاب إلى حلوله (إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ) جواب لما أى فلما كشفنا عنهم فاجئوا النكث ولم يؤخروه (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) هو ضد الإنعام كما أن العقاب هو ضد الثواب (فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ) هو البحر الذى لايدرك قعره أو هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لأن المنتفعين به يقصدونه (بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ) أى كان إغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ) هم بنو إسرائيل كان يستضعهم فرعون وقومه بالقتل والاستخدام (مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا) يعنى أرض مصر والشام (الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا) بالخصب وسعة الأرزاق وكثرة الأنهار والأشجار (وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) هو قوله: عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الأرض. أو ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض إلى ما كانوا يحذرون. والحسنى تأنيث الأحسن صفة للكلمة وعلى صلة تمت أى مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الأمر إذا مضى عليه (بِمَا صَبَرُوا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على أن من قابل البلاء بالجزع وكله الله إليه ومن قابله بالصبر ضمن الله له الفرج (وَدَمَّرْنَا) أهلكنا (مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ) من العمارات وبناء القصور (وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ) من الجنات أو ما كانوا يرفعون من الأبنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره. وبضم الراء شامى وأبو بكر وهذا آخر قصة فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله ثم أتبعه قصة بنى إسرائيل وما أحدثوه بعد إنقاذهم من فرعون ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وغير ذلك ليتسلى رسول الله ﷺ مما رآه من بنى إسرائيل بالمدينة (وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ) روى أنهم عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكراً لله (فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ) فمروا عليهم (يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ) يواظبون على عبادتها وكانت تماثيل بقر وبكسر الكاف حمزة وعلى (قَالُوا يَٰمُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا) صنما نعكف عليه (كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ) أصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف

ولذلك وقعت الجملة بعدها قال يهودى لعلى رضى الله عنه اختلفتم بعد نبيكم قبل أن يجف ماؤه فقال: قلتم اجعل لنا إلها ولم تجف أقدامكم (قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) تعجب من قولهم على أثر مارأوا من الآية العظمى فوصفهم بالجهل المطلق وأكده (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ) يعنى عبدة تلك التماثيل (مُتَبَّرٌ) مهلك من التبار (مَّا هُمْ فِيهِ) أى يتبر الله ويهدم دينهم الذى هم عليه على يدى وفى إيقاع هؤلاء إسما لإن وتقديم خبر المبتدأ من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الأصنام بأنهم هم المعرضون للتبار وأنه لايعدوهم البتة (وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى ما عملوا من عبادة الأصنام باطل مضمحل (قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا) أى أغير المستحق للعبادة أطلب لكم معبودا (وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ) حال أى على عالى زمانكم (وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ) أنجاكم شامى (يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة إذا طلبها وهو استئناف لامحل له أو حال من المخاطبين أو من آل فرعون (يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ) يقتُلون نافع (وَفِي ذَٰلِكُم) أى فى الإنجاء أوفى العذاب (بَلَآءٌ) نعمة أو محنة (مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً) لإعطاء التوراة (وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ) روى أن موسى عليه الصلاة والسلام وعد بنى إسرائيل وهو بمصر إذا أهلك الله عدوهم أتاهم بكتاب من عند الله فلما هلك فرعون سأل موسى ربه الكتاب فأمره بصوم ثلاثين يوما وهى شهر ذى القعدة فلما أتم الثلاثين أنكر خلوف فيه فتسوك فأوحى الله إليه أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك فأمره أن يزيد عليها عشرة أيام من ذى الحجة لذلك (فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِ) ماوقت له من الوقت وضربه له (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) نصب على الحال أى تم بالغا هذا العدد ولقد أجمل ذكر الأربعين فى البقرة وفصلها هنا (وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ) هو عطف بيان لأخيه (اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي) كن خليفتى فيهم (وَأَصْلِحْ) مايجب أن يصلح من أمور بنى اسرائيل (وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ) ومن دعاك منهم إلى الإفساد فلا تتبعه ولا تطعه (وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا) لوقتنا الذى وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص أى اختص مجيئه لميقاتنا (وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ) بلا واسطة ولا كيفية وروى أنه كان يسمع الكلام من كل جهة وذكر الشيخ فى التأويلات أن موسى عليه السلام سمع صوتا دالا على كلام الله تعالى وكان اختصاصه باعتبار أنه أسمعه صوتا

تولى تخليقه من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسبا لأحد من الخلق وغيره يسمع صوتا مكتسبا للعباد فيفهم منه كلام الله تعالى فلما سمع كلامه طمع فى رؤيته لغلبة شوقه فسأل الرؤية بقوله (قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ) ثانى مفعولى أرنى محذوف أى أرنى ذاتك أنظر إليك يعنى مكنى من رؤيتك بأن تتجلى لى حتى أراك أرْنى مكى وبكسر الراء مختلسة أبو عمرو وبكسر الراء مشبعة غيرهما وهو دليل لأهل السنة على جواز الرؤية فإن موسى عليه السلام اعتقد أن الله تعالى يرى حتى سأله واعتقاد جواز مالا يجوز على الله كفر (قَالَ لَن تَرَىٰنِي) بالسؤال بعين فانية بل بالعطاء والنوال بعين باقية وهو دليل لنا أيضا لأنه لم يقل لن أرى ليكون نفيا للجواز ولو لم يكن مرئيا لأخبر بأنه ليس بمرئى إذ الحالة حالة الحاجة إلى البيان (وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ) بقى على حاله (فَسَوْفَ تَرَىٰنِي) وهو دليل لنا أيضا لأنه علق الرؤية باستقرار الجبل وهو ممكن وتعليق الشىء بما هو ممكن يدل على إمكانه كالتعليق بالممتنع يدل على امتناعه والدليل على أنه ممكن قوله جعله دكا ولم يقل اندك وما أوجده تعالى كان جائزا أن لا يوجد لو لم يوجده لأنه مختار فى فعله ولأنه تعالى ما آيسه عن ذلك ولا عاتبه عليه ولو كان ذلك محالا لعاتبه كما عاتب نوحاً عليه السلام بقوله: إنى أعظك أن تكون من الجاهلين. حيث سأل إنجاء ابنه من الغرق (فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ) أى ظهر وبأن ظهوراً بلا كيف قال الشيخ أبو منصور رحمه الله معنى التجلى للجبل ماقاله الأشعرى إنه تعالى خلق فى الجبل حياة وعلما ورؤية حتى رأى ربه وهذا نص فى إثبات كونه مرئيا وبهذه الوجوه يتبين جهل منكرى الرؤية وقولهم بأن موسى عليه السلام كان عالما بأنه لا يرى ولكن طلب قومه أن يريهم ربه كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فطلب الرؤية ليبين الله تعالى أنه ليس بمرئى باطل إذ لو كان كما زعموا لقال أرهم ينظروا إليك ثم يقول له لن يرونى ولأنها لو لم تكن جائزة لما أخر موسى عليه السلام الرد عليهم بل كان يرد عليهم وقت قرع كلامهم سمعه لما فيه من التقرير على الكفر وهو عليه السلام بعث لتغييره لا لتقريره ألا ترى أنهم لما قالوا له اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لم يمهلهم بل رد عليهم من ساعته بقوله إنكم قوم تجهلون (جَعَلَهُ دَكًّا) مدكوكا مصدر بمصدر بمعنى المفعول كضرب الأمير والدق والدك أخوان. دكاء حمزة وعلى أى مستوية بالأرض لا أكمة

فيها وناقة دكاء لاسنام لها (وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا) حال أى سقط مغشيا عليه (فَلَمَّآ أَفَاقَ) من صعقته (قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ) من السؤال فى الدنيا (وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ) بعظمتك وجلالك وبأنك لاتعطى الرؤية فى الدنيا مع جوازها وقال الكعبى والأصم معنى قوله أرنى أنظر إليك أرنى آية أعلمك بها بطريق الضرورة كأنى أنظر إليك لن ترانى لن تطيق معرفتى بهذه الصفة ولكن انظر إلى الجبل فإنى أظهر له آية فإن ثبت الجبل لتجليها واستقر مكانه فسوف تثبت لها وتطيقها وهذا فاسد لأنه قال أرنى أنظر إليك ولم يقل إليها وقال لن ترانى ولم يقل لن ترى آيتى وكيف يكون معناه لن ترى آيتى وقد أراه أعظم الآيات حيث جعل الجبل دكا (قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ) اخترتك على أهل زمانك (بِرِسَٰلَٰتِى) هى أسفار التوراة برسالتى حجازى (وَبِكَلَٰمِى) وبتكليمى إياك (فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ) أعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وَكُن مِّنَ الشَّٰكِرِينَ) على النعمة فى ذلك فهى من أجل النعم قيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطى التوراة يوم النحر ولما كان هارون وزيرا وتابعا لموسى تخصص الاصطفاء بموسى عليه السلام (وَكَتَبْنَا لَهُ فِى الْأَلْوَاحِ) الألواح التوراة جمع لوح وكانت عشرة ألواح وقيل سبعة وكانت من زمرد وقيل من خشب نزلت من السماء فيها التوراة (مِن كُلِّ شَىْءٍ) فى محل النصب على أنه مفعول كتبنا (مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ) بدل منه والمعنى كتبنا له كل شىء كان بنو اسرائيل محتاجين إليه فى دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهى سبعون وقر بعير لم يقرأها كلها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى (فَخُذْهَا) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا والضمير للألواح أو لكل شىء لأنه فى معنى الأشياء (بِقُوَّةٍ) بجد وعزيمة فعل أولى العزم من الرسل (وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا) أى فيها ماهو حسن وأحسن كالقصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يأخذوا بما هو أدخل فى الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم (سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَٰسِقِينَ) دار فرعون وقومه وهى مصر ومنازل عاد وثمود والقرون المهلكة كيف أقفرت منهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم أوجهنم (سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ) عن فهمها قال ذوالنون قدس الله روحه أبى الله أن يكرم قلوب البطالين بمكنون حكمة القرآن (الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ) يتطاولون

على الخلق ويأنفون عن قبول الحق. وحقيقته التكلف للكبرياء التى اختصت بالبارى عزت قدرته (فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) هو حال أى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده(وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ) من الآيات المنزلة عليهم(لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ) طريق صلاح الأمر وطريق الهدى. الرَّشد حمزة وعلى وهما كالسقم والسقم(لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ) الضلال (يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا) ومحل (ذَٰلِكَ) الرفع أى ذلك الصرف (بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا) بسبب تكذيبهم (وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ)غفلة عنادواعرض لاغفلة سهو وجهل (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ) هومن إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها (حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ) خبر والذين (هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وهو تكذيب الأحوال بتكذيب الإرسال (وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ) من بعد ذهابه إلى الطور (مِنْ حُلِيِّهِمْ) وإنما نسبت إليهم مع أنها كانت عوارى فى أيديهم لأن الإضافة تكون لأدنى ملابسة وفيه دليل على أن من حلف أن لا يدخل دار فلان فدخل دارا استعارها يحنث على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم وفيه دليل على أن الاستيلاء على أموال الكفار يوجب زوال ملكهم عنها نعم المتخذ هو السامرى ولكنهم رضوا به فأسند الفعل إليهم والحلى جمع حلى وهو اسم مايتحسن به من الذهب والفضة حِليهم حمزة وعلى للإتباع (عِجْلًا) مفعول اتخذ (جَسَدًا) بدل منه أى بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد (لَّهُ خُوَارٌ) هو صورت البقر والمفعول الثانى محذوف أى إلها ثم عجب من عقولهم السخيفة فقال (أَلَمْ يَرَوْا) حين اتخذوه إلها (أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا) لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذى هدى الخلق إلى سبيل الحق بما ركز فى العقول من الأدله وبما أنزل فى الكتب ثم ابتدأ فقال (اتَّخَذُوهُ) إلها فأقدموا على هذا الأمر المنكر (وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيْدِيهِمْ) ولما اشتد ندمهم على عبادة العجل وأصله أن من شأن من اشتد ندمه أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه وقع فيها وسقط مسند إلى فى أيديهم وهو من باب الكناية وقال الزجاج معناه سقط

الندم فى أيديهم أى فى قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل فى يده مكروه وإن استحال أن يكون فى اليد تشبيها لما يحصل فى القلب وفى النفس بما يحصل فى اليد ويرى بالعين (وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم أبصروه بعيونهم (قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا) لئن لم ترحمنا ربنا وتغفر لنا حمزة وعلى. وانتصاب ربنا على النداء (لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) المغبونين فى الدنيا والآخرة (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ) من الطور (إِلَىٰ قَوْمِهِ) بنى اسرائيل (غَضْبَانَ) حال من موسى (أَسِفًا) حال أيضا أى حزينا (قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي) قمتم مقامى وكنتم خلفائى (مِن بَعْدِي) والخطاب لعبدة العجل من السامرى وأشياعه أو لهارون ومن معه من المؤمنين ويدل عليه قوله اخلفنى فى قومى والمعنى بئسما خلفتمونى حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله أو حيث لم تكفوا من عبد غير الله وفاعل بئس مضمر يفسره ماخلفتمونى والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدى خلافتكم ومعنى من بعدى بعد قوله خلفتمونى من بعد ما رأيتم منى من توحيد الله ونفى الشركاء عنه أو من بعد ما كنت أحمل بنى إسرائيل على التوحيد وأكفهم عن عبادة البقرة حين قالوا اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء أن يسيروا بسيرة المستخلف (أَعَجِلْتُمْ) أسبقتم بعبادة العجل (أَمْرَ رَبِّكُمْ) وهو إتيانى لكم بالتوراة بعد أربعين ليلة وأصل العجلة طلب الشىء قبل حينه وقيل عجلتم بمعنى تركتم (وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ) ضجرا عند استماعه حديث العجل غضبا لله وكان فى نفسه شديد الغضب وكان هارون ألين منه جانبا ولذلك كان أحب إلى بنى اسرائيل من موسى فتكسرت فرفعت ستة أسباعها وبقى سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شىء وفيما بقى هدى ورحمة (وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ) بشعر رأسه غضبا عليه حيث لم يمنعهم عن عبادة العجل (يَجُرُّهُ إِلَيْهِ) عتابا عليه لا هوانا به وهو حال من موسى (قَالَ ابْنَ أُمَّ) بنى الابن مع الأم على الفتح كخمسة عشر وبكسر الميم حمزة وعلى وشامى لأن أصله أمى فحذف الياء اجتزاء عنها بالكسرة وكان ابن أمه وأبيه وإنما ذكر الأم لأنها كانت مؤمنة ولأن ذكرها أدعى إلى العطف (إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي) أى إنى لم آل جهدا فى كفهم بالوعظ والإنذار ولكنهم استضعفونى وهموا بقتلى (فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ) الذين عبدوا العجل أى لا

تفعل بى ماهو أمنيتهم من الاستهانة بى والإساءة إلى (وَلاَ تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ) أى قرينا لهم بغضبك على فلما اتضح له عذر أخيه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى) ليرضى أخاه وينفى الشماتة عنه بإشرا كه معه فى الدعاء والمعنى اغفرلى ما فرط منى فى حق أخى ولأخى إن كان فرط فى حسن الخلافة (وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ) عصمتك فى الدنيا وجنتك فى الآخرة (وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّٰحِمِينَ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ) إلها (سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ) هو ماأمروا به من قتل أنفسهم توبة (وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) خروجهم من ديارهم فالغربة تذل الأعناق أو ضرب الجزية عليهم (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ) الكاذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا إلٰهكم وإلٰه موسى (وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّـَٔاتِ) من الكفر والمعاصى (ثُمَّ تَابُوا) رجعوا إلى الله (مِن بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓا) وأخلصوا الإيمان (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) أى السيئات أو التوبة (لَغَفُورٌ) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رَّحِيمٌ) منعم عليهم بالجنة وإن مع اسمها وخبرها خبر الذين وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل وغيرهم عظم جناياتهم أولا ثم أردفها بعظم رحمته ليعلم أن الذنوب وإن عظمت فعفوه أعظم ولما كان الغضب لشدته كأنه هوالآمر لموسى بما فعل قيل (وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ) وقال الزجاج معناه سكن وقرىء به (أَخَذَ الْأَلْوَاحَ) التى ألقاها (وَفِى نُسْخَتِهَا) وفيما نسخ منها أى كتب فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ) دخلت اللام لتقدم المفعول وضعف عمل الفعل فيه باعتباره (وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ) أى من قومه فحذف الجار وأوصل الفعل (سَبْعِينَ رَجُلاً) قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة فبلغوا اثنين وسبعين رجلا فقال ليتخلف منكم رجلان فقعد كالب ويوشع (لِّمِيقَٰتِنَا) لاعتذارهم عن عبادة العجل (فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ) بما كان منهم من عبادة العجل (وَإِيَّٰىَ) لقتلى القبطى (أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَآءُ مِنَّا) أتهلكنا عقوبة بما فعل الجهال منا وهم أصحاب العحل (إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ) ابتلاؤك وهو راجع إلى قوله إنا قد فتنا قومك من بعدك فقال موسى هى تلك الفتنة التى أخبرتنى بها أوهى ابتلاء الله تعالى عباده بماشاء، ونبلوكم بالشر والخير فتنة (تُضِلُّ بِهَا) بالفتنة (مَن تَشَآءُ) من علمت منهم اختيار الضلالة (وَتَهْدِى) بها (مَن تَشَآءُ) من علمت

منهم اختيار الهدى (أَنتَ وَلِيُّنَا) مولانا القائم بأمورنا (فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا) وأثبت لنا واقسم (فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً) عاقبة وحياة طيبة وتوفيقا فى الطاعة (وَفِي الْآخِرَةِ) الجنة (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ) تبنا إليك وهاد إليه يهود إذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب (قَالَ عَذَابِي) من صفته أنى (أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ) أى لا أعفو عنه (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) أى من صفة رحمتى أنها واسعة تبلغ كل شيء مامن مسلم ولا كافر إلا وعليه أثر رحمتى فى الدنيا (فَسَأَكْتُبُهَا) أى هذه الرحمة (لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الشرك من أمة محمد صلى الله عليه وسلم (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ) المفروضة (وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا) بجميع كتبنا (يُؤْمِنُونَ) لا يكفرون بشيء منها (الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ) الذى نوحى إليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النَّبِيَّ) صاحب المعجزات (الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ) أى يجد نعته أولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ) بخلع الأنداد وإنصاف العباد (وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ) عبادة الأصنام وقطيعة الأرحام (وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ) ما حرم عليهم من الأشياء الطيبة كالشحوم وغيرها أو ما طاب فى الشريعة مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وماخلا كسبه من السحت (وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ) ما يستخبث كالدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به أوماخبث فى الحكم كالربا والرشوة ونحوها من المكاسب الخبيثة (وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ) هو الثقل الذى يأصر صاحبه أى يحبسه عن الحراك لثقله والمراد التكاليف الصعبة كقتل النفس فى توبتهم وقطع الأعضاء الخاطئة. آصارهم شامى على الجمع (وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) هى الأحكام الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان أو خطأ من غير شرع الدية وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وإحراق الغنائم وظهور الذنوب على أبواب البيوت وشبهت بالغل للزومها لزوم الغل (فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ) بمحمد ﷺ (وَعَزَّرُوهُ) وعظموه أومنعوه من العدو حتى لا يقوى عليه عدو وأصل العزر المنع ومنه التعزير لأنه منع عن معاودة القبيح كالحد فهو المنع (وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ) أى القرآن ومع متعلق باتبعوا أى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بكل خير والناجون من كل شر (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) بعث كل رسول

إلى قومه خاصة وبعث محمد ﷺ إلى كافة الإنس وكافة الجن (جَمِيعًا) حال من إليكم (ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) فى محل النصب باضمار أعنى وهو نصب على المدح (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) بدل من الصلة وهى له ملك السماوات والأرض وكذلك (يُحْىِۦ وَيُمِيتُ) وفى لا إله إلا هو بيان للجملة قبلها لأن من ملك العالم كان هو الإله على الحقيقة وفى يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالإلهية إذ لا يقدر على الإحياء والإماتة غيره (فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ) أى الكتب المنزلة (وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ولم يقل فآمنوا بالله وبى بعد قوله إنى رسول الله إليكم لتجرى عليه الصفات التى أجريت عليه ولما فى الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذى وجب الإيمان به هو هذا الشخص الموصوف بأنه النبي الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا أو غيرى إظهارا للنصفة وتفاديا من العصبية لنفسه (وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ) أى يهدون الناس محقين أو بسبب الحق الذى هم عليه (وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ) وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون قيل هم قوم وراء الصين آمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام ليلة المعراج أو هم عبد الله بن سلام وأضرابه (وَقَطَّعْنَٰهُمُ) وصيرناهم قطعا أى فرقا وميزنا بعضهم من بعض (ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والأسباط أولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتى عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام . نعم مميز ما عدا العشرة مفرد فكان ينبغى أن يقال اثنى عشر سبطا لكن المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة أسباط لا سبط فوضع أسباط موضع قبيلة (أُمَمًا) بدل من اثنتى عشرة أى وقطعناهم أمما لأن كل أسباط كانت أمة عظيمة وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الأخرى (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ) فضرب (فَٱنۢبَجَسَتْ) فانفجرت (مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ) هو اسم جمع غير تكسير (وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ) وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ) وقلنا لهم (كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا) أى وما رجع إلينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم (وَلَٰكِن كَانُوٓا۟

أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم إليهم (وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ) واذكر إذ قيل لهم (اسْكُنُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ) بيت المقدس (وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ) تُغفر لكم مدنى وشامى خطيئاتكم مدنى خطاياكم أبو عمرو خطيئتكم شامى (سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ) ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها فى هذه السورة وبين قوله فى سورة البقرة ادخلوا هذه القرية فكلوا لوجود الدخول والسكنى وسواء قدموا الحطة على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض إثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لأنه استئناف مرتب على قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان وأرسلنا وأنزلنا ويظلمون ويفسقون من واد واحد (وَسْئَلْهُمْ) واسأل اليهود (عَنِ الْقَرْيَةِ) أيلة أو مدين وهذا السؤال للتقريع بقديم كفرهم (الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) قريبة منه (إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ) إذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقد نهوا عنه إذ يعدون فى محل الجر بدل من القرية والمراد بالقرية أهلها كأنه قيل واسألهم عن أهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال (إِذْ تَأْتِيهِمْ) منصوب بيعدون أو بدل بعد بدل (حِيتَانُهُمْ) جمع حوت أبدلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا) ظاهرة على وجه الماء جمع شارع حال من الحيتان، والسبت مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد والمعنى إذ يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذا قوله يوم سبتهم معناه يوم تعظيمهم أمر السبت ويدل عليه (وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ) ويوم ظرف لا تأتيهم (كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ) مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بفسقهم (وَإِذْ قَالَتْ) معطوف على إذ يعدون وحكمه كحكمه فى الإعراب (أُمَّةٌ مِّنْهُمْ) جماعة من صلحاء القرية الذين أيسوا من وعظهم بعد ما ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم لآخرين لا يقلعون عن وعظهم (لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ

عَذَاباً شَدِيدًا) وإنما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ) معذرة أى موعظتنا ابلاء[1] عذر إلى الله لئلا ننسب فى النهى عن المنكر إلى التفريط معذرة حفص على أنه مفعول له أى وعظناهم للمعذرة (وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) ولطمعنا فى أن يتقوا (فَلَمَّا نَسُوا) أى أهل القرية لما تركوا (مَاذُكِّرُوا بِهِ) ماذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه (أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوٓءِ) من العذاب الشديد (وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) الراكبين للمنكر والذين قالوا لم تعظون من الناجين، فمن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان (بِعَذَابٍ بَئِيسٍ) شديد يقال بؤس يبؤس بأسا إذا اشتد فهو بئيس. بئس شامى بيس مدنى بَيْئَس على وزن فيعل أبو بكر غير حماد (بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوا عَنْ مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) أى جعلناهم قردة أذلاء مبعدين وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا، والعذاب البئيس: هو المسخ قيل صار الشبان قردة والشيوخ خنازير وكانوا يعرفون أقاربهم ويبكون ولا يتكلمون والجمهور على أنها ماتت بعد ثلاث وقيل بقيت وتناسلت (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) أى أعلم وأجرى مجرى فعل القسم ولذا أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ) أى كتب على نفسه ليسلطن على اليهود (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ) من يوليهم (سُوٓءَ الْعَذَابِ) فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث محمد ﷺ فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر (إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ) للكفار (وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) للمؤمنين (وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ) وفرقناهم فيها فلا تخلو بلد عن فرقة (أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ) الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين (وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الفسقة ومحل دون ذلك الرفع وهو صفة لموصوف محذوف أى ومنهم ناس منحطون عن الصلاح (وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ) بالنعم والنقم والخصب والجدب (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) ينتهون فينيبون (فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ) من بعد المذكورين (خَلْفٌ) وهم الذين كانوا فى زمن رسول الله ﷺ والخلْف بدل السوء بخلاف الخلَف فهو الصالح (وَرِثُوا الْكِتَابَ) التوراة ووقفوا على ما فيها من

(١) فى القاموس أبلاه عذرا: أداه إليه فقبله .

الأوامر والنواهى والتحليل والتحريم ولم يعملوا بها (يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ) هو حال من الضمير فى ورثوا، والعرض: المتاع أى حطام هذا الشىء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وهو من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشا فى الأحكام على تحريف الكلم وفى قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير (وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفعل مسند إلى الأخذ أو إلى الجار والمجر ورأى لنا (وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ) الواو للحال أى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين (أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ الْكِتَٰبِ) أى الميثاق المذكور فى الكتاب (أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) أى أخذ عليهم الميثاق فى كتابهم أن لا يقولوا على الله إلا الصدق وهو عطف بيان لميثاق الكتاب (وَدَرَسُوا مَا فِيهِ) وقرءوا ما فى الكتاب وهو عطف على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ) من ذلك العرض الخسيس (لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ) الرشا والمحارم (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) ـ أفلا يعقلون ـ أنه كذلك وبالتاء مدنى وحفص (وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَٰبِ) يمسكون أبو بكر والإمساك والتمسيك والتمسك الاعتصام والتعلق بشىء (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ) خص الصلاة مع أن التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة لأنها عماد الدين والذين مبتدأ والخبر (إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ) أى إنا لا نضيع أجرهم وجاز أن يكون مجروراً عطفا على الذين يتقون وإنا لا نضيع اعتراض (وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ) واذكروا إذ قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقكم الطور (كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ) هى كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب (وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ) وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رءوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد على حاجبه الأيسر ويقولون هى السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة وقلنا لهم (خُذُوا مَا ءَاتَيْنَٰكُم) من الكتاب (بِقُوَّةٍ) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ) من الأوامر والنواهى ولا تنسوه (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ما أنتم عليه (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِىٓ ءَادَمَ) أى واذكر إذ أخذ (مِن ظُهُورِهِمْ) بدل من بنى

آدم والتقدير وإذ أخذ ربك من ظهور بنى آدم (ذُرِّيَّتَهُمْ) ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلاب آبائهم (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا) هذا من باب التمثيل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الهدى والضلالة فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك (أَن تَقُولُوا) مفعول له أى فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن يقولوا (يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ) لم ننبه عليه (أَوْ تَقُولُوا) أو كراهة أن يقولوا (إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ) فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الإعراض عنه والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم (أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ) أى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتركه سنة لنا (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نُفَصِّلُ الْآيَٰتِ) لهم (وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) عن شركهم نفصلها إلى هذا ذهب المحققون من أهل التفسير منهم الشيخ أبو منصور والزجاج والزمخشرى وذهب جمهور المفسرين إلى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهر آدم مثل الذر وأخذ عليهم الميثاق أنه ربهم بقوله ألست بربكم فأجابوه ببلى قالوا وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أخرج الله من ظهر آدم ذريته وأراه إياهم كهيئة الذر وأعطاهم العقل وقال هؤلاء ولدك آخذ عليهم الميثاق أن يعبدونى قيل كان ذلك قبل دخول الجنة بين مكة والطائف وقيل بعد النزول من الجنة وقيل فى الجنة والحجة للأولين أنه قال من بنى آدم من ظهورهم ولم يقل من ظهر آدم ولأنا لا نتذكر ذلك فأنى يصير حجة. ذرياتهم مدنى وبصرى وشامى أن تقولوا أو تقولوا أبو عمرو (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) على اليهود (نَبَأَ الَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل هو بلعم بن باعوراء أوتى علم بعض كتب الله (فَانسَلَخَ مِنْهَا) فخرج من الآيات بأن كفر بها ونبذها وراء ظهره (فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَٰنُ) فلحقه الشيطان وأدركه وصار قرينا له (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) فصار من الضالين الكافرين روى أن قومه طلبوا منه أن يدعو على موسى ومن معه فأبى فلم يزالوا به حتى فعل وكان عنده اسم الله الأعظم (وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ)

إلى منازل الأبرار من العلماء (بِهَا) بتلك الآيات (وَلَـٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ) مال إلى الدنيا ورغب فيها (وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) فى إيثار الدنيا ولذاتها على الآخرة ونعيمها (فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ) أى تزجره وتطرده (يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ) غيرمطرود (يَلْهَث) والمعنى فصفته التى هى مثل فى الخسة والضعة كصفة الكلب فى أخس أحواله وأذلها وهى حال دوام اللهث به سواء حمل عليه أى شد عليه وهيج فطرد أو ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك أن سائر الحيوان لا يكون منه اللهث إلا إذا حرك أما الكلب فيلهث فى الحالين فكان مقتضى الكلام أن يقال ولكنه أخلد إلى الأرض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع هذا التمثيل موضع فحططناه أبلغ حط. ومحل الجملة الشرطية النصب على الحال كأنه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا فى الحالين وقيل لما دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب وقيل معناه هوضال وعظ أوترك وعن عطاء من علم ولم يعمل فهو كالكلب ينبح إن طرد أو ترك (ذَّٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) من اليهود بعد أن قرءوا نعت رسول الله ﷺ فى التوراة وذكر القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه (فَاقْصُصِ الْقَصَصَ) أى قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فيحذرون مثل عاقبته إذا ساروا نحو سيرته (سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) أى مثل القوم فحذف المضاف وفاعل ساء مضمر أى ساء المثل مثلا وانتصاب مثلا على التمييز (وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ) معطوف على كذبوا فيدخل فى حيز الصلة أى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم أنفسهم أو منقطع عن الصلة أى وما ظلموا إلا أنفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص أى وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعد إلى غيرها (مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِى) حمل على اللفظ (وَمَن يُضْلِلْ) أى ومن يضلله (فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) حمل على المعنى ولو كان الهدى من الله البيان كما قالت المعتزلة لاستوى الكافر والمؤمن إذ البيان ثابت فى حق الفريقين فدل أنه من الله تعالى التوفيق والعصمة والمعونة ولو كان ذلك للكافر لاهتدى كما اهتدى المؤمن (وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ) هم الكفار من الفريقين المعروضون عن تدبر آيات الله والله تعالى علم منهم اختيار الكفر فشاء منهم الكفر وخلق فيهم ذلك وجعل مصيرهم جهنم لذلك ولا تنافى بين هذا وبين قوله

وماخلقت الجن والإنس إلا ليعبدون لأنه إنما خلق منهم للعبادة من علم أنه يعبده وأما من علم أنه يكفر به فإنما خلقه لما علم أنه يكون منه فالحاصل أن من علم منه فى الأزل أنه يكون منه العبادة خلقه للعبادة ومن علم منه أن يكون منه الكفر خلقه لذلك وكم من عام يراد به الخصوص وقول المعتزلة بأن هذه لام العاقبة أى لما كان عاقبتهم جهنم جعل كأنهم خلقوا لها فرارا عن إرادة المعاصى عدول عن الظاهر (لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا) الحق ولا يتفكرون فيه (وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا) الرشد (وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا) الوعظ (أُوْلَٰئِكَ كَالْأَنْعَٰمِ) فى عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتفكر (بَلْ هُمْ أَضَلُّ) من الأنعام لأنهم كابروا العقول وعاندوا الرسول وارتكبوا الفضول فالأنعام تطلب منافعها وتهرب عن مضارها وهم لا يعلمون مضارهم حيث اختاروا النار وكيف يستوى المكلف المأمور والمخلى المعذور فالآدمى روحانى شهوانى سماوى أرضى فإن غلب روحه هواه فاق ملائكة السماوات وإن غلب هواه روحه فاقته بهائم الأرض (أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ) الكاملون فى الغفلة (وَلِلَّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَىٰ) التى هى أحسن الأسماء لأنها تدل على معان حسنة فمنها مايستحقه بحقائقه كالقديم قبل كل شىء والباقى بعد كل شىء والقادر على كل شىء والعالم بكل شىء والواحد الذى ليس كمثله شىء ومنها ما تستحسنه الأنفس لآثارها كالغفور والرحيم والشكور والحليم ومنها ما يوجب التخلق به كالفضل والعفو ومنها مايوجب مراقبة الأحوال كالسميع والبصير والمقتدر ومنها مايوجب الإجلال كالعظيم والجبار والمتكبر (فَادْعُوهُ بِهَا) فسموه بتلك الأسماء (وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِ) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه نحو أن يقولوا ياسخى يارفيق لأنه لم يسم نفسه بذلك ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة يلحدون حمزة لحد والحد مال (سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ) للجنة لأنه فى مقابلة ولقد ذرأنا لجهنم (أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) فى أحكامهم قيل هم العلماء والدعاة إلى الدين وفيه دلالة على إن إجماع كل عصر حجة (وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم) سنستدنيهم قليلا قليلا إلى مايهلكهم (مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ) ما يراد بهم وذلك أن يواتر الله نعمه عليهم مع انهما كهم فى الغى فكلما جدد الله عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون

فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين أن ترادف النعم أثرة من الله تعالى وتقريب وإنما هو خذلان منه وتبعيد وهو استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد أوالاستنزال درجة بعد درجة (وَأُمْلِي لَهُمْ) عطف على سنستدرجهم وهو غير داخل فى حكم السين أى أمهلهم (إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ) أخذى شديد، سماه كيدا لأنه شبيه بالكيد من حيث أنه فى الظاهر إحسان وفى الحقيقة خذلان ولما نسبوا النبي ﷺ إلى الجنون نزل (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ) محمد عليه السلام وما نافية بعدوقف أى أولم يتفكروا فى قولهم ثم نفى عنه الجنون بقوله مابصاحبهم (مِّن جِنَّةٍ) جنون (إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) منذر من الله موضح إنذاره (أَوَلَمْ يَنظُرُوا) نظر استدلال (فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) الملكوت الملك العظيم (وَمَا خَلَقَ اللهُ مِن شَيْءٍ) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من أجناس لا يحصرها العدد (وَأَنْ عَسَى) أن مخففة من الثقيلة وأصله وأنه عسى والضمير ضمير الشأن وهو فى موضع الجر بالعطف على ملكوت، والمعنى أولم ينظروا فى أن الشأن والحديث عسى (أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا إلى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مفاجأة الأجل وحلول العقاب (فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ) بعد القرآن (يُؤْمِنُونَ) إذا لم يؤمنوا به وهو متعلق بعسى أن يكون قد اقترب أجلهم كأنه قيل لعل أجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الإيمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وبأى حديث أحق منه يريدون أن يؤمنوا (مَن يُضْلِلِ اللهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ) أى يضلله الله (وَيَذَرُهُمْ) بالياء عراق وبالجزم حمزة وعلى عطفا على محل فلاهادى له كأنه قيل من يضلل الله لا يهده أحد ويذرهم والرفع على الاستئناف أى وهو يذرهم. الباقون بالنون (فِي طُغْيَانِهِمْ) كفرهم (يَعْمَهُونَ) يتحيرون ولما سألت اليهود أو قريش عن الساعة متى تكون نزل (يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ) وهى من الأسماء الغالبة كالنجم للثريا. وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة أو لسرعة حسابها أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (أَيَّانَ) متى واشتقاقه من أى فعلان منه لأن معناه أى وقت (مُرْسَاهَا) إرساؤها مصدر مثل المدخل بمعنى الإدخال أو وقت إرسائها أى إثباتها والمعنى متى يرسيها الله (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي) أى علم وقت إرسائها عنده قد استأثر به لم يخبر به أحدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك أدعى إلى الطاعة وأزجر عن المعصية كما

أخفى الأجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ) لا يظهر أمرها ولا يكشف خفاء علمها إلا هو وحده (ثَقُلَتْ فِى السَّمَوَٰتِ وَالْأَرْضِ) أى كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شأن الساعة ويتمنى أن يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه أو ثقلت فيها لأن أهلها يخافون شدائدها وأهوالها (لَا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً) فجأة على غفلة منكم (يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا) كأنك عالم بها وحقيقته كأنك بليغ فى السؤال عنها لأن من بالغ فى المسئلة عن الشىء والتنقير عنه استحكم علمه فيه وأصل هذا التركيب المبالغة ومنه إحفاء الشارب أو عنها متعلق بيسئلونك أى يسئلونك عنها كأنك حفى أى عالم بها (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ) وكرر يسئلونك وإنما علمها عند الله للتأكيد ولزيادة كأنك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة، منهم محمد بن الحسن رحمه الله (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) أنه المختص بالعلم بها (قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَآءَ اللهُ) هو إظهار للعبودية وبراءة عما يختص بالربوبية من علم الغيب أى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسى اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك إلا ما شاء مالكى من النفع لى والدفع عنى (وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ السُّوٓءُ) أى لكانت حالى على خلاف ما هى عليه من استكثار الخير واجتناب السوء والمضار حتى لا يمسنى شىء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا أخرى فى الحروب. وقيل الغيب الأجل والخير العمل والسوء الوجل وقيل لاستكثرت لاعتددت من الخصب للجدب .والسوء الفقر وقد رد (إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) إن أنا إلا عبد أرسلت نذيرا وبشيرا وما من شأنى أن أعلم الغيب واللام فى (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يتعلق بالنذير والبشير لأن النذارة والبشارة إنما ينفعان فيهم أو بالبشير وحده والمتعلق بالنذير محذوف أى إلا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (هُوَ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ) هى نفس آدم عليه السلام (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من أضلاعه (لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) ليطمئن ويميل لأن الجنس إلى الجنس أميل خصوصا إذا كان بعضا منه كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه. وذكر ليسكن بعدما أنث فى قوله واحدة وخلق منها زوجها ذهابا إلى معنى النفس ليبين أن المراد بها آدم (فَلَمَّا تَغَشَّٰهَا) جامعها (حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا) خف عليها

ولم تلق منه مايلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والأذى ولم تستثقله كما يستثقلنه (فَمَرَّتْ بِهِ) فمضت به إلى وقت ميلاده من غير إخداج ولا إزلاق أو حملت حملا خفيفا يعنى النطفة فمرت به فقامت به وقعدت (فَلَمَّآ أَثْقَلَت) حان وقت ثقل حملها (دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا) دعا آدم وحواء ربهما ومالك أمرهما الذى هو الحقيق بأن يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا) لئن وهبت لنا ولدا سويا قد صلح بدنه أو ولدا ذكراً لأن الذكورة من الصلاح (لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ) لك والضمير فى آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا) أعطاهما ما طلباه من الولد الصالح السوى (جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ) أى جعل أولادهما له شركاء على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه وكذلك (فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا) أى آتى أولادهما دليله (فَتَعَٰلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى إشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم أولادهم بعبد العزى وعبد مناف وعبد شمس ونحو ذلك مكان عبدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله ﷺ وهم آل قصى أى هو الذى خلقكم من نفس واحدة قصى وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن إليها فلما آتاهما ماطلبا من الولد الصالح السوى جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصى وعبدالدار والضمير فى أيشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك. شركا مدنى وأبو بكر أى ذوى شرك وهم الشركاء (أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا) يعنى الأصنام (وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أجريت الأصنام مجرى أولى العلم بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم إياها آلهة، والمعنى أيشركون مالا يقدر على خلق شىء وهم يخلقون لأن الله خالقهم أو الضمير فى وهم يخلقون للعابدين أى أيشركون مالا يخلق شيئاً وهم مخلوقو الله فليعبدوا خالقهم أو للعابدين والمعبودين وجمعهم كأولى العلم تغليبا للعابدين (وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ) لعبدتهم (نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ) فيدفعون عنها مايعتريها من الحوادث كالكسر وغيره بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم (وَإِن تَدْعُوهُمْ) وإن تدعوا هذه الأصنام (إِلَى الْهُدَىٰ) إلى ماهو هدى ورشاد أو إلى أن يهدوكم أى وإن تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى (لَا يَتَّبِعُوكُمْ) إلى مرادكم

وطلبتكم ولايجيبوكم كما يحييكم الله. لايتبعوكم نافع (سَوَآءٌ عَلَيْـكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَـٰمِتُونَ) عن دعائهم فى أنه لافلاح معهم ولا يجيبونـكم والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية لرءوس الآى (إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أى تعبدونهم وتسمونهم آلهة (عِبَادٌ أَمْثَالُـكُمْ) أى مخلوقون مملوكون أمثـالـكم (فَادْعُوهُمْ) لجلب نفع أو دفع ضر (فَلْيَسْتَجِيبُوا لَـكُمْ) فليجيبوا (إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ) فى أنهم آلهة ثم أبطل أن يكونوا عباداً أمثالهم فقال (أَلَهُـمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا) مشيكم (أَمْ لَهُـمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا) يتناولون بها (أَمْ لَهُـمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أى فلم تعبدون ماهو دونـكم (قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ) واستعينوا بهم فى عداوتى (ثُمَّ كِيدُونِ) جميعا أنتم وشركاؤكم وبالياء يعقوب وافقه أبو عمرو فى الوصل (فَلَا تُنظِرُونِ) فإنى لاأبالى بكم وكانوا قد خوفوه آلهتهم فأمر أن يخاطبهم بذلك وبالياء يعقوب (إِنَّ وَلِـيِّيَ) ناصرى عليكم (ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْـكِتَـٰبَ) أوحى إلىّ وأعزنى برسالته (وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّـٰلِحِينَ) ومن سنته أن ينصر الصالحين من عباده ولايخذلهم (وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ) من دون الله (لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ) يشبهون الناظرين إليك لأنهم صوروا أصنامهم بصورة من قلب حدقته إلى الشىء ينظر إليه (وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) المرئى (خُذِ ٱلْعَفْوَ) هو ضد الجهد أى ماعفا لك من أخلاق الناس وأفعالهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لاينفروا كقوله عليه السلام «يسروا ولاتعسروا» (وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ) بالمعروف والجميل من الأفعال أو هو كل خصلة يرتضيها العقل ويقبلها الشرع (وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ) ولا تـكافىء السفهاء بمثـل سفههم ولا تمارهم واحلم عليهم، وفسرها جبريل عليه السلام بقوله: صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمن ظلمك. وعن الصادق أمر الله نبيه عليه السلام بمكارم الأخلاق وليس فى القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ نَزْغٌ) وإما ينخسنك منه نخس أى بأن يحملك بوسوسته على خلاف ماأمرت به (فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ) ولاتطعه والنزغ: النخس كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصى وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول أبى بكر رضى الله عنه إن لى شيطانا يعترينى (إِنَّهُ سَمِيعٌ) لنزغه (عَلِيمٌ)

بدفعه (إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ) طيف مكى وبصرى وعلىّ أى لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا وعن أبى عمرو هما واحد وهى الوسوسة وهذا تأكيد لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وأن عادة المتقين إذا أصابهم أدنى نزغ من الشيطان وإلمام بوسوسته (تَذَكَّرُوا) ما أمر الله به ونهى عنه (فَإِذَاهُم مُّبْصِرُونَ) فأبصروا السداد ودفعوا وسوسته. وحقيقته أن يفروا منه إلى الله فيزدادوا بصيرة من الله بالله (وَإِخْوَٰنُهُمْ) وأما إخوان الشياطين من شياطين الإنس فإن الشياطين (يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ) أى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم يمدونهم من الإمداد مدنى (ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وجاز أن يراد بالإخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به إلى الجاهلين والأول أوجه لأن إخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا وإنما جمع الضمير فى إخوانهم والشيطان مفرد لأن المراد به الجنس (وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِـَٔايَةٍ) مقترحة (قَالُوا لَوْلَا ٱجْتَبَيْتَهَا) هلا اخترتها أى اختلقتها كما اختلقت ماقبلها (قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى) ولست بمقترح لها (هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ) هذا القرآن دلائل تبصركم وجوه الحق (وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا لَهُۥ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) ظاهره وجوب الاستماع والإنصات وقت قراءة القرآن فى الصلاة وغيرها وقيل معناه إذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وجمهور الصحابة رضى الله عنهم على أنه فى استماع المؤتم وقيل فى استماع الخطبة وقيل فيهما وهو الأصح (وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ) هو عام فى الأذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تَضَرُّعًا وَخِيفَةً) متضرعا وخائفا (وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ) ومتكلما كلاما دون الجهر لأن الإخفاء أدخل فى الإخلاص وأقرب إلى حسن التفكر (بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ) لفضل هذين الوقتين وقيل المراد إدامة الذكر باستقامة الفكر ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات، والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل وهو العشى (وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ) من الذين يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه (إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ) مكانة ومنزلة لا مكانا ومنزلا يعنى الملائكة (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ) لا يتعظمون عنها (وَيُسَبِّحُونَهُۥ) وينزهونه عما لا يليق به (وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره والله أعلم .

﴿ سورة الأنفال مدنية وهى خمس أو ست أو سبع وسبعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) النفل الغنيمة لأنها من فضل الله وعطائه والأنفال الغنائم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله كيف نقسم ولمن الحكم فى قسمتها للمهاجرين أم للأنصار أم لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم مايشاء ليس لأحد غيره فيها حكم ومعنى الجمع بين ذكر الله والرسول أن حكمها مختص بالله ورسوله يأمر الله بقسمتها على ماتقتضيه حكمته ويمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الأمر فى قسمتها مفوضا إلى رأى أحد (فَاتَّقُوا اللَّهَ) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متآخين فى الله (وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ) أحوال بينكم يعنى مابينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق وقال الزجاج: معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم والبين الوصل أى فاتقوا الله وكونوا مجتمعين على ما أمر الله ورسوله به قال عبادة بن الصامت رضى الله عنه نزلت فينا يامعشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقنا فنزعه الله من أيدينا فجعله لرسول الله ﷺ فقسمه بين المسلمين على السواء (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فيما أمرتم به فى الغنائم وغيرها (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) كاملى الإيمان (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ) إنما الكاملو الإيمان (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ) فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزه وسلطانه (وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُهُ) أى القرآن (زَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة لأن تظاهر الأدلة أقوى للمدلول عليه وأثبت لقدمه أو زادتهم إيماناً بتلك الآيات لأنهم لم يؤمنوا بأحكامها قبل (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) يعتمدون ولا يفوضون أمورهم إلى غير ربهم لايخشون ولا يرجون إلا إياه (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ) جمع بين أعمال القلوب من الوجل والإخلاص والتوكل وبين أعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (أُوْلَـٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) هو صفة لمصدر محذوف أى أولئك هم المؤمنون إيمانا حقا أوهو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا أى حق ذلك حقا. وعن الحسن رحمه الله أن رجلا سأله أمؤمن أنت

قال إن كنت تسألنى عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن وإن كنت تسألنى عن قوله: إنما المؤمنون الآية فلا أدرى أنا منهم أم لا وعن الثورى من زعم أنه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد أنه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية أى كما لا يقطع بأنه من أهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بأنه مؤمن حقا وبهذا يتشبث من من يقول أنا مؤمن إن شاء الله وكان أبو حنيفة رحمه الله لا يقول ذلك وقال لقتادة لم تستثنى فى إيمانك قال اتباعا لإبراهيم فى قوله والذى أطمع أن يغفرلى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله أولم تؤمن قال بلى، وعن ابراهيم التيمى قل أنا مؤمن حقاً فإن صدقت أثبت عليه وإن كذبت فكفرك أشد من كذبك، وعن ابن عباس رضى الله عنهما من لم يكن منافقا فهو مؤمن حقا وقد احتج عبد الله على أحمد فقال إيش اسمك فقال أحمد فقال أتقول أنا أحمد حقا أو أنا أحمد إن شاء الله فقال أنا أحمد حقا فقال حيث سماك والداك لا تستثنى وقد سماك الله فى القرآن مؤمنا تستثنى (لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ) مراتب بعضها فوق بعض على قدر الأعمال (عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ) وتجاوز لسيآتهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) صاف عن كد الاكتساب وخوف الحساب. الكاف فى (كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ) فى محل النصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر والتقدير قل الأنفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات إخراج ربك إياك من بيتك وهم كارهون (مِن بَيْتِكَ) يريد بيته بالمدينة أو المدينة نفسها لأنها مهاجره ومسكنه فهى فى اختصاصها به كاختصاص البيت لساكنه (بِالْحَقِّ) إخراجا متلبسا بالحكمة والصواب (وَإِنَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ) فى موضع الحال أى أخرجك فى حال كراهتهم وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها أربعون راكبا منهم أبو سفيان فأخبر جبريل النبى عليه السلام فأخبر أصحابه فأعجبهم تلقى العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا علمت قريش بذلك فخرج أبو جهل بجميع أهل مكة وهو النفير فى المثل السائر: لا فى العير ولا فى النفير. فقيل له إن العير أخذت طريق الساحل ونجت فأبى وسار بمن معه إلى بدر وهو ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما فى السنة ونزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشاً فاستشار النبى ﷺ أصحابه وقال العير «أحب إليكم أم النفير» قالوا بل العير أحب إلينا من لقاء العدو

فتغير وجه رسول الله ﷺ ثم ردّد عليهم فقال «إن العير قد مضت على ساحل البحر وهذا أبوجهل قد أقبل» فقالوا يارسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر رضى الله عنهما فأحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر أمرك فامض فوالله لو سرت إلى عدن أبين ما تخلف عنك رجل من الأنصار ثم قال المقداد بن عمرو امض لما أمرك الله فإنا معك حيث أحببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون مادامت عين منا تطرف فضحك رسول الله ﷺ وقال سعد بن معاذ امض يارسول الله لما أردت فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر لخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد فسربنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشطه قول سعد ثم قال «سيروا على بركة الله أبشروا فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم» وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وإن فريقا من المؤمنين لكارهون قال الشيخ أبو منصور رحمه الله يحتمل أنهم منافقون كرهوا ذلك اعتقادا ويحتمل أن يكونوا مخلصين وأن يكون ذلك كراهة طبع لأنهم غير متأهبين له (يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ) الحق الذى جادلوا فيه رسول الله ﷺ تلقى النفير لإيثارهم عليه تلقى العير (بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ) بعد إعلام رسول الله ﷺ بأنهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا إلا للعير وهلا قلت لنا لنستعد وذلك لكراهتهم القتال (كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ) شبه حالهم فى فرط فزعهم وهم يسار بهم إلى الظفر والغنيمة بحال من يعتل إلى القتل ويساق على الصغار إلى الموت وهو مشاهد لأسبابه ناظر إليها لايشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وإنهم كانوا رجالة وما كان فيهم إلا فارسان (وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ) إذ منصوب باذكر وإحدى مفعول ثان (أَنَّهَا لَكُمْ) بدل من إحدى الطائفتين وهما العير والنفير والتقدير وإذ يعدكم الله أن إحدى الطائفتين لكم (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ) أى العير وذات الشوكة ذات السلاح والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم أى تتمنون أن تكون لكم العير لأنها الطائفة التى لا سلاح لها ولا تريدون الطائفة الأخرى (وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ) أى يثبته ويعليه (بِكَلِمَٰتِهِ) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما أمر الملائكة

من نزولهم للنصرة وبما قضى من قتلهم وطرحهم فى قليب بدر (وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ) آخرهم والدابر الآخر فاعل من دبر إذا أدبر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور والله تعالى يريد معالى الأمور ونصرة الحق وعلو الكلمة وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وأعزكم وأذلهم (لِيُحِقَّ الْحَقَّ) متعلق بيقطع أو بمحذوف تقديره ليحق الحق (وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) فعل ذلك والمقدر متأخر ليفيد الاختصاص أى مافعله إلا لهما وهو إثبات الإسلام وإظهاره وإبطال الكفر ومحقه وليس هذا بتكرار لأن الأول تميز بين الإرادتين وهذا بيان لمراده فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) المشركون ذلك (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ) بدل من إذ يعدكم أو متعلق بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم أنهم لما علموا أنه لابد من القتال طفقوا يدعون الله يقولون أى ربنا انصرنا على عدوك ياغياث المستغيثين أغثنا وهى طلب الغوث وهو التخليص من المكروه (فَاسْتَجَابَ لَكُمْ) فأجاب وأصل (أَنِّي مُمِدُّكُم) بأنى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله (بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ) ـ مردَفين ـ مدنى غيره بكسر الدال فالكسر على أنهم أردفوا غيرهم والفتح على أنه أردف كل ملك ملكا آخر يقال ردفه إذا تبعه وأردفته إياه إذا اتبعته (وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ) أى الإمداد الذى دل عليه ممدكم (إِلَّا بُشْرَىٰ) إلا بشارة لكم بالنصر (وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ) يعنى أنكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم فكان الإمداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ) أى ولا تحسبوا النصر من الملائكة فإن الناصر هو الله لكم وللملائكة أو وما النصر من الملائكة وغيرهم من الأسباب إلا من عند الله والمنصور من نصره الله واختلف فى قتال الملائكة يوم بدر فقيل نزل جبريل عليه السلام فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها أبو بكر رضى الله عنه وميكائل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على رضى الله عنه فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد أرخوا أذنابها بين أكتافهم فقاتلت حتى قال أبو جهل لابن مسعود من أين كان يأتينا الضرب ولا نرى الشخص قال من قبل الملائكة قال فهم غلبونا لا أنتم وقيل لم يقاتلوا وإنما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين وإلا فملك واحد كاف فى إهلاك أهل الدنيا

(إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) بنصر أوليائه (حَكِيمٌ) بقهر أعدائه (إِذْ يُغَشِّيكُمْ) بدل ثان من إذ يعدكم أو منصوب بالنصر أو بإضمار اذكر. يغْشيكم مدنى (النُّعَاسَ) النوم والفاعل هو الله على القراءتين. يغشاكم النعاس مكى وأبوعمرو (أَمَنَةً) مفعول له أى إذ تنعسون أمنة بمعنى أمنا أى لأمنكم أو مصدر أى فأمنتم أمنة فالنوم يزيح الرعب ويريح النفس (مِّنْهُ) صفة لها أى أمنة حاصلة لكم من الله (وَيُنَزِّلُ) بالتخفيف مكى وبصرى وبالتشديد غيرهم (عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا (لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ) بالماء من الحدث والجنابة (وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ) وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش أو الجنابة من الاحتلام لأنه من الشيطان وقد وسوس إليهم أن لا نصرة مع الجنابة (وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ) بالصبر (وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ) أى بالماء إذ الأقدام كانت تسوخ فى الرمل أو بالربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر يثبت القدم فى مواطن القتال (إِذْ يُوحِي) بدل ثالث من إذ يعدكم أو منصوب بيثبت (رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ) بالنصر (فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا) بالبشرى وكان الملك يسير أمام الصف فى صورة رجل ويقول أبشروا فإن الله ناصركم (سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ) هو امتلاء القلب من الخوف والرعُب شامى وعلى (فَاضْرِبُوا) أمر للمؤمنين أو للملائكة وفيه دليل على أنهم قاتلوا (فَوْقَ الْأَعْنَاقِ) أى أعالى الأعناق التى هى المذابح تطييرا للرءوس أو أراد الرءوس لأنها فوق الأعناق يعنى ضرب الهام (وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ) هى الأصابع يريد الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما أن يقع على مقتل أو غير مقتل فأمرهم أن يجمعوا عليهم النوعين (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ما أصابهم من الضرب والقتل والعقاب العاجل وهو مبتدأ خبره (بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) أى ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم أى مخالفتهم وهى مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين فى شق خلاف شق صاحبه وكذا المعاداة والمخاصمة لأن هذا فى عدوة وخُصم أى جانب وذاك فى عدوة وخصم (وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) والكاف فى ذلك لخطاب الرسول أو لكل أحد وفى ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات، ومحله الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب (ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ)

والواو في(وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ) بمعنى مع أي ذوقوا هذاالعذاب العاجل مع الآجل الذي لـكم فيالآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا) حال من الذين كفروا. والزحف الجيش الذي يرى لـكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيباً من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا سمي بالمصدر (فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ) فلا تنصرفوا عنهم منهزمين أي إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير وأنتم قليل فلا تفروا فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من المؤمنين أو من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين هم وأنتم (وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا) مائلا (لِّقِتَالٍ) هو الـكر بعد الفر يخيل عدوه أنه منهزم ثم يعطف عليه وهو من خدع الحرب (أَوْ مُتَحَيِّزًا) منضما (إِلَىٰ فِئَةٍ) إلى جماعة من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وهما حالان من ضمير الفاعل في يولهم (فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ووزن متحيز متفيعل لامتفعل لأنه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز ولما كسروا أهـل مكة وقتلوا وأسروا وكان القاتل منهم يقول تفاخراً قتلت وأسرت قيل لهم (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ) والفاء جواب لشرط محذوف تقديره إن افتخرتم بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولـكن الله قتلهم. ولما قال جبريل للنبي ﷺ : خذ قبضة من تراب فارمهم بها فرمى بها في وجوههم وقال «شاهت الوجوه» فلم يبق مشرك إلا شغل بعينه فانهزموا قيل (وَمَا رَمَيْتَ) يا محمد (إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ) يعني أن الرمية التي رميتها أنت لم ترمها أنت على الحقيقة لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولـكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الأثر العظيم، وفي الآية بيان ان فعل العبد مضاف إليه كسبا وإلى الله تعالى خلقا لا كما تقول الجبرية والمعتزلة لأنه أثبت الفعل من العبد بقوله إذ رميت ثم نفاه عنه وأثبته لله تعالى بقوله ولـكن الله رمى ، ولـكن الله قتلهم، ولـكن الله رمى بتخفيف لـكن شامي وحمزة وعلي (وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ) وليعطيهم (مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا) عطاء جميلا والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعل إلا لذلك (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لدعائهم (عَلِيمٌ) بأحوالهم (ذَٰلِكُمْ) إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الأمر ذلـكم (وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَـٰفِرِينَ) معطوف على ذلـكم أي المراد إبلاء المؤمنين وتوهين

كيدالكافرين. مُوَهِّن كيد شامى و كوفى غيرحفص موهن كيد حفص، موهنٌ غيرهم (إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ) إن تستنصروا فقد جاءكم النصر عليكم وهو خطاب لأهل مكة لأنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على الحق فانصرنا وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وإن تنتهوا للكافرين أى (وَإِن تَنتَهُوا) عن عداوة رسول الله ﷺ (فَهُوَ) أى الانتهاء (خَيْرٌ لَّكُمْ) وأسلم (وَإِن تَعُودُوا) لمحاربته (نَعُدْ) لنصرته عليكم (وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ) جمعكم (شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ) عدداً (وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ) بالفتح مدنى وشامى وحفص أى ولأن الله مع المؤمنين بالنصر كان ذلك وبالكسر غيرهم ويؤيده قراءة عبدالله والله مع المؤمنين (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ) عن رسول الله ﷺ لأن المعنى أطيعوا رسول الله كقوله: والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله فكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع فى فلان أو يرجع الضمير إلى الأمر بالطاعة أى ولا تولوا عن هذا الأمر وأمثاله وأصله ولا تتولوا فحذف إحدى التاءين تخفيفا (وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ) أى وأنتم تسمعونه أو ولا تتولوا عن رسول ﷺ ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أى تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا) أى ادعوا السماع وهم المنافقون وأهل الكتاب (وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها أشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال (إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) أى إن شر من يدب على وجه الأرض البهائم وإن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها لأنهم عاندوا بعد الفهم وكابروا بعد العقل (وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ) فى هؤلاء الصم البكم (خَيْرًا)صدقاً ورغبة (لَّأَسْمَعَهُمْ) لجعلهم سامعين حتى يسمعوا سماع المصدقين (وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا) عنه أى ولو أسمعهم وصدقوا لارتدوا بعد ذلك ولم يستقيموا (وَّهُم مُّعْرِضُونَ) عن الإيمان (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ) وحد الضمير أيضا كما وحده

فيما قبله لأن استجابة رسول الله ﷺ كاستجابته والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض (لِمَا يُحْيِيكُمْ) من علوم الديانات والشرائع لأن العلم حياة كما أن الجهل موت قال الشاعر :

لاتعجبنّ الجهول حلته ... فذاك ميت وثوبه كفن

أو لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم أو للشهادة لقوله تعالى بل أحياء عند ربهم (وَاعْلَمُوٓا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) أى يميته فتفوته الفرصة التى هو واجدها وهى التمكن من إخلاص القلب فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله أو بينه وبين ما تمناه بقلبه من طول الحياة فيفسخ عزائمه (وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) واعلموا أنكم إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة (وَاتَّقُوا فِتْنَةً) عذابا (لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً) هوجواب للأمر أى إن أصابتكم لاتصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وجاز أن تدخل النون المؤكدة فى جواب الأمر لأن فيه معنى النهى كما إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك وجاز لاتطرحنك ومن فى منكم للتبعيض (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) إذا عاقب (وَاذْكُرُوٓا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ) إذ مفعول به لا ظرف أى واذكروا وقت كونكم أقلة أذلة (مُّسْتَضْعَفُونَ فِى الْأَرْضِ) أرض مكة قبل الهجرة : أتستضعفكم قريش (تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ) لأن الناس كانوا لهم أعداء مضادين (فَـَٔاوَىٰكُمْ) إلى المدينة (وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ) بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ) من الغنائم ولم تحل لأحد قبلكم (لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم (يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَخُونُوا اللهَ) بأن تعطلوا فرائضه (وَالرَّسُولَ) بأن لا تستنوا به (وَتَخُونُوٓا) جزم عطف على لاتخونوا أى ولا تخونوا (أَمَٰنَٰتِكُمْ) فيما بينكم بأن لا تحفظوها (وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) تبعة ذلك ووباله أو وأنتم تعلمون أنكم تخونون يعنى أن الخيانة توجد منكم عن تعمد لاعن سهو أو وأنتم علماء تعلمون حسن الحسن وقبح القبيح ومعنى الخون النقص كما أن معنى الإيفاء التمام ومنه تخوّنه إذا انتقصه ثم استعمل فى ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل فى شىء فقد أدخلت عليه النقصان فيه (وَاعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ) أى سبب الوقوع فى الفتنة وهى الإثم والعذاب أو

محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده (وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ) فعليكم أن تحرصوا على طلب ذلك وتزهدوا فى الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا) نصرا لأنه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر بإذلال حزبه والإسلام بإعزاز أهله أو بيانا وظهورا يشهر أمركم ويبث صيتكم وآثاركم فى أقطار الأرض من قولهم سطع الفرقان أى طلع الفجر أو مخرجا من الشبهات وشرحا للصدور أو تفرقة بينكم وبين غيركم من أهل الأديان وفضلا ومزية فى الدنيا والآخرة (وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ) أى الصغائر (وَيَغْفِرْ لَكُمْ) ذنوبكم أى الكبائر (وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) على عباده (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا) لما فتح الله عليه ذكّره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم والمعنى واذكر إذ يمكرون بك وذلك أن قريشا لما أسلمت الأنصار فرقوا (١) أن يتفاقم أمره فاجتمعوا فى دار الندوة متشاورين فى أمره فدخل عليهم إبليس فى صورة شيخ وقال أنا شيخ من نجد دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال أبو البخترى رأيى أن تحبسو فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال إبليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من أيديكم فقال هشام بن عمرو رأيى أن تحملوه على جمل وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال إبليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال أبو جهل لعنه الله أنا أرى أن تأخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فإذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال اللعين صدق هذا الفتى هو أجودكم رأيا فتفرقوا على رأى أبى جهل مجتمعين على قتله فأخبر جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ وأمره أن لا يبيت فى مضجعه وأذن له الله فى الهجرة فأمر عليا فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فإنه لن يخلص إليك أمر تكرهه وباتوا مترصدين فلما أصبحوا ثاروا إلى مضجعه فأبصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتفوا أثره فأبطل الله مكرهم (لِيُثْبِتُوكَ) ليحبسوك ويوثقوك (أَوْ يَقْتُلُوكَ) بسيوفهم (أَوْ يُخْرِجُوكَ)

---

(١) الفرق: الخوف وقد فرق منه من باب طرب اه مختار

من مكة (وَيَمْكُرُونَ) ويخفون المكايد له (وَيَمْكُرُ اللَّهُ) ويخفى الله ما أعد لهم حتى يأتيهم بغتة (وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ) أى مكره أنفذ من مكر غيره وأبلغ تأثيرا. كان عليه السلام يقرأ القرآن ويذكر أخبار القرون الماضية فى قراءته فقال النضر بن الحارث لوشئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم وأحاديث العجم فنزل (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا) أى القرآن (قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ) وهذا صلف منهم ووقاحة لأنهم دعوا إلى أن يأتوا بسورة واحدة من مثل هذا القرآن فلم يأتوا به (وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا) أى القرآن (هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ) هذ اسم كان وهو فصل والحق خبر كان. روى أن النضر لما قال إن هذا إلا أساطير الأولين قال له النبى عليه الصلاة والسلام «ويلك هذا كلام الله» فرفع النضر رأسه إلى السماء وقال إن كان هذا هو الحق من عندك (فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ) أى إن كان القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل (أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) بنوع آخر من جنس العذاب الأليم فقتل يوم بدر صبرا وعن معاوية أنه قال لرجل من سبأ ماأجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومى قومك قالوا لرسول الله عليه السلام حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق فاهدنا له (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ) اللام لتأكيد النفى والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم لأنك بعثت رحمة للعالمين وسنته أن لايعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه إشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم (وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) هو فى موضع الحال ومعناه نفى الاستغفار عنهم أى ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم أو معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله ﷺ من المستضعفين (وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ) أى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم إذا فارقتهم ومالهم ألا يعذبهم الله (وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) وكيف لايعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله ﷺ عام الحديبية وإخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء فقيل (وَمَا كَانُوٓا أَوْلِيَآءَهُۥ)

وما استحقوا مع إشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمر الحرم (إِنْ أَوْلِيَآؤُهُ) إِلاَّ الْمُتَّقُونَ) من المسلمين وقيل الضميران راجعان إلى الله (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند أو أراد بالأكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَآءً) صفيرا كصوت المكاء وهو طائر مليح الصوت وهو فعال من مكا يمكو إذا صفر (وَتَصْدِيَةً)وتصفيقا تفعلة من الصدى وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك إذا قرأ رسول الله ﷺ فى صلاته يخلطون عليه (فَذُوقُوا الْعَذَابَ) عذاب القتل والأسر يوم بدر (بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ) بسبب كفركم . ونزل فى المطعمين يوم بدر وكانوا اثنى عشر رجلا وكلهم من قريش وكان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) أى كان غرضهم فى الإنفاق الصد عن اتباع محمد ﷺ وهو سبيل الله (فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً) ثم تكون عاقبة إنفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثُمَّ يُغْلَبُونَ) آخر الأمر وهو من دلائل النبوة لأنه أخبر عنه قبل وقوعه فكان كما أخبر (وَالَّذِينَ كَفَرُوٓا) والكافرون منهم (إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ) لأن منهم من أسلم وحسن إسلامه واللام فى (لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ) الفريق الخبيث من الكفار (مِنَ الطَّيِّبِ) أى من الفريق الطيب من المؤمنين متعلقة بيحشرون ليميز حمزة وعلى (وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ) الفريق الخبيث (بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا) فيجمعه (فَيَجْعَلَهُ فِى جَهَنَّمَ) أى الفريق الخبيث (أُولَٰئِكَ) إشارة إلى الفريق الخبيث (هُمُ الْخَٰسِرُونَ) أنفسهم وأموالهم (قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا) أى أبى سفيان وأصحابه (إِن يَنتَهُوا) عما هم عليه من عداوة رسول الله ﷺ وقتاله بالدخول فى الإسلام (يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ) لهم من العداوة (وَإِن يَعُودُوا) لقتاله (فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ) بالإهلاك فى الدنيا والعذاب فى العقبى أو معناه أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفرلهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى وبه احتج أبو حنيفة رحمه الله فى أن المرتد إذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة (وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ) إلى أن لا يوجد فيهم شرك قط (وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ) ويضمحل

عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الإسلام وحده (فَإِنِ انتَهَوْا) عن الكفر وأسلموا (فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) يثيبهم على إسلامهم (وَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإيمان ولم ينتهوا (فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (نِعْمَ الْمَوْلَىٰ) لا يضيع من تولاه (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) لا يغلب من نصره. والمخصوص بالمدح محذوف (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم) ما بمعنى الذى ولا يجوز أن يكتب إلا مفصولا إذ لو كتب موصولا لوجب أن تكون ما كافة وغنمتم صلته والعائد محذوف والتقدير الذى غنمتموه (مِّن شَيْءٍ) بيانه قيل حتى الخيط والمخيط (فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ) والفاء إنما دخلت لما فى الذى من معنى المجازاة وأن وما عملت فيه فى موضع رفع على أنه خبر مبتدأ تقديره فالحكم أن لله خمسه (وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ) فالخمس كان فى عهد رسول الله ﷺ يقسم على خمسة أسهم: سهم لرسول الله، وسهم لذوى قرابته من بنى هاشم وبنى المطلب دون بنى عبد شمس وبنى نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة لقصة عثمان وجبير بن مطعم، وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله ﷺ فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوى القربى وإنما يعطون لفقرهم ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان على ستة لله والرسول سهمان وسهم لأقاربه حتى قبض فأجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذا عمر ومن بعده من الخلفاء رضى الله عنهم ومعنى لله وللرسول لرسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه (إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ) فاعملوا به وارضوا بهذه القسمة فالإيمان يوجب الرضا بالحكم والعمل بالعلم (وَمَا أَنزَلْنَا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ) يوم بدر (يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ وهو بدل من يوم الفرقان (وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) يقدر على أن ينصر القليل على الكثير كما فعل بكم يوم بدر (إِذْ أَنتُم) بدل من يوم الفرقان أو التقدير اذكروا إذ أنتم (بِالْعُدْوَةِ) شط الوادى، وبالكسر فيهما مكى وأبو عمرو (الدُّنْيَا) القربى إلى جهة المدينة تأنيث الأدنى (وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ) البعدى عن المدينة تأنيث الأقصى وكلتاهما فعلى من بنات الواو والقياس قلب الواو ياء كالعليا تأنيث الأعلى وأما القصوى فكالقود فى مجيئه

على الأصل (وَالرَّكْبُ) أى العير وهو جمع راكب فى المعنى (أَسْفَلَ مِنكُمْ) نصب على الظرف أى مكانا أسفل من مكانكم يعنى فى أسفل الوادى بثلاثة أميال وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ (وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ) أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال (لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَٰدِ) لخالف بعضكم بعضاً فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد وثبطهم مافى قلوبهم من تهيب رسول الله ﷺ والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ماوفقه الله وسبب له (وَلَٰكِن) جمع بينكم بلاميعاد (لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)من إعزاز دينه وإعلاء كلمته أواللام تتعلق بمحذوف أى ليقضى الله أمراً كان ينبغى أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهرأعدائه دبر ذلك. قال الشيخ أبو منصور رحمه الله القضاء يحتمل الحكم أى ليحكم ماقد علم أنه يكون كائنا أوليتم أمراً كان قد أراده وما أراد كونه فهو مفعول لا محالة وهو عز الإسلام وأهله وذل الكفر وحزبه ويتعلق بيقضى (لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ) حيي نافع وأبو عمرو فالادغام لالتقاء المثلين والإظهار لأن حركة الثانى غير لازمة لأنك تقول فى المستقبل يحيا والإدغام أكثر. استعير الهلاك والحياة للكفر والإسلام أى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لاعن مخالجة شبهة حتى لايبقى له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك أن وقعة بدر من الآيات الواضحة التى من كفر بعدها كان مكابراً لنفسه مغالطا لها ولهذا ذكر فيها مراكز الفريقين وأن العير كانت أسفل منهم مع أنهم قد علموا ذلك كله مشاهدة ليعلم الخلق أن النصر والغلبة لاتكون بالكثرة والأسباب بل بالله تعالى وذلك أن العدوة القصوى التى أناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت أرضا لابأس بها ولاماء بالعدوة الدنيا وهى خبار[1] تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها إلا بتعب ومشقة وكان العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم وعدتهم وقلة المسلمين وضعفهم ثم كان ما كان (وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ) لأقوالهم (عَلِيمٌ) بكفر من كفر وعقابه وبإيمان من آمن وثوابه (إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ) نصب بإضمار اذكر أو هو متعلق بقوله لسميع عليم أى بعلم المصالح إذ يقللهم فى عينك (فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا) أى فى رؤياك وذلك أن الله تعالى أراه إياهم فى رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فكان ذلك تشجيعا لهم على

(١) فى القاموس الخبار كسحاب ما لان من الأرض واسترخى .

عدوهم (وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ) لجبنتم وهبتم الإقدام (وَلَتَنَازَعْتُمْ فِى الْأَمْرِ) أمر القتال وترددتم بين الثبات والفرار (وَلَٰكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ) عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ) الضميران مفعولان أى وإذ يبصركم إياهم (إِذِ الْتَقَيْتُمْ) وقت اللقاء (فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً) هو نصب على الحال وإنما قللهم فى أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله ﷺ وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين قال أراهم مائة وكانوا ألفا (وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ) حتى قال قائل منهم إنما هم أكلة جزور قيل قد قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا ويجوز أن يبصروا الكثير قليلا بأن يستر الله بعضهم بساتر أو يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث فى أعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا أرى هذين الديكين أربعة (لِيَقْضِىَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) فيحكم فيها بما يريد تَرجع شامى وحمزة وعلى (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً) إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك وصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم غالب للقتال (فَاثْبُتُوا) لقتالهم ولا تفروا (وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم : اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون قلبا وأكثر ما يكون هما وأن تكون نفسه مجتمعة لذلك وإن كانت متوزعة عن غيره (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) فى الأمر بالجهاد والثبات مع العدو وغيرها (وَلَا تَنَٰزَعُوا فَتَفْشَلُوا) فتجبنوا وهو منصوب بإضمار أن ويدل عليه (وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ) أى دولتكم يقال هبّت رياح فلان إذا دالت له الدولة ونفذ أمره شبهت فى نفوذ أمرها وتمشيته بالريح وهبوبها وقيل لم يكن نصر قط إلا بريح يبعثها الله وفى الحديث «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور» (وَاصْبِرُوا) فى القتال مع العدو وغيره (إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّٰبِرِينَ) أى معينهم وحافظهم (وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن

دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ النَّاسِ) هم أهل مكة حين نفروا لحماية العير فأتاهم رسول أبى سفيان أن ارجعوا فقد سلمت عيركم فأبى أبو جهل وقال حتى نقدم بدرا ونشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان ونطعم بها العرب فذلك بطرهم ورياؤهم الناس بإطعامهم فوافوها فسقوا كأس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم أن يكونوا مثلهم بطرين طربين مرائين بأعمالهم وأن يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله مخلصين أعمالهم لله والبطر أن تشغله كثرة النعمة عن شكرها (وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دين الله (وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) عالم وهو وعيد (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ) واذكر إذ زين لهم الشيطان أعمالهم التى عملوها فى معاداة رسول الله ﷺ ووسوس إليهم أنهم لا يغلبون وغالب مبنى نحو لا رجل ولكم فى موضع رفع خبر لا تقديره لا غالب كائن لكم (وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ) أى مجير لكم أوهمهم أن طاعة الشيطان مما يجيرهم (فَلَمَّا تَرَآءَتِ الْفِئَتَانِ) فلما تلاقى الفريقان (نَكَصَ) الشيطان هاربا (عَلَىٰ عَقِبَيْهِ) أى رجع القهقرى (وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ) أى رجعت عما ضمنت لكم من الأمان، روى أن إبليس تمثل لهم فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم فى جند من الشياطين معه راية فلما رأى الملائكة تنزل نكص فقال له الحارث بن هشام أتخذلنا فى هذه الحالة فقال (إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ) أى الملائكة وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ماشعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما أسلموا علموا أنه الشيطان (إِنِّىٓ أَخَافُ اللَّهَ) أى عقوبته (وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ) اذكروا (إِذْ يَقُولُ الْمُنَٰفِقُونَ) بالمدينة (وَالَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) هو من صفة المنافقين أو أريد والذين هم على حرف ليسوا بثابتى الأقدام فى الإسلام (غَرَّ هَٰؤُلَآءِ دِينُهُمْ) يعنون أن المسلمين اغتروا بدينهم فخرجوا وهم ثلثمائه وبضعة عشر إلى زهاء ألف ثم قال جوابا لهم (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) يكل إليه أمره (فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (حَكِيمٌ) لا يسوى بين وليه وعدوه (وَلَوْ تَرَىٰ) ولو عاينت وشاهدت لأن لو ترد المضارع إلى معنى الماضى كما ترد إن الماضى إلى معنى الاستقبال (إِذْ) نصب على الظرف (يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا) بقبض أرواحهم (الْمَلَٰٓئِكَةُ) فاعل (يَضْرِبُونَ) حال منهم (وُجُوهَهُمْ) إذا أقبلوا (وَأَدْبَٰرَهُمْ)

ظهورهم وأستاههم إذا أدبروا أو وجوههم عند الإقدام وأدبارهم عند الانهزام وقيل فى يتوفى ضمير الله تعالى والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر والأول الوجه لأن الكفار لا يستحقون أن يكون الله متوفيهم بلا واسطة دليله قراءة ابن عامر تتوفى بالتاء (وَذُوقُوا) ويقولون لهم ذوقوا معطوف على يضربون (عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى مقدمة عذاب النار أوذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به أويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف أى لرأيت أمرا فظيعا (ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ) أى كسبت وهو رد على الجبرية وهو من كلام الله تعالى أو من كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وَأَنَّ اللَّهَ) عطف عليه أى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبأن الله(لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)لأن تعذيب الكفار من العدل وقيل ظلام للتكثير لأجل العبيد أو لنفى أنواع الظلم. الكاف فى (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) فى محل الرفع أى دأب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دأبوا فيه أى داوموا عليه (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من قبل قريش أو من قبل آل فرعون (كَفَرُوا) تفسير لدأب آل فرعون (بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ) والمعنى جروا على عادتهم فى التكذيب فأجرى عليهم مثل ما فعل بهم فى التعذيب (ذَٰلِكَ) العذاب أو الانتقام (بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) بسبب أن الله لم يصح فى حكمته أن يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا مابهم من الحال نعم لم يكن لآل فرعون ومشركى مكة حال مرضية فيغيروها إلى حال مسخوطة لكن لما تغيرت الحال المرضية إلى المسخوطة تغيرت الحال المسخوطة إلى أسخط منها وأولئك كانوا قبل بعثة الرسول إليهم كفرة عبدة أصنام فلما بعث إليهم بالآيات فكذبوه وسعوا فى إراقة دمه غيروا حالهم إلى أسوأ مما كانت فغير الله ما أنعم به عليهم من الإمهال وعاجلهم بالعذاب (وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لما يقول مكذبو الرسل (عَلِيمٌ) بما يفعلون (كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ) تكرير للتأكيد أو لأن فى الأولى الأخذ بالذنوب بلا بيان ذلك وهنا بين أن ذلك هو الإهلاك والاستئصال (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) وفى قوله بآيات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق (فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ) بماء البحر (وَكُلٌّ) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش (كَانُوا ظَالِمِينَ) أنفسهم بالكفر والمعاصى

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى أصروا على الكفر فلا يتوقع منهم الإيمان (الَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لأن شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون وشر المصرين الناكثون للعهود (ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ) فى كل معاهدة (وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون بمافيه من العار والنار (فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى الْحَرْبِ) فإما تصادفنهم وتظفرن بهم (فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم . وقال الزجاج: افعل بهم ماتفرق به جمعهم وتطرد به من عداهم (لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ) معاهدين (خِيَانَةً) نكثا بأمارات تلوح لك (فَانبِذْ إِلَيْهِمْ) فاطرح إليهم العهد (عَلَىٰ سَوَآءٍ) على استواء منك ومنهم فى العلم بنقض العهد وهو حال من النابذ والمنبوذ إليهم أى حاصلين على استواء فى العلم (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَآئِنِينَ) الناقضين للعهود (وَلَا يَحْسَبَنَّ) بالياء وفتح السين شامى وحمزة ويزيد وحفص وبالتاء وفتح السين أبو بكر وبالتاء وكسر السين غيرهم (الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا) فاتوا وأفلتوا من أن يظفر بهم (إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ) إنهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن إدراكهم أنهم شامى أى لأنهم وكل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل غير أن المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح فمن قرأ بالتاء فالذين كفروا مفعول أول والثانى سبقوا ومن قرأ بالياء فالذين كفروا فاعل وسبقوا مفعول تقديره أن سبقوا فحذف أن وأن مخففة من الثقيلة أى أنهم سبقوا فسد مسد المفعولين أو يكون الفاعل مضمرا أى ولا يحسبن محمد الكافرين سابقين ومن ادعى تفرد حمزة بالقراءة ففيه نظر لمابيناه من عدم تفرده بها وعن الزهرى أنها نزلت فيمن أفلت من فل المشركين (وَأَعِدُّوا) أيها المؤمنون (لَهُم) الناقضى العهد أو لجميع الكفار (مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ) من كل مايتقوى به فى الحرب من عددها وفى الحديث «ألا إن القوة الرمى» قالها ثلاثا على المنبر وقيل هى الحصون (وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ) هو اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله أو هو جمع ربيط كفصيل وفصال وخص الخيل من بين مايتقوى به كقوله جبريل وميكال (تُرْهِبُونَ بِهِ) بمااستطعتم (عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)

أى أهـل مكة (وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ) غيرهم وهم اليهود أو المنافقون أو أهل فارس أو كفرة الجن فى الحديث «إن الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق» وروى أن صهيل الخيـل يرهب الجن (لَا تَعْلَمُونَهُمُ) لا تعرفونهم بأعيانهم (اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ) يوفر عليكم جزاؤه (وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) فى الجزاء بل تعطون على التمام (وَإِن جَنَحُوا) مالوا جنح له وإليه مال (لِلسَّلْمِ) للصلح وبكسر السين أبو بكر وهو مؤنث تأنيث ضدها وهو الحرب (فَاجْنَحْ لَهَا) فمل إليها (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ولا تخف من إبطانهم المكر فى جنوحهم إلى السلم فإن الله كافيك وعاصمك من مكرهم (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لأقـوالك (الْعَلِيمُ) بأحوالك (وَإِن يُرِيدُوٓا أَن يَخْدَعُوكَ) يمكروا ويغدروا (فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ) كافيك الله (هُوَ الَّذِىٓ أَيَّدَكَ) قواك (بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ) جميعا أو بالأنصار (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) قلوب الأوس والخزرج بعد تعاديهم مائة وعشرين سنة(لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ) أى بلغت عداوتهم مبلغا لو أنفق منفق فى إصلاح ذات بينهم مافى الأرض من الأموال لم يقدر عليه (وَلَـٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ) بفضله ورحمته وجمع بين كلمتهم بقدرته فأحدث بينهم التوادّ والتحابّ وأماط عنهم التباغض والتماقت (إِنَّهُ عَزِيزٌ) يقهر من يخدعونك (حَكِيمٌ) ينصر من يتبعونك (يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الواو بمعنى مع ومابعده منصوب والمعنى كفاك وكفى أتباعك من المؤمنين الله ناصرا. ويجوز أن يكون فى محل الرفع أى كفاك الله وكفاك أتباعك من المؤمنين قيل أسلم مع النبى ﷺ ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر فنزلت (يَـٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ) التحريض المبالغة فى الحث على الأمر من الحرض وهو أن ينهكه المرض حتى يشفى على الموت (إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا) هذه عدة من الله وبشارة بأن الجماعة من المؤمنين إن صبروا غلبوا عشرة أمثالهم من الـكفار بعون الله وتأييده (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) بسبب أن الـكفار قوم جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته بخلاف من يقاتل على بصيرة وهو يرجو النصر من الله قيل كان عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة ثم

ثقل عليهم ذلك فنسخ وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين بقوله (الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا) ضعفا عاصم وحمزة (فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ) بالياء فيهما كوفى وافقه البصرى فى الأولى والمراد الضعف فى البدن (يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ) وتكرير مقاومة الجماعة لأكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده للدلالة على أن الحال مع القلة والكثرة لا تتفاوت إذ الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين والمائة الألف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والألف الألفين (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ) ما صح له ولا استقام (أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ) أن تكون بصرى (حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ) الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة حتى يذل الكفر بإشاعة القتل فى أهله ويعز الإسلام بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك روى أن رسول الله ﷺ أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبى عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام «مثلك يا أبا بكر كمثل ابراهيم حيث قال ومن عصانى فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا» ثم قال رسول الله ﷺ لهم «إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم» فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية (تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا) متاعها يعنى الفداء سماه عرضا لقلة بقائه وسرعة فنائه (وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ) أى ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان فى القتل (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) يقهر الأعداء (حَكِيمٌ) فى عتاب الأولياء (لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ) لولا حكم من الله (سَبَقَ) أن لا يعذب أحدا على العمل بالاجتهاد وكان هذا اجتهادا منهم لأنهم نظروا فى أن استبقاءهم ربما كان سببا فى إسلامهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد وخفى عليهم إن قتلهم أعز للاسلام وأهيب لمن وراءهم أو ما كتب الله فى اللوح أن لا يعذب أهل بدر أو ألا يؤاخذ قبل البيان والإعذار وفيما ذكر من الاستشارة دلالة على جواز الاجتهاد فيكون حجة على منكرى القياس. كتاب

مبتدأ ومن الله صفته أى لولا كتاب ثابت من الله وسبق صفة أخرى له وخبر المبتدأ محذوف أى لولا كتاب بهذه الصفة فى الوجود وسبق لايجوز أن يكون خبرا لأن لولا لايظهر خبرها أبدا (لَمَسَّكُمْ) لنالكم وأصابكم (فِيمَآ أَخَذْتُمْ) من فداء الأسرى (عَذَابٌ عَظِيمٌ) روى أن عمر رضى الله عنه دخل على رسول الله ﷺ فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يارسول الله أخبرنى فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال «أبكى على أصحابك فى أخذهم الفداء ولقد عرض علىّ عذابهم أدنى من هذه الشجرة» لشجرة قريبة منه وروى أنه عليه السلام قال «لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ» لقوله كان الاثخان فى القتل أحب إلىّ (فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ) روى أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم والفاء للتسبيب والسبب محذوف ومعناه قد أحللت لكم الغنائم فكلوا (حَلَٰلًا) مطلقا عن العتاب والعقاب من حل العقال وهو نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أى أكلا حلالا (طَيِّبًا) لذيذا هنيئا أو حلالا بالشرع طيبا بالطبع (وَاتَّقُوا اللَّهَ) فلا تقدموا على شىء لم يعهد إليكم فيه (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لما فعلتم من قبل (رَّحِيمٌ) بإحلال ما غنمتم (يَٰٓأَيُّهَا النَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم) فى ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم (مِّنَ الْأَسْرَىٰٓ) جمع أسير من الأسارى أبو عمرو جمع أسرى (إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا) خلوص إيمان وصحة نية (يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ) من الفداء إما أن يخلفكم فى الدنيا أضعافه أو يثيبكم فى الآخرة (وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) روى أنه قدم على رسول الله ﷺ مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ منه ماقدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ منى وأرجو المغفرة وكان له عشرون عبدا وإن أدناهم ليتجر فى عشرين ألفا وكان يقول أنجز الله أحد الوعدين وأنا على ثقة من الآخر (وَإِن يُرِيدُوا) أى الأسرى (خِيَانَتَكَ) نكث مابايعوك عليه من الاسلام بالردة أو منع ماضمنوه من الفداء (فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ) فى كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه (فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ) فأمكنك منهم أى أظفرك بهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن عادوا إلى الخيانة (وَاللَّهُ

عَلِيمٌ) بالمآل (حَكِيمٌ) فيما أمر فى الحال (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا) من مكة حبا لله ورسوله (وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) هم المهاجرون (وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا) أى آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار (أُوْلَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ) أي يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة وبالنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض وقيل أراد به النصرة والمعاونة (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا) من مكة (مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم) من توليهم فى الميراث ولايتهم حمزة وقيل هما واحد (مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا) فكان لا يرث المؤمن الذى لم يهاجر ممن آمن وهاجر ولما أبقى للذين لم يهاجروا اسم الإيمان وكانت الهجرة فريضة فصاروا بتركها مرتكبين كبيرة دل على أن صاحب الكبيرة لا يخرج من الإيمان (وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ) أى من أسلم ولم يهاجر (فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ) أى إن وقع بينهم وبين الكفار قتال وطلبوا معونة فواجب عليكم أن تنصروهم على الكافرين (إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ) فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك (وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) تحذير عن تعدى حد الشرع (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ) ظاهره إثبات الموالاة بينهم ومعناه نهى المسلمين عن موالاة الكفار وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال(إِلَّا تَفْعَلُوهُ) أى إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تجعلوا قرابة الكفار كلا قرابة (تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) تحصل فتنة فى الأرض ومفسدة عظيمة لأن المسلمين مالم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا(وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوا أُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا) لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن والانسلاخ من المال والدنيا لأجل الدين والعقبى (لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) لامنة فيه ولا تنغيص ولا تكرار لأن

هذه الآية واردة للثناء عليهم مع الوعد الكريم والأولى للأمر بالتواصل (وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ) يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة (وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَٰئِكَ مِنكُمْ) جعلهم منهم تفضلا وترغيبا (وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) وأولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فِي كِتَٰبِ اللَّهِ) فى حكمه وقسمته أوفى اللوح أو فى القرآن وهو آية المواريث وهو دليل لنا على توريث ذوى الأرحام (إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) فيقضى بين عباده بماشاء من أحكامه قسم الناس أربعة أقسام قسم آمنوا وهاجروا وقسم آمنوا ونصروا وقسم آمنوا ولم يهاجروا وقسم كفروا ولم يؤمنوا .

﴿ سورة التوبة مدنية وهى مائة وتسع وعشرون آية كوفى ومائة وثلاثون غيره ﴾

لها أسماء: براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهى تقشقش من النفاق أى تبرئ منه وتبعثر عن أسرار المنافقين وتبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشردهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وفى ترك التسمية فى ابتدائها أقوال فعن على وابن عباس رضى الله عنهم أن بسم الله أمان وبراءة نزلت لرفع الأمان وعن عثمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه سورة أو آية قال اجعلوها فى الموضع الذى يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أين نضعها وكانت قصتها تشبه قصة الأنفال لأن فيها ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وتعدان السابعة من الطوال وهى سبع وقيل اختلف أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم: الأنفال وبراءة سورة واحدة نزلت فى القتال، وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة (بَرَآءَةٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هذه براءة (مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) من لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الذين أى هذه براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان إلى فلان أو مبتدأ لتخصيصها بصفتها والخبر إلى الذين عاهدتم كقولك رجل من بنى تميم فى الدار والمعنى أن الله ورسوله قد

برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وأنه منبوذ إليهم (فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ) فسيروا فى الأرض كيف شئتم والسيح: السير على مهل، روى أنهم عاهدوا المشركين من أهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا إلا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد إلى الناكثين وأمروا أن يسيحوا فى الأرض أربعة أشهر آمنين أين شاءوا لا يتعرض لهم وهى الأشهر الحرم فى قوله فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين وذلك لصيانة الأشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الأمير فيها عتاب بن أسيد وأمّر رسول الله ﷺ أبا بكر على موسم سنة تسع ثم أتبعه عليا راكب العضباء ليقرأها على أهل الموسم فقيل له لو بعثت بها إلى أبى بكر فقال لا يؤدّى عنى إلا رجل منى فلما دنا على سمع أبو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله ﷺ فلما لحقه قال أمير أو مأمور قال مأمور فلما كان قبل التروية خطب أبو بكر وحثهم على مناسكهم وقام علىّ يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا أيها الناس: إنى رسول رسول الله إليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين أو أربعين آية ثم قال أمرت بأربع أن لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة إلا كل نفس مؤمنة وأن يتم إلى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على أبلغ ابن عمك أنا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وأنه ليس بيننا وبينه عهد إلا طعن بالرماح وضرب بالسيوف والأشهر الأربعة شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم أو عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشر من ربيع الآخر وكانت حرما لأنهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم أو على التغليب لأن ذا الحجة والمحرم منها والجمهور على إباحة القتال فى الأشهر الحرم وأن ذلك قد نسخ (وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللّٰهِ) لا تفوتونه وإن أمهلكم (وَأَنَّ اللّٰهَ مُخْزِى الْكَٰفِرِينَ) مذلهم فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالعذاب (وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها والأذان بمعنى الإيذان وهو الإعلام كما أن الأمان والعطاء بمعنى الإيمان والإعطاء والفرق بين الجملة الأولى والثانية أن الأولى إخبار بثبوت البراءة والثانية إخبار بوجوب الاعلام بما ثبت وإنما علقت البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الأذان بالناس لأن البراءة مختصة

بالمعاهدين والناكثين منهم وأما الأذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ) يوم عرفة لأن الوقوف بعرفة معظم أفعال الحج أو يوم النحر لأن فيه تمام الحج من الطواف والنحر والحلق والرمى ووصف الحج بالأكبر لأن العمرة تسمى الحج الأصغر (أَنَّ اللهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) أى بأن الله حذفت صلة الأذان تخفيفاً (وَرَسُولُهُ) عطف على المنوى فى برىء أو على الابتداء وحذف الخبر أى ورسوله برىء وقرئ بالنصب عطفا على اسم إن والجر على الجوار أو على القسم كقولك لعمرك وحكى أن أعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال إن كان الله بريئاً من رسوله فأنا منه برىء فلببه الرجل إلى عمر فحكى الأعرابى قراءته فعندها أمر عمر بتعلم العربية (فَإِن تُبْتُمْ) من الكفر والغدر (فَهُوَ) أى التوبة (خَيْرٌ لَّكُمْ) من الاصرار على الكفر (وَإِن تَوَلَّيْتُمْ) عن التوبة أو تبتم على التولى والإعراض عن الاسلام (فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللهِ) غير سابقين الله ولا فائتين أخذه وعقابه (وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) مكان بشارة المؤمنين بنعيم مقيم (إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ) استثناء من قوله فسيحوا فى الأرض والمعنى براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم (ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا) من شروط العهد أى وفوا بالعهد ولم ينقضوه وقرىء لم ينقضوكم أى عهدكم وهو أليق لكن المشهورة أبلغ لأنه فى مقابلة التمام (وَلَمْ يُظَٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا) ولم يعاونوا عليكم عدوا (فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ) فأدوه إليهم تاماً كاملا (إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ) إلى تمام مدتهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كأنه قيل بعد أن أمروا فى الناكثين لكن الذين لم ينكثوا فأتموا إليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفى كالغادر (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) يعنى أن قضية التقوى ألا يسوّى بين الفريقين فاتقوا الله فى ذلك (فَإِذَا انسَلَخَ) مضى أو خرج (الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ) التى أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ) الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ) من حل أو حرم (وَخُذُوهُمْ) وأسروهم، والأخذ: الأسر (وَاحْصُرُوهُمْ) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف فى البلاد (وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف

(فَإِن تَابُوا) عن الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ) فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) بستر الكفر والغدر بالإسلام (رَّحِيمٌ) برفع القتل قبل الاداء بالالتزام (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ) أحدمرتفع بفعل شرط مضمر يفسره الظاهر أى وإن استجارك أحد استجارك والمعنى وإن جاءك أحدمن المشركين بعدانقضاء الأشهر لاعهدبينك وبينه واستأمنك ليسمع ماتدعو إليه من التوحيد والقرآن فأمّنه (حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ اللهِ) ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر (ثُمَّ أَبْلِغْهُ) بعد ذلك (مَأْمَنَهُ) داره التى يأمن فيها إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت وفيه دليل على أن المستأمن لايؤذى وليس له الاقامة فى دارنا ويمكن من العود (ذَٰلِكَ) أى الأمر بالإجارة فى قوله فأجره (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ) بسبب أنهم قوم جهلة لايعلمون ماالإسلام وماحقيقة ماتدعو إليه فلابد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا أويفهموا الحق (كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللهِ وَعِندَ رَسُولِهِ) كيف استفهام فى معنى الاستنكار أى مستنكر أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله (إِلَّا الَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ) أى ولكن الذين عاهدتم منهم (عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا أمرهم ولا تقاتلوهم (فَمَا اسْتَقَٰمُوا لَكُمْ) ولم يظهر منهم نكث أى فما أقاموا على وفاء العهد (فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ) على الوفاء وما شرطية أى فإن استقاموا لكم فاستقيموا لهم (إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ) يعنى أن التربص بهم من أعمال المتقين (كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما أى كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم أى يظفروا بكم بعد ما سبق لهم من تأكيد الأيمان والمواثيق (لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا) لايراعوا حلفا ولا قرابة (وَلَا ذِمَّةً) عهداً (يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ) بالوعد بالإيمان والوفاء بالعهد وهو كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد (وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ) الإيمان والوفاء بالعهد (وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ) ناقضون العهد أو متمردون فى الكفر لامروءة تمنعهم عن الكذب ولا شمائل تردعهم عن النكث كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عنهما (اشْتَرَوْا) استبدلوا (بِـَٔايَٰتِ اللهِ) بالقرآن (ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا يسيرا

وهو اتباع الأهواء والشهوات (فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ) فعدلوا عنه وصرفوا غيرهم (إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى بئس الصنيع صنيعهم (لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً) ولا تكرار لأن الأول على الخصوص حيث قال فيكم والثانى على العموم لأنه قال فى مؤمن (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فَإِن تَابُوا) عن الكفر (وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ) فهم إخوانكم على حذف المبتدأ (فِي الدِّينِ) لافى النسب (وَنُفَصِّلُ الْآيَٰتِ) ونبينها (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يفهمون فيتفكرون فيها وهذا اعتراض، كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم تحريضاً على تأمل مافصل من أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَٰنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ) أى نقضوا العهود المؤكد بالأيمان (وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ) وعابوه (فَقَٰتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ) فقاتلوهم فوضع أئمة الكفر موضع ضميرهم وهم رؤساء الشرك أو زعماء قريش الذين هموا بإخراج الرسول وقالوا إذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهراً جاز قتله لأن العهد معقود معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة. أئمة بهمزتين كوفى وشامى، الباقون بهمزة واحدة غير ممدودة بعدها ياء مكسورة أصلها أأممة لأنها جمع إمام كعماد وأعمدة فنقلت حركة الميم الأولى إلى الهمزة الساكنة وأدغمت فى الميم الأخرى فمن حقق الهمزتين أخرجهما على الأصل ومن قلب الثانية ياء فلكسرتها (إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ) وإنما أثبت لهم الايمان فى قوله وإن نكثوا أيمانهم لأنه أراد أيمانهم التى أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقه وهو دليل لنا على أن يمين الكافر لاتكون يميناً ومعناه عند الشافعى رحمه الله أنهم لايوفون بها لأن يمينهم يمين عنده حيث وصفها بالنكث . لا إيمان شامى أى لا إسلام (لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ) متعلق بفقاتلوا أئمة الكفر وما بينهما اعتراض أى ليكن غرضكم فى مقاتلتهم انتهاءهم عما هم عليه بعدما وجد منهم من العظائم وهذا من غاية كرمه على المسىء ثم حرض على القتال فقال (أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ) التى حلفوها فى المعاهدة (وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ) من مكة (وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) بالقتال والبادىء أظلم فما يمنعكم من أن تقاتلوهم، وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها من نكث العهد وإخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب (أَتَخْشَوْنَهُمْ) توبيخ

على الخشية منهم (فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ) بأن تخشوه فقاتلوا أعداءه (إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) فاخشوه أى إن قضية الإيمان الكامل أن لا يخشى المؤمن إلا ربه ولا يبالى بمن سواه ولما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الأمر به بقوله (قَٰتِلُوهُمْ) ووعدهم النصر ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم بقوله (يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) قتلا (وَيُخْزِهِمْ) أسرا (وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ) يغلبكم عليهم (وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ) طائفة منهم وهم خزاعة عيبة[1] رسول الله ﷺ (وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ) لما لقوا منهم من المكروه وقد حصل الله هذه المواعيد كلها فكان دليلا على صحة نبوته (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ) ابتداء كلام وإخبار بأن بعض أهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك أيضا فقدأسلم ناس منهم كأبى سفيان وعكرمة ابن أبى جهل وسهيل بن عمرو وهى ترد على المعتزله قولهم إن الله تعالى شاء أن يتوب على جميع الكفرة لكنهم لايتوبون باختيارهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) يعلم ماسيكون كمايعلم ماقد كان(حَكِيمٌ) فى قبول التوبة (أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَٰهَدُوا مِنكُمْ) أممنقطعة والهمزة فيها للتوبيخ على وجود الحسبان أى لا تتركون على ماأنتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا فى سبيل الله لوجه الله (وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً) أى بطانة من الذين يضادون رسول الله ﷺ والمؤمنين ولما معناها التوقع وقددلت على أن تبين ذلك متوقع كائن وأن الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل فى حيز الصلة كأنه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كقولك ماعلم الله منى ماقيل فىّ . تريدماوجد ذلك منى والمعنى أحسبتم أن تتركوا بلامجاهدة ولا براءة من المشركين (وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) من خير أوشر فيجازيكم عليه (مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ) ماصح لهم وما استقام (أَن يَعْمُرُوا مَسَٰجِدَ اللَّهِ) مسجد الله مكى وبصرى يعنى المسجد الحرام وإنما جمع فى القراءة بالجمع لأنه قبلة المساجد وإمامها فعامره كعامر جميع المساجد ولأن كل بقعة منه مسجد أو أريد جنس المساجد وإذا لم يصلحوا لأن يعمروا جنسها دخل تحت ذلك أن لا يعمروا المسجد الحرام الذى هو صدر الجنس وهو آكد إذ طريقه طريق الكناية كما تقول :

(١) عيبة الرجل : موضع سره ، كما يوخذ من القاموس .

فلان لايقرأ كتب الله فإنه أنفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك (شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ) باعترافهم بعبادة الأصنام وهو حال من الواو فى يعمروا والمعنى مااستقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته (أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ) دائمون (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ) عمارتها رم مااسترم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا لأنها بنيت للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم (مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ) ولم يذكر الإيمان بالرسول عليه السلام لما علم أن الإيمان بالله قرينته الإيمان بالرسول لاقترانهما فى الأذان والاقامة وكلمة الشهادة وغيرها أودل عليه بقوله (وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ) وفى قوله (وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ) تنبيه على الاخلاص، والمراد الخشية فى أبواب الدين بأن لايختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف إذ المؤمن قد يخشى المحاذير ولا يتمالك أن لا يخشاها وقيل كانوا يخشون الأصنام ويرجونها فأريد نفى تلك الخشية عنهم (فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لأطماعهم فى الانتفاع بأعمالهم لأن عسى كلمة إطماع والمعنى إنما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها عند الله دون من سواهم (أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ) السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولابد من مضاف محذوف تقديره أجعلتم أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله وقيل المصدر بمعنى الفاعل يصدقه قراءة ابن الزبير سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى إنكار أن يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر لأنهم وضعوا المدح والفخر فى غير موضعهما نزلت جوابا لقول العباس حين أسر فطفق على رضى الله عنه يوبخه بقتال رسول الله ﷺ وقطيعة الرحم تذكر مساوينا وتدع محاسننا فقيل أولكم محاسن فقال نعمر المسجد ونسقى الحاج ونفك العانى وقيل افتخر العباس بالسقاية وشيبة بالعمارة وعلى رضى الله عنه بالإسلام والجهاد فصدق الله تعالى عليا (ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) أولئك (أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ) من أهل السقاية والعمارة (وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ) لا أنتم والمختصون

بالفوز دونهم (يُبَشِّرُهُم رَبُّهُم) يَبْشُرهم حمزة (بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّـٰتٍ) تنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف (لَّهُمْ فِيهَا) فى الجنات (نَعِيمٌ مُّقِيمٌ) دائم (خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ) لا ينقطع لما أمر الله النبى عليه السلام بالهجرة جعل الرجل يقول لابنه ولأخيه ولقرابته إنا قد أمرنا بالهجرة فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه ومنهم من تتعلق به زوجته أوولده فيقول تدعنا بلا شيء فنضيع فيجلس معهم ويدع الهجرة فنزل (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ) أى آثروه واختاروه (وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ) أى ومن يتول الكافرين (فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ)أقاربكم وعشيراتكم أبو بكر(وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا)اكتسبتموها (وَتِجَـٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا) فوات وقت نفاقها (وَمَسَـٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ) وهو عذاب عاجل أو عقاب آجل أوفتح مكة (وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ)والآية تنعى على الناس ماهم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين إذلا تجد عندأورع الناس مايستحب له دينه على الآباء والأبناء والأموال والحظوظ (لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ) كوقعة بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة وقيل إن المواطن التى نصر الله فيها النبى عليه السلام والمؤمنين ثمانون موطنا ومواطن الحرب مقاماتها ومواقفها (وَيَوْمَ) أى واذكروا يوم (حُنَيْنٍ) واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر ألفا وبين هوازن وثقيف وهم أربعة آلاف فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه الصلاة والسلام (إِذْ) بدل من يوم (أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ) فأدركت المسلمين كلمة الإعجاب بالكثرة وزل عنهم أن الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقى رسول الله ﷺ وحده وهو ثابت فى مركزه ليس معه إلا عمه العباس آخذا بلجام دابته وأبو سفيان ابن الحارث بن عمه آخذا بركابه فقال للعباس «صح بالناس» وكان صيتاً فنادى ياأصحاب الشجرة فاجتمعوا وهم يقولون : لبيك، لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البيض على خيول بلق فأخذ

رسول الله ﷺ كفا من تراب فرماهم به ثم قال «انهزموا ورب الكعبة» فانهزموا وكان من دعائه عليه السلام يومئذ «اللهم لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان» وهذا دعاء موسى عليه السلام يوم انفلاق البحر (فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) ما مصدرية والباء بمعنى مع أى مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على أن الجار والمجرور فى موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر أى متلبساً بها والمعنى لم تجدوا موضعاً لفراركم عن أعدائكم فكأنها ضاقت عليكم (ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) ثم انهزمتم (ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) رحمته التى سكنوا بها وأمنوا (عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا) يعنى الملائكة وكانوا ثمانية آلاف أو خمسة آلاف أو ستة عشر ألفاً (وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالقتل والأسر وسبى النساء والذرارى (وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ) وهم الذين أسلموا منهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ) بستر كفر العدو بالإسلام (رَّحِيمٌ) بنصر الولى بعد الانهزام (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ) أى ذوو نجس وهو مصدر يقال نجس نجساً وقذر قذراً لأن معهم الشرك الذى هو بمنزلة النجس ولأنهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهى ملابسة لهم أو جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة فى وصفهم بها (فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون فى الجاهلية (بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا) وهو عام تسع من الهجرة حين أمّر أبوبكر رضى الله عنه على الموسم ويكون المراد من نهى القربان النهى عن الحج والعمرة وهو مذهبنا ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندنا وعند الشافعى رحمه الله يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره وقيل نهى المشركين أن يقربوه راجع إلى نهى المسلمين عن تمكينهم منه (وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً) أى فقراً بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم فى قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ) من الغنائم أو المطر والنبات أو من متاجر حجيج الإسلام (إِن شَاءَ) هو تعليم لتعليق الأمور بمشيئة الله تعالى لتنقطع الآمال إليه (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بأحوالكم (حَكِيمٌ) فى تحقيق آمالكم أو عليم بمصالح العباد حكيم فيما حكم وأراد ونزل فى أهل الكتاب (قَاتِلُوا

الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللّٰهِ) لأن اليهود مثنية والنصارى مثلثة (وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ) لأنهم فيه على خلاف مايجب حيث يزعمون أن لا أكل فى الجنة ولا شرب (وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ) لأنهم لايحرمون ماحرم فى الكتاب والسنة أولا يعملون بما فى التوراة والإنجيل (وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ) ولا يعتقدون دين الاسلام الذى هو الحق يقال فلان يدين بكذا إذا اتخذه دينه ومعتقده (مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ) بيان للذين قبله وأما المجوس فملحقون بأهل الكتاب فى قبول الجزية وكذا الترك والهنود وغيرهما بخلاف مشركى العرب لما روى الزهرى أن النبى عليه السلام صالح عبدة الأوثان على الجزية إلا من كان من العرب (حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) إلى أن يقبلوها وسميت جزية لأنه مما يجب على أهلها أن يجزوه أى يقضوه أو هى جزاء على الكفر على التحميل فى تذليل (عَن يَدٍ) أى عن يد مواتية غير ممتنعة ولذا قالوا أعطى بيده إذا انقاد وقالوا نزع يده عن الطاعة أو حتى يعطوها عن يد إلى يد نقداً غير نسيئة لا مبعوثاً على يد أحد ولكن عن يد المعطى إلى يد الآخذ (وَهُمْ صَٰغِرُونَ) أى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو أن يأتى بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وأن يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له أد الجزية ياذمى وإن كان يؤديها ويزخ فى قفاه وتسقط بالاسلام (وَقَالَتِ الْيَهُودُ) كلهم أو بعضهم (عُزَيْرٌ ابْنُ اللّٰهِ) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم أعجمى ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون وهم عاصم وعلى فقد جعله عربياً (وَقَالَتِ النَّصَٰرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّٰهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ) أى قول لايعضده برهان ولا يستند إلى بيان فما هو إلا لفظ يفوهون به فارغ عن معنى تحته كالألفاظ المهملة (يُضَٰهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ) لابد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهى قولهم قولهم ثم حذف المضاف وأقيم الضمير المضاف إليه مقامه فانقلب مرفوعاً يعنى أن الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهى قولهم قول قدمائهم يعنى أنه كفر قديم فيهم غير مستحدث أو الضمير للنصارى أى يضاهى قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لأنهم أقدم منهم يضاهئون عاصم وأصل المضاهاة المشابهة والأكثر ترك الهمز واشتقاقه من قولهم امرأة ضهياء وهى التى أشبهت الرجال بأنها لاتحيض كذا قاله الزجاج (قَٰتَلَهُمُ اللّٰهُ) أى هم أحقاء بأن يقال

لهم هذا (أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ) كيف يصرفون عن الحق بعدقيام البرهان (اتَّخَذُوٓا) أى أهل الكتاب (أَحْبَارَهُمْ) علماءهم (وَرُهْبَٰنَهُمْ) نساكهم (أَرْبَابًا) آلهة (مِّن دُونِ اللَّهِ) حيث أطاعوهم فى تحليل ماحرم الله وتحريم ما أحل الله كما يطاع الأرباب فى أوامرهم ونواهيهم (وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ) عطف على أحبارهم أى اتخذوه ربا حيث جعلوه ابن الله (وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا إِلَٰهًا وَٰحِدًا) يجوز الوقف عليه لأن مابعده يصلح ابتداء ويصلح وصفا لواحدا (لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ) تنزيه له عن الإشراك (يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ الْكَٰفِرُونَ) مثل حالهم فى طلبهم أن يبطلوا نبوة محمد ﷺ بالتكذيب بحال من يريد أن ينفخ فى نور عظيم منبث فى الآفاق يريد الله أن يزيده ويبلغه الغاية القصوى من الإشراق ليطفئه بنفخه. أجرى ويأبى الله مجرى لايريد الله ولذا وقع فى مقابلة يريدون وإلا لا يقال كرهت أو أبغضت إلا زيدا (هُوَ الَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ) محمدا عليه السلام (بِالْهُدَىٰ) بالقرآن (وَدِينِ الْحَقِّ) الإسلام (لِيُظْهِرَهُۥ) ليعليه (عَلَى الدِّينِ كُلِّهِۦ) على أهل الأديان كلهم أو ليظهر دين الحق على كل دين (وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ النَّاسِ) استعار الأكل للأخذ (بِالْبَٰطِلِ) أى بالرشا فى الأحكام (وَيَصُدُّونَ) سفلتهم (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) دينه (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ) يجوز أن يكون إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين ذميمتين فيهم أخذالرشا وكنز الأموال والضن بها عن الإنفاق فى سبيل الخير ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من أهل الكتاب تغليظا وعن النبى ﷺ «ماأدى زكاته فليس بكنز وإن كان باطنا ومابلغ أن يزكى فلم يزك فهو كنز وإن كان ظاهرا» ولقد كان كثير من الصحابة رضى الله عنهم كعبد الرحمن بن عوف وطلحة يقتنون الأموال ويتصرفون فيها وماعابهم أحد ممن أعرض عن القنية لأن الاعراض اختيار للأفضل والاقتناء مباح لايذم صاحبه (وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ اللَّهِ) الضمير راجع إلى المعنى لأن كل واحد منهمادنانير ودراهم، فهو كقوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا. أوأريدالكنوز والأموال أومعناه ولاينفقونها والذهب كما أن معنى قوله * فإنى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك. وخصا

بالذكر من بين سائر الأموال لأنهما قانون التمول وأثمان الأشياء. وذكر كنزهما دليل على ما سواها (فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) ومعنى قوله (يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ) أن النار تحمى عليها أي توقدو إنما ذكّر الفعل لأنه مسند إلى الجار والمجرور أصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى لانتقال الاسناد عن النار إلى عليها كما تقول رفعت القصة إلى الأمير فإن لم تذكر القصة قلت رفع إلى الأمير (فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ) وخصت هذه الأعضاء لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا وإذا ضمهم وإياه مجلس ازوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم أو معناه يكوون على الجهات الأربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم (هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ) يقال لهم هذا ما كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وما علمتم أنكم كنزتموه لتستضر به أنفسكم وهو توبيخ (فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ) أى وبال المال الذى كنتم تكنزونه أووبال كونكم كانزين (إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا) من غير زيادة والمراد بيان أن أحكام الشرع تبتنى على الشهور القمرية المحسوبة بالأهلة دون الشمسية (فِي كِتَابِ اللَّهِ) فيما أثبته وأوجبه من حكمته أو فى اللوح (يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ) ثلاثة سرد ذو القعدة للقعود عن القتال وذو الحجة للحج والمحرم لتحريم القتال فيه وواحد فرد وهو رجب لترجيب العرب إياه أى لتعظيمه (ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) أى الدين المستقيم لا ما يفعله أهل الجاهلية يعنى أن تحريم الأربعة الأشهر هو الدين المستقيم ودين ابرهيم وإسماعيل وكانت العرب تمسكت به فكانوا يعظمونها ويحرمون القتال فيها حتى أحدثت النسيء فغيروا (فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ) فى الحرم أوفى الاثنى عشر (أَنفُسَكُمْ) بارتكاب المعاصى (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً) حال من الفاعل أوالمفعول (كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً) جميعا (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) أى ناصر لهم حثهم على التقوى بضمان النصرة لأهلها (إِنَّمَا النَّسِيءُ) بالهمزة مصدر نسأه إذا أخره وهو تأخير حرمة الشهر إلى شهر آخر وذلك أنهم كانوا أصحاب حروب وغارات فإذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الأشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من بين شهور العام أربعة أشهر (زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ) أى هذا الفعل منهم زيادة فى كفرهم (يُضَلُّ) كوفى غير أبى بكر (بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا) بالنسيء والضمير فى

(يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا) للنسىء أى إذا أحلوا شهرا من الأشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه فى العام القابل (لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَاحَرَّمَ اللهُ) ليوافقوا العدة التى هى الأربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذى هو أحد الواجبين واللام تتعلق بيحلونه ويحرمونه أو بيحرمونه فحسب وهو الظاهر (فَيُحِلُّوا مَاحَرَّمَ اللهُ) أى فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ماحرم الله من القتال أومن ترك الاختصاص للأشهر بعينها (زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَٰلِهِمْ) زين الشيطان لهم ذلك فحسبوا أعمالهم القبيحة حسنة(وَاللهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ) حال اختيارهم الثبات على الباطل (يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا) اخرجوا (فِى سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ) تثاقلتم وهو أصله إلا أن التاء أدغمت فى الثاء فصارت ثاء ساكنة فدخلت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن أى تباطأتم (إِلَى الْأَرْضِ) ضمن معنى الميل والإخلاد فعدى بإلى أى ملتم إلى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه أو ملتم إلى الإقامة بأرضكم ودياركم وكان ذلك فى غزوة تبوك استنفروا فى وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم ذلك وقيل ماخرج رسول الله ﷺ فى غزوة إلاّ ورّى عنها بغيرها إلا فى غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (أَرَضِيتُم بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ) بدل الآخرة (فَمَا مَتَٰعُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ) فى جنب الآخرة (إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنفِرُوا)إلى الحرب(يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث أوعدهم بعذاب أليم مطلق يتناول عذاب الدارين وأنه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم وأطوع وأنه غنى عنهم فى نصرة دينه لايقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير فى ولا تضروه للرسول عليه السلام لأن الله وعده أن يعصمه من الناس وأن ينصره ووعده كائن لامحالة (وَاللهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ) من التبديل والتعذيب وغيرها(قَدِيرٌ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللهُ) إلا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه إلا رجل واحد فدل بقوله فقد نصره الله على أنه ينصره فى المستقبل كانصره فى ذلك الوقت (إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) أسند الإخراج إلى الكفار لأنهم حين هموا بإخراجه أذن الله له فى الخروج فكأنهم أخرجوه (ثَانِىَ اثْنَيْنِ) أحد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله وأبو بكر وانتصابه على الحال (إِذْ هُمَا) بدل من إذ أخرجه (فِى الْغَارِ) هو نقب فى أعلى ثور وهو جبل

فى يعنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (إِذْ يَقُولُ) بدل ثان (لِصَٰحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) بالنصرة والحفظ قيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول الله ﷺ فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه السلام «ماظنك باثنين الله ثالثهما» وقيل لما دخل الغار بعث الله حمامتين فباضتا فى أسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله ﷺ «اللهم أعم أبصارهم» فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبى بكر فقد كفر لإنكاره كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ) ما ألقى فى قلبه من الأمنة التى سكن عندها وعلم أنهم لا يصلون إليه (عَلَيْهِ) على النبى ﷺ أو على أبى بكر لأنه كان يخاف وكان عليه السلام ساكن القلب (وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا) هم الملائكة صرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن أن يروه أو أيده بالملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين (وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أى دعوتهم إلى الكفر (السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ) دعوته إلى الإسلام (هِيَ) فصل (الْعُلْيَا) وكلمةَ الله بالنصب يعقوب بالعطف والرفع على الاستئناف أوجه إذ هى كانت ولم تزل عالية (وَاللَّهُ عَزِيزٌ) يعز بنصره أهل كلمته (حَكِيمٌ) يذل أهل الشرك بحكمته (انفِرُوا خِفَافًا) فى النفور لنشاطكم له (وَثِقَالًا) عنه لمشقته عليكم أو خفافا لقلة عيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة أو شبابا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا (وَجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ) إيجاب للجهاد بهما إن أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة (فِى سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ) الجهاد (خَيْرٌ لَّكُمْ) من تركه (إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ) كون ذلك خيرا فبادروا إليه ونزل فى المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين (لَوْ كَانَ عَرَضًا) هو ما عرض لك من منافع الدنيا، يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أى لو كان مادعوا إليه مغنما (قَرِيبًا) سهل المأخذ (وَسَفَرًا قَاصِدًا) وسطا مقاربا، والقاصد والقصد المعتدل (لَّاتَّبَعُوكَ) لوافقوك فى الخروج (وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ) المسافة الشاطة الشاقة (وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ) من دلائل النبوة لأنه أخبر بما سيكون بعد القفول فقالوا كما أخبر، وبالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد فى الوجهين أى سيحلفون يعنى المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون

لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابى القسم ولو جميعا . ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة أو استطاعة الأبدان كأنهم تمارضوا (يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ) بدل من سيحلفون أو حال منه أى مهلكين والمعنى أنهم يهلكونها بالحلف الكاذب أو حال من لخرجنا أى لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها فى التهلكة بما نحملها على المسير فى تلك الشقة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فيما يقولون (عَفَا اللَّهُ عَنكَ) كناية عن الزلة لأن العفو رادف لها وهو من لطف العتاب بتصدير العفو فى الخطاب وفيه دلالة فضله على سائر الأنبياء عليهم السلام حيث لم يذكر مثله لسائر الأنبياء عليهم السلام (لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك أذنت لهم فى القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالإذن (حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ) يتبين لك الصادق فى العذر من الكاذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله ﷺ ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين وأخذه الفدية من الأسارى فعاتبه الله وفيه دليل جواز الاجتهاد للأنبياء عليهم السلام لأنه عليه السلام إنما فعل ذلك بالاجتهاد وإنما عوتب مع أن له ذلك لتركه الأفضل وهم يعاتبون على ترك الأفضل (لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا) ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك فى أن يجاهدوا (بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ) عدة لهم بأجزل الثواب (إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ) شكوا فى دينهم واضطربوا فى عقيدتهم (فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ) يتحيرون لأن التردد ديدن المتحير كما أن الثبات ديدن المتبصر (وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ) للخروج أو للجهاد (عُدَّةً) أهبة لأنهم كانوا مياسير ولما كان ولو أرادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ) نهوضهم للخروج كأنه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم (فَثَبَّطَهُمْ) فكسلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث والتثبيط التوقيف عن الأمر بالتزهيد فيه (وَقِيلَ اقْعُدُوا) أى قال بعضهم لبعض أو قاله الرسول عليه السلام غضبا عليهم أو قاله الشيطان بالوسوسة (مَعَ الْقَاعِدِينَ) هو ذم لهم وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود فى البيوت (لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ) بخروجهم معكم (إِلَّا خَبَالًا) إلا فسادا وشرا والاستثناء

متصل لأن المعنى مازادوكم شيئا إلا خبالا والاستثناء المنقطع أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك مازادوكم خيرا إلا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من الشيء فكان استثناء متصلا لأن الخبال بعضه (وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشى. وخط فى المصحف ولاأوضعوا بزيادة الألف لأن الفتحة كانت تكتب ألفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقى من تلك الألف أثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة ألفا وفتحها ألفا أخرى ونحوه أولا أذبحنه (يَبْغُونَكُمُ) حال من الضمير فى أوضعوا (الْفِتْنَةَ) أى يطلبون أن يفتنوكم بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى مغزاكم (وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ) أى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه إليهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ) بالمنافقين (لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ) بصد الناس أو بأن يفتكوا به عليه السلام ليلة العقبة أو بالرجوع يوم أحد (مِن قَبْلُ) من قبل غزوة تبوك (وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوّروا الآراء فى إبطال أمرك (حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ) وهو تأييدك ونصرك (وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ) وغلب دينه وعلا شرعه (وَهُمْ كَٰرِهُونَ) أى على رغم منهم (وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّى) ولا توقعنى فى الفتنة وهى الإثم بأن لا تأذن لى فإنى إن تخلفت بغير إذنك أثمت أولا تلقنى فى الهلكة فإنى إذا خرجت معك هلك مالى وعيالى وقيل قال الجد بن قيس المنافق قد علمت الأنصار إنى مستهتر بالنساء فلا تفتنى ببنات الأصفر يعنى نساء الروم ولكنى أعينك بمالى فاتركنى (أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا) يعنى أن الفتنة هى التى سقطوا فيها وهى فتنة التخلف (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ) الآن لأن أسباب الإحاطة معهم أو هى تحيط بهم يوم القيامة (إِن تُصِبْكَ) فى بعض الغزوات (حَسَنَةٌ) ظفر وغنيمة (تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ) نكبة وشدة فى بعضها نحو ما جرى يوم أحد (يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا) الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (مِن

قَبْلُ) من قبل ما وقع (وَيَتَوَلَّوا) عن مقام التحدث بذلك إلى أهاليهم (وَّهُمْ فَرِحُونَ) مسرورون (قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لنَا) أى قضى من خير أوشر (هُوَ مَوْلَنَا) أى الذى يتولانا ونتولاه (وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ) وحق المؤمنين أن لايتوكلوا على غير الله (قَلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ) تنتظرون بنا (إِلآ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ) وهما النصرة والشهادة (وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ) إحدى السوءيين إما (أَن يُصِيبَكُمُ اللهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (أَوْ) بعذاب (بِأَيْدِينَا) وهو القتل على الكفر (فَتَرَبَّصُوآ) بنا ماذكرنا (إِنَّامَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ) ماهوعاقبتكم (قَلْ أَنفِقُوا) فى وجوه البر (طَوْعًا أَوْ كَرْهًا) طائعين أو مكرهين نصب على الحال . كُرها حمزة وعلى وهو أمر فى معنى الخبر ومعناه (لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ) أنفقتم طوعا أو كرها ونحوه استغفر لهم أولا تستغفر لهم وقوله .

أسيئى بناأو أحسنى لا ملومة ‏ لدينــا ولا مقلية إن تقلت

أى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت إلينا أو أحسنت وقد جاز عكسه فى قولك رحم الله زيدا ومعنى عدم القبول أنه عليه السلام يردها عليهم ولا يقبلها أولا يثيبها الله وقوله طوعا أى من غير إلزام من الله ورسوله وكرها أى ملزمين وسمى الإلزام إكراها لأنهم منافقون فكان إلزامهم الإنفاق شاقا عليهم كالإكراه (إِنَّكُمْ) تعليــل لرد إنفاقهم (كُنتُمْ قَوْمًا فَسِقِينَ) متمردين عاتين (وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ) وبالياء حمزة وعلى (إِلآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا) أنهم فاعل منع وهم وأن تقبل مفعولاه أى ومامنعهم قبول نفقاتهم إلا كفرهم (بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَوٰةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ) جمع كسلان (وَلَا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَرِهُونَ) لأنهم لا يريدون بهما وجه الله تعالى وصفهم بالطوع فى قوله طوعا وسلبه عنهم ههنا لأن المراد بطوعهم أنهم يبذلونه من غــير إلزام من رسول الله ﷺ أومن رؤسائهم وماطوعهم ذلك إلاعن كراهة واضطرار لاعن رغبةواختيار (فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَلُهُمْ وَلَآ أَوْلَدُهُمْ إِنَّمَايُرِيدُاللهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَافِى الْحَيَوٰةِالدُّنْيَا) الإعجاب بالشيء أن تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ماأوتوا من زينة الدنيا فإن الله إنما أعطاهم ما أعطاهم ليعذبهم بالمصائب فيها أو بالإنفاق منه فى أبواب الخير

وهم كارهون له أو بنهب أموالهم وسبى أولادهم أو بجمعها وحفظها وحبها والبخل بها والخوف عليها وكل هذا عذاب (وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ) وتخرج أرواحهم وأصل الزهوق الخروج بصعوبة ودلت الآية على بطلان القول بالأصلح لأنه أخبر أن إعطاء الأموال والأولاد لهم للتعذيب والإماتة على الكفر وعلى إرادة الله تعالى المعاصى لأن إرادة العذاب بإرادة ما يعذب عليه وكذا إرادة الإماتة على الكفر (وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ) لمن جملة المسلمين (وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ) يخافون القتل ومايفعل بالمشركين فيتظاهرون بالإسلام تقية (لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا) مكانا يلجئون إليه متحصنين من رأس جبل أو قلعة أو جزيرة (أَوْ مَغَٰرَٰتٍ) أو غيرانا (أَوْ مُدَّخَلًا) أو نفقا يندسون فيه وهو مفتعل من الدخول (لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ) لأقبلوا نحوه (وَهُمْ يَجْمَحُونَ) يسرعون إسراعا لايردهم شيء من الفرس الجموح (وَمِنْهُم) ومن المنافقين (مَّن يَلْمِزُكَ فِى الصَّدَقَٰتِ) يعيبك فى قسمة الصدقات ويطعن عليك (فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ) إذا للمفاجأة أى وإن لم يعطوا منها فاجئوا السخط وصفهم بأن رضاهم وسخطهم لأنفسهم لا للدين وما فيه صلاح أهله لأنه عليه السلام استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه (وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَآ ءَاتَىٰهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى اللَّهِ رَٰغِبُونَ) جواب لو محذوف تقديره ولو أنهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو أنهم رضوا ما أصابهم به الرسول من الغنيمه وطابت به نفوسهم وإن قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ماقسم لنا سيرزقنا غنيمة أخرى فيؤتينا رسول الله ﷺ أكثر مما آتانا اليوم إنا إلى الله فى أن يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون ثم بين مواضعها التى توضع فيها فقال (إِنَّمَا الصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَٰكِينِ) قصر جنس الصدقات على الأصناف المعدودة أى هى مختصة بهم لا تتجاوز إلى غيرهم كأنه قيل إنما هى لهم لا لغيرهم كقولك إنما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل أن تصرف إلى الأصناف كلها وأن تصرف إلى بعضها كما هو مذهبنا وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين أنهم قالوا فى أى صنف منها وضعتها أجزأك وعند الشافعى رحمه الله لابد من صرفها إلى الأصناف وهو المروى عن عكرمة ثم الفقير الذى لا يسأل لأن عنده ما

يكفيه للحال والمسكين الذى يسأل لأنه لايجد شيئا فهو أضعف حالا منه وعند الشافعى رحمه الله على العكس (وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا) هم السعاة الذين يقبضونهـا (وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ) على الإسلام أشراف من العرب كان رسول الله ﷺ يتألفهم على أن يسلموا وقوم منهم أسلموا فيعطيهم تقريرا لهم على الإسلام (وَفِي الرِّقَابِ) هم المكاتبون يعانون منهـا (وَالْغَارِمِينَ) الذين ركبتهم الديون (وَفِي سَبِيلِ اللهِ) فقراء الغزاة أو الحجيج المنقطع بهم (وَابْنِ السَّبِيلِ) المسافر المنقطع عن ماله وعـدل عن اللام إلى فى فى الأربعة الأخيرة للإيذان بأنهم أرسخ فى استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لأن فى للوعاء فنبه على أنهم أحقاء بأن توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها . وتكرير فى فى قوله وفى سبيل الله وابن السبيل فيه فضل وترجيح لهذين على الرقاب والغارمين وإنما وقعت هذه الآية فى تضاعيف ذكر المنافقين ليدل بكون هذه الأصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على أنهم ليسوا منهم حسما لأطماعهم وإشعارا بأنهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم ومالها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها وسهم المؤلفة قلوبهم سقط بإجماع الصحابة فى صدر خلافة أبى بكر رضى الله عنه لأن الله أعز الإسلام وأغنى عنهم والحكم متى ثبت معقولا لمعنى خاص يرتفع وينتهى بذهاب ذلك المعنى (فَرِيضَةً مِّنَ اللهِ) فى معنى المصدر المؤكد لأن قوله إنما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم (وَاللهُ عَلِيمٌ) بالمصلحة (حَكِيمٌ) فى القسمة (وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ) الأذن الرجل الذى يصـدق كل ما يسمع ويقبل قول كل أحد سمى بالجارحة التى هى آلة السماع كأن جملته أذن سامعة وإيذاؤهم له هو قولهم فيه هو أذن قصدوا به المذمة وأنه من أهل سلامة القلوب والغرة ففسره الله تعالى بما هو مدح له وثناء عليه فقال (قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ) كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كأنه قيل نعم هو أذن ولـكن نعم الأذن ويجوز أن يريد هو أذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس بأذن فى غير ذلك ثم فسر كونه أذن خير بأنه (يُؤْمِنُ بِاللهِ) أى يصدق بالله لما قام عنده من الأدلة (وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ) ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والأنصار وعـدى فعل الإيمان بالباء إلى الله لأنه قصد به التصديق بالله الذى هو ضد الـكفر به وإلى المؤمنين باللام لأنه قصد السماع من المؤمنين

وأن يسلم لهم ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده ألا ترى إلى قوله وما أنت بمؤمن لنا كيف ينبو عن الباء (وَرَحْمَةٌ) بالعطف على أذن ورحمةٍ حمزة عطف على خير أى هو أذن خير وأذن رحمة لايسمع غيرها ولا يقبله (لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ) أى وهو رحمة للذين آمنوا منكم أى أظهروا الإيمان أيها المنافقون حيث يقبل إيمانكم الظاهر ولا يكشف أسراركم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين أو هو رحمة للمؤمنين حيث استنقذهم من الكفر إلى الإيمان ويشفع لهم فى الآخرة بإيمانهم فى الدنيا (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الدارين (يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالطاعن أو يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون إليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم (وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ) أى إن كنتم مؤمنين كما تزعمون فأحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وإنما وحد الضمير لأنه لاتفاوت بين رضا الله ورضا رسول الله فكانا فى حكم شىء واحد كقولك إحسان زيد وإجماله نعشنى أو والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك (أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ) أن الأمر والشأن (مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) يجاوز الحد بالخلاف وهى مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فَأَنَّ لَهُ) على حذف الخبر أى فحق أن له (نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ يَحْذَرُ الْمُنَٰفِقُونَ) خبر بمعنى الأمر أى ليحذر المنافقون (أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ) تنزل بالتخفيف مكى وبصرى (تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ) من الكفر والنفاق والضمائر للمنافقين لأن السورة إذا نزلت فى معناهم فهى نازلة عليهم دليله قل استهزءوا أو الأولان للمؤمنين والثالث للمنافقين وصح ذلك لأن المعنى يقود إليه (قُلِ اسْتَهْزِءُوا) أمر تهديد (إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ) مظهر ما كنتم تحذرونه أى تحذرون إظهاره من نفاقكم وكانوا يحذرون أن يفضحهم الله بالوحى فيهم وفى استهزائهم بالإسلام وأهله حتى قال بعضهم وددت أنى قدّمت فجلدت مائة وأنه لاينزل فينا شىء يفضحنا (وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ) بينا رسول الله ﷺ يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا إلى هذا الرجل يريد أن يفتح قصور الشام وحصونها هيهات هيهات فأطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يانبى الله

لا والله ما كنا فى شىء من أمرك ولا من أمر أصحابك ولـكن كنا فى شىء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر أى ولئن سألتهم وقلت لهم لم قلتم ذلك لقالوا إنما كنا نخوض ونلعب (قُلْ) يامحمد(أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ) لم يعبأ باعتذارهم لأنهم كانوا كاذبين فيــه فجعلوا كأنهم معترفون باستهزائهم وبأنه موجود فيهم حتى وبخوا بإخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلى حرف التقرير وذلك إنما يستقيم بعد ثبوت الاستهزاء (لَا تَعْتَذِرُوا) لاتشتغلوا باعتذاراتكم الـكاذبة فإنها لا تنفعكم بعدظهورسركم (قَدْ كَفَرْتُم) قدأظهرتم كفركم باستهزائكم (بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ) بعدإظهاركم الإيمان (إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ)بتوبتهم وإخلاصهم الايمان بعد النفاق(نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) مصرين على النفاق غير تائبين منه إن يعف تعذب طائفة غيرعاصم (الْمُنَٰفِقُونَ وَالْمُنَٰفِقَٰتُ)الرجال المنافقون كانوا ثلثمائة والنساء المنافقات مائة وسبعين (بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ) أى كأنهم نفس واحدة وفيه نفى أن يكونوا من المؤمنين وتـكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله إنهم لمنكم وتقرير لقوله وماهم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين فقال (يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ) بالـكفر والعصيان (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) عن الطاعة والإيمان (وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ) شحا بالمبارّ والصدقات والإنفاق فى سبيل الله (نَسُوا اللَّهَ) تركوا أمره أو أغفلوا ذكره (فَنَسِيَهُمْ) فتركهم من رحمته وفضله (إِنَّ الْمُنَٰفِقِينَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ) هم الـكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الـكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجراً أن يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف به المنافقون حين بالغ فى ذمهم (وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَٰفِقِينَ وَالْمُنَٰفِقَٰتِ وَالْـكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا) مقدرين الخلود فيها (هِىَ) أى النار (حَسْبُهُمْ) فيه دلالة على عظم عذابها وأنه بحيث لايزاد عليه (وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ) وأهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين (وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم معهم فى العاجل لاينفكون عنه وهو مايقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفاً من المسلمين وما يحذرونه أبداً من الفضيحة ونزول العذاب إن اطلع على أسرارهم الـكاف فى (كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

كَانُوٓا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَدًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَقِهِمْ) محلها رفع أى أنتم مثل الذين من قبلكم أو نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو أنكم استمتعتم بخلاقكم كما استمتعوا بخلاقهم أى تلذذوا بملاذ الدنيا. والخلاق النصيب مشتق من الخلق وهو التقدير أى ماخلق للإنسان بمعنى قدر من خير (وَخُضْتُمْ) فى الباطل (كَالَّذِى خَاضُوٓا) كالفوج الذى خاضوا أو كالخوض الذى خاضوا والخوض الدخول فى الباطل واللهو وإنما قدم فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه ليذم الأولين بالاستمتاع بما أوتوا من حظوظ الدنيا والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم (أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) فى مقابلة قوله وآتيناه أجره فى الدنيا وإنه فى الآخرة لمن الصالحين (وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الْخَٰسِرُونَ) ثم ذكر نبأ من قبلهم فقال (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ) هو بدل من الذين (وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ) وأهل مدين وهم قوم شعيب (وَالْمُؤْتَفِكَٰتِ) مدائن قوم لوط وائتفا كهن انقلاب أحوالهن عن الخير إلى الشر (أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) فما صح منه أن يظلمهم بإهلاكهم لأنه حكيم فلا يعاقبهم بغير جرم (وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بالكفر وتكذيب الرسل (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ) فى التناصر والتراحم (يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بالطاعة والإيمان (وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) عن الشرك والعصيان (وَيُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ) السين مفيدة وجود الرحمة لامحالة فهى تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد فى سأنتقم منك يوماً (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب على كل شىء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حَكِيمٌ) واضع كلا موضعه (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً) يطيب فيها العيش وعن الحسن رحمه الله قصوراً من اللؤلؤ والياقوت الأحمر والزبرجد (فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ) هو علم بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن وقد عرفت أن الذى والتى وضعا لوصف المعارف بالجمل وهى مدينة فى

الجنة (وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللهِ) وشيء من رضوان الله (أَكْبَرُ) من ذلك كله لأن رضاه سبب كل فوز وسعادة (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماوعد أو إلى الرضوان (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وحده دون ما يعده الناس فوزاً (يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ جَٰهِدِ الْكُفَّارَ) بالسيف (وَالْمُنَٰفِقِينَ) بالحجة (وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) فى الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد فى العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها (وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) جهنم أقام رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم. منهم الجلاس بن سويد فقال والله لئن كان مايقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الأنصارى للجلاس أجل والله إن محمداً صادق وأنت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله ﷺ فاستحضر فحلف بالله ماقال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل (يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ) يعنى إن كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير أو هى استهزاؤهم فقال الجلاس يارسول الله والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ) وأظهروا كفرهم بعد إظهارهم الإسلام وفيه دلالة على أن الإيمان والإسلام واحد لأنه قال وكفروا بعد إسلامهم (وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا) من قتل محمد عليه السلام أو قتل عامر لرده على الجلاس وقيل أرادوا أن يتوجوا ابن أبى وإن لم يرض رسول الله ﷺ (وَمَا نَقَمُوٓا) وما أنكروا وما عابوا (إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ) وذلك أنهم كانوا حين قدم رسول الله ﷺ المدينة فى ضنك من العيش لايركبون الخيل ولايحوزون الغنيمة فأثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فأمر رسو الله ﷺ بديته اثنى عشر ألفا فاستغنى (فَإِن يَتُوبُوا) عن النفاق (يَكُ) التوب (خَيْرًا لَّهُمْ) وهى الآية التى تاب عندها الجلاس (وَإِن يَتَوَلَّوْا) يصروا على النفاق (يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) بالقتل والنار (وَمَا لَهُمْ فِى الْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ) ينجيهم من العذاب (وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ اللهَ) روى أن ثعلبة بن حاطب قال

يارسول الله ادع الله أن يرزقني مالا فقال عليه السلام «ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لاتطيقه» فراجعه وقال والذى بعثك بالحق لئن رزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقــه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجمعة والجماعة فسأل عنه رسول الله ﷺ فقيل كثر ماله حتى لايسعه واد «فقال ياويح ثعلبة» فبعث رسول الله ﷺ مصدّقين لأخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال ماهذه الاجزية وقال ارجعا حتى أرى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله ﷺ قبل أن يكلماه «ياويح ثعلبة» مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال إن الله منعنى أن أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقبض رسول الله ﷺ فجاء بها إلى أبى بكر رضى الله عنه فلم يقبلها وجاء بها إلى عمر رضى الله عنه فى خلافته فلم يقبلها وهلك فى زمان عثمان رضى الله عنه (لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِ) أى المال (لَنَصَّدَّقَنَّ) لنخرجن الصدقة والأصل لنتصدقن ولــكن التاء أدغمت فى الصاد لقربها منها (وَلَنَــكُونَنَّ مِنَ الصَّٰلِحِينَ) بإخراج الصدقة (فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِ) أعطاهم الله المال ونالوا مناهم (بَخِلُوا بِهِ) منعوا حق الله ولم يفوا بالعهد (وَتَوَلَّوا) عن طاعة الله (وَّهُمْ مُّعْرِضُونَ) مصرون على الإعراض (فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ) فأورثهم البخل نفاقا متمكنا فى قلوبهم لأنه كان سببا فيه (إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ) أى جزاء فعلهم وهو يوم القيامة (بِمَآ أَخْلَفُوا اللَّهَ مَاوَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَــكْذِبُونَ) بسبب إخلافهم ماوعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق (أَلَمْ يَعْلَمُوٓا) يعنى المنافقين (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ) ما أسروه من النفاق بالعزم على إخلاف ماوعــدوه (وَنَجْوَىٰهُمْ) وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن فى الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ) فلا يخفى عليــه شيء (الَّذِينَ) محله النصب أو الرفع على الذم أو الجر على البدل من الضمير فى سرهم ونجواهم (يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ) يعيبون المطوعين المتبرعين (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِى الصَّدَقَٰتِ) متعلق بيلمزون . روى أن رســول الله ﷺ حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف درهم وقال كان لى ثمانية آلاف فأقرضت

ربى أربعة وأمسكت أربعة لعيالى فقال عليه السلام «بارك الله لك فيما أعطيت وفيما أمسكت» فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين ألفا وتصدق عاصم بمائة وسق من تمر (وَالَّذِينَ) عطف على المطوعين (لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ) طاقتهم وعن نافع جَهدهم وهما واحد وقيل الجهد الطاقة والجهد المشقة وجاء أبو عقيل بصاع من تمر فقال بت ليلتى أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالى وجئت بصاع فلمزهم المنافقون وقالوا ما أعطى عبد الرحمن وعاصم إلارياء وأما صاع أبى عقيل فالله غنى عنه (فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ) فيهزءون (سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ) جازاهم على سخريتهم وهو خبر غير دعاء (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ولما سأل عبد الله بن عبد الله بن أبى رسول الله ﷺ أن يستغفر لأبيه فى مرضه نزل (اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لاَ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ) وقد مر أن هذا الأمر فى معنى الخبر كأنه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم (إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ) والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير وليس على التحديد والغاية إذ لو استغفر لهم مدة حياته لن يغفر الله لهم لأنهم كفار والله لايغفر لمن كفر به والمعنى وإن بالغت فى الاستغفار فلن يغفر الله لهم وقد وردت الأخبار بذكر السبعين وكلها تدل على الكثرة لاعلى التحديد والغاية ووجه تخصيص السبعين من بين سائر الأعداد أن العدد قليل وكثير فالقليل مادون الثلاث والكثير الثلاث فما فوقها وأدنى الكثير الثلاث وليس لأقصاه غاية والعدد أيضا نوعان شفع ووتر وأول الاشفاع اثنان وأول الأوتار ثلاثة والواحد ليس بعدد والسبعة أول الجمع الكثير من النوعين لأن فيها أوتاراً ثلاثة وأشفاعا ثلاثة والعشرة كمال الحساب لأن ماجاوز العشرة فهو إضافة الآحاد إلى العشرة كقولك اثنا عشر وثلاثة عشر إلى عشرين والعشرون تكرير العشرة مرتين والثلاثون تكريرها ثلاث مرات وكذلك إلى مائة فالسبعون يجمع الكثرة والنوع والكثرة منه وكمال الحساب والكثرة منه فصار السبعون أدنى الكثير من العدد من كل وجه ولا غاية لأقصاه فجاز أن يكون تخصيص السبعين لهذا المعنى والله أعلم (ذَٰلِكَ) إشارة إلى اليأس من المغفرة (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ) ولا غفران للكافرين (وَاللهُ لاَ يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ) الخارجين عن الإيمان ماداموا مختارين للكفر والطغيان (فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ) المنافقون الذين استأذنوا رسول الله

ﷺ فأذن لهم وخلفهم بالمدينة فى غزوة تبوك أو الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بِمَقْعَدِهِمْ) بقعودهم عن الغزو (خِلَٰفَ رَسُولِ اللَّهِ) مخالفة له وهو مفعول له أو حال أى قعدوا لمخالفته أو مخالفين له (وَكَرِهُوٓا أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) أى لم يفعلوا مافعله المؤمنون من بذل أموالهم وأرواحهم فى سبيل الله وكيف لا يكرهونه وما فيهم مافى المؤمنين من باعث الإيمان وداعى الإيقان (وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِى الْحَرِّ) قال بعضهم لبعض أوقالوا للمؤمنين تثبيطا (قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ) استجهال لهم لأن من تصوّن من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الأبد كان أجهل من كل جاهل (فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا) أى فيضحكون قليلا على فرحهم بتخلفهم فى الدنيا ويبكون كثيراً جزاء فى العقبى إلا أنه أخرج على لفظ الأمر للدلالة على أنه حتم واجب لا يكون غيره يروى أن أهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم (جَزَآءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من النفاق (فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ) أى ردك من تبوك وإنما قال (إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ) لأن منهم من تاب من النفاق ومنهم من هلك (فَاسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ) إلى غزوة بعد غزوة تبوك (فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِىَ أَبَدًا) وبسكون الياء حمزة وعلى وأبوبكر (وَلَن تُقَٰتِلُوا مَعِىَ عَدُوًّا) معىَ حفص (إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أول مادعيتم إلى غزوة تبوك (فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَٰلِفِينَ) مع من تخلف بعد، وسأل ابن عبد الله بن أبى وكان مؤمنا أن يكفن النبي ﷺ أباه فى قميصه ويصلى عليه فقبل فاعترض عمر رضى الله عنه فى ذلك فقال عليه السلام «ذلك لا ينفعه وإنى أرجو أن يؤمن به ألف من قومه» فنزل (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم) من المنافقين يعنى صلاة الجنازة روى أنه أسلم ألف من الخزرج لما رأوه يطلب التبرك بثوب النبي ﷺ (مَّاتَ) صفة لأحد (أَبَدًا) ظرف لتصل وكان عليه السلام إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فقيل (وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا وَهُمْ فَٰسِقُونَ) تعليل للنهى أى أنهم ليسوا بأهل للصلاة عليهم لأنهم كفروا بالله ورسوله (وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ) التكرير للمبالغة والتأكيد وأن يكون على بال من المخاطب لا ينساه وأن يعتقد أنه مهم ولأن كل آية فى فرقة غير الفرقة الأخرى (وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ) يجوز أن يراد سورة

بتمامها وأن يراد بعضها كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه (أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ) بأن آمنوا أوهى أن المفسرة (وَجَٰهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَئْذَنَكَ أُوْلُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ) ذوو الفضل والسعة (وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَٰعِدِينَ) مع الذين لهم عذر فى التخلف كالمرضى والزمنى (رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى النساء جمع خالفة (وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) ختم عليها لاختيارهم الكفر والنفاق (فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ) ما فى الجهاد من الفوز والسعادة وما فى التخلف من الهلاك والشقاوة (لَٰكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ جَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ) أى إن تخلف هؤلاء فقد نهض إلى الغزو من هو خير منهم (وَأُوْلَٰئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَٰتُ) تناول منافع الدارين لإطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون بكل مطلوب (أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) قوله أعد دليل على أنها مخلوقة (وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ) هو من عذّر فى الأمر إذا قصر فيه وتوانى وحقيقته أن يوهم أن له عذرا فيما فعل ولا عذر له أو المعتذرون بإدغام التاء فى الذال ونقل حركتها إلى العين وهم الذين يعتذرون بالباطل قيل هم أسد وغطفان قالوا إن لنا عيالا وإن بنا جهدا فأذن لنا فى التخلف (وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ) هم منافقو الأعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا فظهر بذلك أنهم كذبوا الله ورسوله فى ادعائهم الإيمان (سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ) من الأعراب (عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الدنيا بالقتل وفى الآخرة بالنار (لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ) الهرمى والزمنى (وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ) هم الفقراء من مزينة وجهينة وبنى عذرة (حَرَجٌ) إثم وضيق فى التأخر (إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ) بأن آمنوا فى السر والعلن وأطاعوا كما يفعل الناصح بصاحبه (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ) المعذورين الناصحين (مِن سَبِيلٍ) أى لا جناح عليهم ولا طريق للعتاب عليهم (وَاللَّهُ غَفُورٌ) يغفر تخلفهم (رَّحِيمٌ) بهم (وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ) لتعطيهم الحمولة (قُلْتَ) حال من الكاف فى أتوك وقد قبله مضمرة أى إذا ما أتوك قائلا (لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا) هو جواب إذا (وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ) أى تسيل كقولك تفيض دمعا وهو أبلغ من يفيض دمعها لأن العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك أفديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على

التميز ويجوز أن يكون قلت لاأجد استئنافاً كأنه قيل إذا ماأتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لاأجد ماأحملكم عليه إلا أنه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (حَزَنًا) مفعول له (أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ) لئلا يجدوا ماينفقون ومحله نصب على أنه مفعول له وناصبة حزنا والمستحملون ابوموسى الأشعرى وأصحابه أوالبكاؤن وهم ستة نفرمن الأنصار (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَئْذِنُونَكَ) فى التخلف (وَهُمْ أَغْنِيَاءُ) وقوله (رَضُوا) استئناف كأنه قيل مابالهم استأذنوا وهم أغنياء فقيل رضوا (بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ) أى بالانتظام فى جملة الخوالف (وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ) يقيمون لأنفسهم عذراً باطلا (إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ) من هـذه السفرة (قُل لَّا تَعْتَذِرُوا) بالباطل (لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ) لن نصدقكم وهو علة للنهى عن الاعتذار لأن غرض المعتذر أن يصدق فيما يعتذر به (قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ) علة لانتفاء تصديقهم لأنه تعالى إذا أوحى إلى رسوله الإعلام بأخبارهم وما فى ضمائرهم لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ) أتنيبون أم تثبتون على كفركم (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى تردون إليه وهو عالم كل سر وعلانية (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فيجازيكم على حسب ذلك (سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ) لتتركوهم ولاتوبخوهم (فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ) فأعطوهم طلبتهم (إِنَّهُمْ رِجْسٌ) تعليل لترك معاتبتهم أى أن المعاتبة لاتنفع فيهم ولا تصلحهم لأنهم أرجاس لاسبيل إلى تطهيرهم (وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ) ومصيرهم النار يعنى وكفتهم النار عتاباً وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) أى يجزون جزاء كسبهم (يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ) أى غرضهم بالحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) أى فإن رضاكم وحدكم لاينفعهم إذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وإنما قيل ذلك لئلا يتوهم أن رضا المؤمنين يقتضى رضا الله عنهم (الْأَعْرَابُ) أهل البدو (أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا) من أهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وبعدهم عن العلم والعلماء (وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا) وأحق بأن لايعلموا (حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ) يعنى حدود الدين وما أنزل الله من الشرائع والأحكام ومنه قوله عليه السلام:

«إن الجفاء والقسوة فى الفدادين» يعنى الأكرة لأنهم يفدون أى يصيحون فى حروثهم والفديد الصياح (وَاللهُ عَلِيمٌ) بأحوالهم (حَكِيمٌ) فى إمهالهم (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ) أى يتصدق (مَغْرَمًا) غرامة وخسرانا لأنه لا ينفق إلا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده (وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ) أى دوائر الزمان وتبدل الأحوال بدور الأيام لتذهب غلبتكم عليه فيتخلص من إعطاء الصدقة (عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ) أى عليهم تدور المصائب والحروب التى يتوقعون وقوعها فى المسلمين. السُّوء مكى وأبو عمرو وهو العذاب والسوء بالفتح ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى مقابلة قولك رجل صدق (وَاللهُ سَمِيعٌ) لما يقولون إذا توجهت عليهم الصدقة (عَلِيمٌ) بما يضمرونه (وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ) فى الجهاد والصدقات (قُرُبَاتٍ) أسبابا للقربة (عِندَ اللهِ) وهو مفعول ثان ليتخذ (وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ) أى دعاءه لأنه عليه السلام كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر لهم كقوله «اللهم صل على آل أبى أوفى» (أَلَا إِنَّهَا) أى النفقة أو صلوات الرسول (قُرْبَةٌ لَّهُمْ) قُرُبة نافع وهذا شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الأمر وتمكنه وكذلك (سَيُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ) أى جنته وما فى السين من تحقيق الوعد وما أدل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين وأن الصدقة منه بمكان إذا خلصت النية من صاحبها (إِنَّ اللهَ غَفُورٌ) يستر عيب المخل (رَّحِيمٌ) يقبل جهد المقل (وَالسَّابِقُونَ) مبتدأ (الْأَوَّلُونَ) صفة لهم (مِنَ الْمُهَاجِرِينَ) تبيين لهم وهم الذين صلوا إلى القبلتين أو الذين شهدوا بدرا أو بيعة الرضوان (وَالْأَنصَارِ) عطف على المهاجرين أى ومن الأنصار وهم أهل بيعة العقبة الأولى وكانوا سبعة نفر وأهل العقبة الثانية وكانوا سبعين (وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ) من المهاجرين والأنصار فكانوا سائر الصحابة وقيل هم الذين اتبعوهم بالإيمان والطاعة إلى يوم القيامة والخبر (رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ) بأعمالهم الحسنة (وَرَضُوا عَنْهُ) بما أفاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية (وَأَعَدَّ لَهُمْ) عطف على رضى (جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ) من تحتها مكى (خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم) يعنى حول بلدتكم وهى المدينة (مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ) وهم جهينة وأسلم وأشجع وغفار وكانوا

نازلين حولها (وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ) عطف على خبر المبتدأ الذى هو ممن حولكم والمبتدأ منافقون ويجوز أن يكون جملة معطوفة على المبتدأ والخبر إذا قدرت ومن أهل المدينة قوم (مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ) أى تمهروا فيه على أن مردوا صفة موصوف محذوف وعلى الوجه الأول لا يخلو من أن يكون كلاما مبتدأ أو صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره ودل على مهارتهم فيه بقوله (لاَ تَعْلَمُهُمْ) أى يخفون عليك مع فطنتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم فى تحامى مايشككك فى أمرهم ثم قال (نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ) أى لا يعلمهم إلا الله ولا يطلع على سرهم غيره لأنهم يبطنون الكفر فى سويداء قلوبهم ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ) هما القتل وعذاب القبر أو الفضيحة وعذاب القبر أو أخذ الصدقات من أموالهم ونهك أبدانهم (ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ) أى عذاب النار (وَءَاخَرُونَ) أى قوم آخرون سوى المذكورين (اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ) أى لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على أنفسهم بأنهم بئس مافعلوا نادمين وكانوا عشرة فسبعة منهم لما بلغهم مانزل فى المتخلفين أوثقوا أنفسهم على سوارى المسجد فقدم رسول الله ﷺ فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له أنهم أقسموا أن لا يحلوا أنفسهم حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذى يحلهم فقال وأنا أقسم أن لا أحلهم حتى أومر فيهم فنزلت فأطلقهم فقالوا يارسول الله هذه أموالنا التى خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ماأمرت أن آخذ من أموالكم شيئا فنزل خذ من أموالهم صدقة (خَلَطُوا عَمَلاً صَٰلِحًا) خروجا إلى الجهاد (وَءَاخَرَ سَيِّئًا) تخلفا عنه أو التوبة والإثم وهو من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما أى شاة بدرهم فالواو بمعنى الباء لأن الواو للجمع والباء للإلصاق فيتناسبان أو المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر فكل واحد منهما مخلوط ومخلوط به كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه بخلاف قولك خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو فقد جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء (عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) ولم يذكر توبتهم لأنه ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة (خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ

صَدَقَةً) كفارة لذنوبهم وقيل هى الزكاة (تُطَهِّرُهُمْ) عن الذنوب وهو صفة لصدقة والتاء للخطاب أو لغيبة المؤنث والتاء فى (وَتُزَكِّيهِم) للخطاب لا محالة (بِهَا) بالصدقة والتزكية مبالغة فى التطهير وزيادة فيه أو بمعنى الإنماء والبركة فى المال (وَصَلِّ عَلَيْهِمْ) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة أن يدعو المصدق لصاحب الصدقة إذا أخذها (إِنَّ صَلَوٰتَكَ) صلاتك كوفى غير أبى بكر قيل الصلاة أكثر من الصلوات لأنها للجنس (سَكَنٌ لَّهُمْ) يسكنون إليه وتطمئن قلوبهم بأن الله قد تاب عليهم (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لدعائك أو سميع لاعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عَلِيمٌ) بما فى ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم (أَلَمْ يَعْلَمُوٓا) المراد المتوب عليهم أى ألم يعلموا قبل أن يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ) إذا صحت (وَيَأْخُذُ الصَّدَقَٰتِ) ويقبلها إذا صدرت على خلوص النية وهو للتخصيص أى إن ذلك ليس إلى رسول الله ﷺ إنما الله هو الذى يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها إليه (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ) كثير قبول التوبة (الرَّحِيمُ) يعفو الحوبة (وَقُلِ) لهؤلاء التائبين (اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ) أى فإن عملكم لا يخفى خيرا كان أو شرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم أو غير التائبين ترغيبا لهم فى التوبة فقد روى أنه لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالأمس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فمالهم فنزلت وقوله تعالى فسيرى الله . وعيد لهم وتحذير من عاقبة الإصرار والذهول عن التوبة (وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ) ما يغيب عن الناس (وَالشَّهَٰدَةِ) ما يشاهدونه (فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) تنبئة تذكير ومجازاة عليه (وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ) بغير همز مدنى وكوفى غير أبى بكر مرجئون غيرهم من أرجيته وأرجأته إذا أخرته ومنه المرجئة أى وآخرون من المتخلفين موقوفون إلى أن يظهر أمر الله فيهم (إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ) إن أصروا ولم يتوبوا (وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ) إن تابوا وهم ثلاثة: كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك وهم الذين ذكروا فى قوله : وعلى الثلاثة الذين خلفوا (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) برجائهم (حَكِيمٌ) فى إرجائهم وإما للشك وهو راجع إلى العباد أى خافوا عليهم العذاب وارجو لهم الرحمة وروى أنه عليه السلام أمر

أصحابه أن لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ذلك الفريق من شد أنفسهم على السوارى وإظهار الجزع والغم فلما علموا أن أحدا لاينظر إليهم فوضوا أمرهم إلى الله وأخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا) تقديره ومنهم الذين اتخذوا الذين بغيرواو مدنى وشامى وهو مبتدأ خبره محذوف أى جازيناهم روى أن بنى عمرو بن عوف لما بنو مسجد قباء بعثوا إلى رسول الله ﷺ أن يأتيهم فأتاهم فصلى فيه فحسدتهم إخوانهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبنى مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلى فيه ويصلى فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام وهو الذى قال لرسول الله عليه السلام يوم أحد لاأجد قوما يقاتلونك إلا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله إلى يوم حنين فبنوا مسجدا إلى جنب مسجد قباء وقالوا للنبى ﷺ بنينا مسجدا لذى العلة والحاجة ونحن نحب أن تصلى لنا فيه فقال «إنى على جناح سفر وإذا قدمنا من تبوك إن شاء الله صلينا فيه» فلما قفل من غزوة تبوك سألوه إتيان المسجد فنزلت عليه فقال: لوحشى قاتل حمزة ومعن بن عدى وغيرهما «انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاهدموه وأحرقوه» ففعلوا وأمر أن يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف والقمامة ومات أبوعامر بالشام (ضِرَارًا) مفعول له وكذا مابعد أى مضارة لإخوانهم أصحاب مسجد قباء (وَكُفْرًا) وتقوية للنفاق (وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ) لأنهم كانوا يصلون مجتمعين فى مسجد قباء فأرادوا أن يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وَإِرْصَادًا لِّمَنْ) وإعدادا لأجل من (حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ) وهو الراهب أعدوه له ليصلى فيه ويظهر على رسول الله ﷺ وقيل كل مسجد بنى مباهاة أو رياء أو سمعة أو لغرض سوى ابتغاء وجه الله أو بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار (مِن قَبْلُ) متعلق بحارب أى من قبل بناء هذا المسجد يعنى يوم الخندق (وَلَيَحْلِفُنَّ) كاذبين (إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا الْحُسْنَىٰ) ما أردنا ببناء هذا المسجد إلا الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ) فى حلفهم (لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا) للصلاة (لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ) اللام للابتداء وأسس نعت له وهو مسجد قباء أسسه رسول الله ﷺ وصلى فيه أيام مقامه بقباء وهى يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة أو مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة (مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ) من أيام وجوده قيل القياس فيه مذ لأنه لابتداء

الغاية فى الزمان ومن لابتداء الغاية فى المكان والجواب إن من عام فى الزمان والمكان (أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ) مصليا (فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ) قيل لما نزلت مشى رسول الله ﷺ ومعه المهاجرون حتى وقفوا على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فقال أمؤمنون أنتم فسكت القوم ثم أعادها فقال عمر يا رسول الله إنهم لمؤمنون وأنا معهم فقال عليه السلام «أترضون بالقضاء» قالوا نعم قال «أتصبرون على البلاء» قالوا نعم قال «أتشكرون فى الرخاء» قالوا نعم قال عليه السلام «مؤمنون أنتم ورب الكعبة» فجلس ثم قال «يامعشر الأنصار إن الله عز وجل قد أثنى عليكم فما الذى تصنعون عند الوضوء وعند الغائط» فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الأحجار الثلاثة ثم نتبع الأحجار الماء فتلا النبى عليه السلام: رجال يحبون أن يتطهروا. قيل هو عام فى التطهر عن النجاسات كلها وقيل هو التطهر من الذنوب بالتوبة ومعنى محبتهم للتطهر أنهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشىء ومعنى محبة الله إياهم أنه يرضى عنهم ويحسن إليهم كما يفعل المحب بمحبوبه (أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ) وضع أساس مايبنيه (عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ) هذا سؤال تقرير وجوابه مسكوت عنه لوضوحه والمعنى أفمن أسس بيان دينه على قاعدة محكمة وهى تقوى الله ورضوانه خير أم من أسسه على قاعدة هى أضعف القواعد وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار فى قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف فى مقابلة التقوى لأنه جعل مجازا عما ينافى التقوى والشفا : الحرف والشفير، وجرف الوادى: جانبه الذى يتحفر أصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا، والهار الهائر وهو المتصدع الذى أشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف وألفه ليس بألف فاعل إنما هى عينه وأصله هور فقلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ولا ترى أبلغ من هذا الكلام ولا أدل على حقيقة الباطل وكنه أمره. أفمن أسس بنيانه؛ أمن أسس شامى ونافع جرف شامى وحمزة ويحيى هار بالإمالة أبوعمرو وحمزة فى رواية ويحيى (فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ) فطاح به الباطل فى نار جهنم ولما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل رشح المجاز فجىء بلفظ الانهيار الذى هو للجرف وليصور أن المبطل كأنه أسس بنيانه على شفا جرف هار من أودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى فى قعرها قال جابر رأيت الدخان يخرج من مسجد الضرار حين انهار (وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّٰلِمِينَ) لا يوفقهم للخير عقوبة لهم على نفاقهم (لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ الَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ) لايزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم (إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ) شامى وحمزة وحفص أى تتقطع. غيرهم تُقطع أى إلا أن تقطع قلوبهم قطعاً وتفرق أجزاء فحينئذ يسلون عنه وأما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ثم يجوز أن يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز أن يراد حقيقة تقطيعها وماهو كائن منه بقتلهم أوفى القبور أوفى النار أومعناه الا أن يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بعزائمهم (حَكِيمٌ) فى جزاء جرائمهم (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ) مثل الله إثابتهم بالجنة على بذلهم أنفسهم وأموالهم فى سبيله بالشراء وروى: تاجرهم، فأغلى لهم الثمن وعن الحسن أنفسا هو خلقها وأموالا هو رزقها ومر برسول الله ﷺ أعرابى وهو يقرؤها فقال بيع والله مربح لانقيله ولا نستقيله فخرج إلى الغزو واستشهد (يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ) بيان محل التسليم (فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ) أى تارة يقتلون العدو وطوراً يقتلهم العدو فيُقتلون. ويَقتلون حمزة وعلى (وَعْدًا عَلَيْهِ) مصدر أى وعدهم بذلك وعداً (حَقًّا) صفته أخبر بأن هذا الوعد الذى وعده للمجاهدين فى سبيله وعد ثابت قد أثبته (فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْءَانِ) وهو دليل على أن أهل كل ملة أمروا بالقتال ووعدوا عليه ثم قال (وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) لأن إخلاف الميعاد قبيح لايقدم عليه الكريم منا فكيف بأكرم الأكرمين ولا ترى ترغيباً فى الجهاد أحسن منه وأبلغ (فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِى بَايَعْتُم بِهِ) فافرحوا غاية الفرح فإنكم تبيعون فانيا بباق (وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) قال الصادق ليس لأبدانكم ثمن إلا الجنة فلا تبيعوها إلا بها (التَّٰٓئِبُونَ) رفع على المدح أى هم التائبون يعنى المؤمنين المذكورين أوهو مبتدأ خبره (الْعَٰبِدُونَ) أى الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وما بعده خبر بعد خبر أى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرءوا من النفاق (الْحَٰمِدُونَ) على نعمة الإسلام (السَّٰٓئِحُونَ) الصائمون لقوله عليه السلام «سياحة أمتى الصيام» أوطلبة العلم لأنهم يسيحيون فى الأرض يطلبونه فى مظانه أو السائرون فى الأرض للاعتبار (الرَّٰكِعُونَ السَّٰجِدُونَ)

المحافظون على الصلوات (الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ) بالإيمان والمعرفة والطاعة (وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ) عن الشرك والمعاصى ودخلت الواو للاشعار بأن السبعة عقد تام أو للتضاد بين الأمر والنهى كما فى قوله: ثيبات وأبكارا (وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللهِ) أوامره ونواهيه أو معالم الشرع (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) المتصفين بهذه الصفات، وهمّ عليه السلام أن يستغفر لأبى طالب فنزل (مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ) أى ماصح له الاستغفار فى حكم الله وحكمته (مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) من بعد ماظهر لهم أنهم ماتوا على الشرك ثم ذكر عذر إبراهيم فقال (وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ) أى وعد أبوه إياه أن يسلم أو هو وعد أباه أن يستغفر وهو قوله لأستغفرن لك دليله قراءة الحسن وعدها أباه ومعنى استغفاره سؤاله المغفرة له بعد ماأسلم أو سؤاله إعطاء الإسلام الذى به يغفر له (فَلَمَّا تَبَيَّنَ) من جهة الوحى (لَهُ) لإبراهيم (أَنَّهُ) أن أباه (عَدُوٌّ لِّلَّهِ) بأن يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه (تَبَرَّأَ مِنْهُ) وقطع استغفاره (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ) هو المتأوه شفقاً وفرقاً ومعناه أنه لفرط ترحمه ورقته كان يتعطف على أبيه الكافر (حَلِيمٌ) هو الصبور على البلاء الصفوح عن الأذى لأنه كان يستغفر لأبيه وهو يقول لأرجمنك (وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ) أى ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهى عنه وبين أنه محظور لايؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يخذلهم إلا إذا قدموا عليه بعد بيان حظره وعلمهم بأنه واجب الاجتناب وأما قبل العلم والبيان فلا وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين والمراد بما يتقون مايجب اتقاؤه للنهى فأما مايعلم بالعقل فغير موقوف على التوقيف (إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ إِنَّ اللهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ لَّقَد تَّابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ) أى تاب عليه من إذنه للمنافقين فى التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ) فيه بعث للمؤمنين على التوبة وأنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبى ﷺ والمهاجرين والأنصار (الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ) فى غزوة تبوك ومعناه فى وقتها والساعة مستعملة فى معنى الزمان المطلق وكانوا فى عسرة من الظهر يعتقب العشرة

على بعير واحد ومن الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والإهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة حتى اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء ومن الماء حتى نحروا الإبل وعصروا كرشها وشربوه وفى شدة زمان من حمارّة القيظ ومن الجدب والقحط (مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ) عن الثبات على الإيمان أو عن اتباع الرسول فى تلك الغزوة والخروج معه وفى كاد ضمير الشأن والجملة بعده فى موضع النصب وهو كقولهم ليس خلق الله مثله أى ليس الشأن خلق الله مثله يزيغ حمزة وحفص (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) تكرير للتوكيد (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ وَعَلَى الثَّلَـٰثَةِ) أى وتاب على الثلاثة وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أميه وهو عطف على النبى (الَّذِينَ خُلِّفُوا) عن الغزو (حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ) برحبها أى مع سعتها وهو مثل للحيرة فى أمرهم كأنهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا (وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ) أى قلوبهم لا يسعها أنس ولا سرور لأنها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّآ إِلَيْهِ) وعلموا أن لا ملجأ من سخط الله إلا إلى استغفاره (ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) بعد خمسين يوماً (لِيَتُوبُوا) ليكونوا من جملة التوابين (إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) عن أبى بكر الوراق أنه قال التوبة النصوح أن تضيق على التائب الأرض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة هؤلاء الثلاثة (يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّـٰدِقِينَ) فى إيمانهم دون المنافقين أو مع الذين لم يتخلفوا أو مع الذين صدقوا فى دين الله نية وقولا وعملا. والآية تدل على أن الاجماع حجة لأنه أمر بالكون مع الصادقين فلزم قبول قولهم (مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللهِ) المراد بهذا النفى النهى وخص هؤلاء بالذكر وإن استوى كل الناس فى ذلك لقربهم منه ولا يخفى عليهم خروجه (وَلَا يَرْغَبُوا) ولا أن يضنوا (بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ) عما يصيب نفسه أى لا يختاروا إبقاء أنفسهم على نفسه فى الشدائد بل أمروا بأن يصحبوه فى البأساء والضراء ويلقوا أنفسهم بين يديه فى كل شدة (ذَٰلِكَ) النهى عن التخلف (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ) عطش (وَلَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا مَخْمَصَةٌ) مجاعة (فِى سَبِيلِ اللهِ) فى الجهاد (وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا) ولا يدوسون مكانا من أمكنة الكفار بحوافر خيولهم وأخفاف رواحلهم وأرجلهم (يَغِيظُ الْكُفَّارَ) يغضبهم ويضيق صدورهم (وَلَا يَنَالُونَ

مِنْ عَدُوٍّ نَيْلاً) ولا يصيبون منهم إصابة بقتل أو أسر أو جرح أو كسر أو هزيمة (إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَٰلِحٌ) عن ابن عباس رضى الله عنهما لكل روعة سبعون ألف حسنة يقال نال منه إذا رزأه ونقصه وهو عام فى كل ما يسوءهم وفيه دليل على أن من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشى وكلام وغير ذلك وعلى أن المدد يشارك الجيش فى الغنيمة بعد انقضاء الحرب لأن وطء ديارهم مما يغيظهم وقد أسهم النبى ﷺ لابنى عامر وقد قدما بعد تقضى الحرب. والموطىء إما مصدر كالمورد وإما مكان فإن كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه (إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ)أى أنهم محسنون والله لا يبطل ثوابهم (وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً) فى سبيل الله (صَغِيرَةً) ولو تمرة (وَلَا كَبِيرَةً) مثل ما أنفق عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة (وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا) أى أرضا فى ذهابهم ومجيئهم وهو كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو فى الأصل فاعل من ودى إذا سال ومنه الودى وقد شاع فى الاستعمال بمعنى الأرض (إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ) من الإنفاق وقطع الوادى (لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ)متعلق بكتب أى أثبت فى صحائفهم لأجل الجزاء (أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى يجزيهم على كل واحد جزاء أحسن عمل كان لهم فيلحق ما دونه به توفيرا لأجرهم (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً) اللام لتأكيد النفى أى أن نفير الكافة عن أوطانهم لطلب العلم غير صحيح للإفضاء إلى المفسدة (فَلَوْلَا نَفَرَ) فحين لم يكن نفير الكافة فهلا نفر (مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ) أى من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (لِّيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق فى تحصيلها (وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ) وليجعلوا مرمى همتهم فى التفقه إنذار قومهم وإرشادهم (إِذَا رَجَعُوٓا إِلَيْهِمْ) دون الأغراض الخسيسة من التصدر والترؤس والتشبه بالظلمة فى المراكب والملابس(لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) ما يجب اجتنابه وقيل إن رسول الله ﷺ كان إذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك بعد ما أنزل فى المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم إلى النفير وانقطعوا جميعا عن التفقه فى الدين فأمروا أن ينفر من كل فرقة منهم طائفة إلى الجهاد ويبقى سائرهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذى هو الجهاد الأكبر إذ الجهاد بالحجاج أعظم أثرا من الجهاد بالنصال والضمير فى ليتفقهوا للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية

قومهم النافرين إذارجعوا إليهم بماحصّلوا فى أيام غيبتهم من العلوم وعلى الأول الضمير للطائفة النافرة إلى المدينة للتفقه (يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَـٰتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم) يقربون منكم (مِّنَ الْكُفَّارِ). القتال واجب مع جميع الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الأقرب فالأقرب أوجب وقد حارب النبي ﷺ قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم الشام والشام أقرب إلى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على أهل كل ناحية أن يقاتلوا من وليهم (وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) شدة وعنفا فى القتال قبل القتال (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) بالنصرة والغلبة (وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ) ماصلة مؤكدة (فَمِنْهُم) فمن المنافقين (مَّن يَقُولُ) بعضهم لبعض (أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـٰذِهِ) السورة (إِيمَـٰنًا) إنكارا واستهزاء بالمؤمنين وأيكم مرفوع بالابتداء وقيل هو قول المؤمنين للحث والتنبيه (فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا) يقينا وثباتا أو خشية أو إيمانا بالسورة لأنهم لم يكونوا آمنوا بها تفصيلا (وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يعدون زيادة التكليف بشارة التشريف (وَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) شك ونفاق فهو فساد يحتاج إلى علاج كالفساد فى البدن (فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ) كفرا مضموما إلى كفرهم (وَمَاتُوا وَهُمْ كَـٰفِرُونَ) هو إخبار عن إصرارهم عليه إلى الموت (أَوَلَا يَرَوْنَ) يعنى المنافقين وبالتاء حمزة خطاب للمؤمنين (أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ) يبتلون بالقحط والمرض وغيرهما (فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ) عن نفاقهم (وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ) لايعتبرون أو بالجهاد مع رسول الله ﷺ لايتوبون بمايرون من دولة الإسلام ولاهم يذكرون بما يقع بهم من الاصطدام (وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ) تغامزوا بالعيون إنكارا للوحى وسخرية به قائلين (هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ) من المسلمين لننصرف فإنا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم أو إذا ماأنزلت سورة فى عيب المنافقين أشار بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد إن قمتم من حضرته عليه السلام (ثُمَّ انصَرَفُوا) عن حضرة النبي عليه السلام مخافة الفضيحة (صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم) عن فهم القرآن (بِأَنَّهُمْ) بسبب أنهم (قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) لايتدبرون حتى يفقهوا (لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ) محمد عليه السلام (مِّنْ أَنفُسِكُمْ) من جنسكم ومن نسبكم عربى قرشى مثلكم (عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ) شديد عليه شاق ـ لكونه بعضا منكم ـ عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم الوقوع فى

العذاب (حَرِيصٌ عَلَيْكُم) على إيمانكم (بِالْمُؤْمِنِينَ) منكم ومن غيركم (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) قيل لم يجمع الله اسمين من أسمائه لأحد غير رسول الله ﷺ (فَإِن تَوَلَّوْا) فإن أعرضوا عن الإيمان بك وناصبوك (فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ) فاستعن بالله وفوض إليه أمورك فهو كافيك معرتهم وناصرك عليهم (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فوضت أمرى إليه (وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ) هو أعظم، خلق الله خلق مطافا لأهل السماء وقبلة للدعاء (الْعَظِيمِ) بالجر وقرىء بالرفع على نعت الرب جل وعز . عن أبىّ آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من أنفسكم الآية .

﴿ سورة يونس عليه السلام مائة وتسع آيات مكية ﴾

(وكذا مابعدها إلى سورة النور)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الر) ونحوه ممال حمزة وعلى وأبو عمرو وهو تعديد للحروف على طريق التحدى (تِلْكَ ءَايَٰتُ الْكِتَٰبِ) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة (الْحَكِيمِ) ذى الحكمة لاشتماله عليها أو المحكم عن الكذب والاقتراف والهمزة فى (أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا) لإنكار التعجب والتعجيب منه (أَنْ أَوْحَيْنَآ) اسم كان وعجبا خبره واللام فى للناس متعلق بمحذوف هو صفة لعجبا فلما تقدم صار حالا (إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ) بأن أنذر أو هى مفسرة إذ الإيحاء فيه معنى القول (وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوآ أَنَّ لَهُمْ) بأن لهم ومعنى اللام فى للناس أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منه والذى تعجبوا منه أن يوحى إلى بشر وأن يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب أن الله لم يجد رسولا يرسله إلى الناس إلا يتيم أبى طالب وأن يذكر لهم البعث وينذر بالنيران ويبشر بالجنان وكل واحد من هذه الأمور ليس بعجب لأن الرسل المبعوثين إلى الأمم لم يكونوا إلا بشرا مثلهم وإرسال اليتيم أو الفقير ليس بعجب أيضا لأن الله تعالى إنما يختار للنبوة من جمع أسبابها والغنى والتقدم فى الدنيا ليس من أسبابها والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا إنما العجب والمنكر فى العقول تعطيل الجزاء (قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ) أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة ولما كان السعى والسبق بالقدم سميت المسماة الجميلة

والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لأنها تعطى باليد وباعا لأن صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم فى الخير وإضافتها إلى صدق دلالة على زيادة فضل وأنه من السوابق العظيمة أو مقام صدق أو سبق السعادة (قَالَ الْكَـٰفِرُونَ إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ مُّبِينٌ) [إن هذا] الكتاب لسحر مدنى وبصرى وشامى. ومن قرأ لساحر فهذه إشارة إلى رسول الله ﷺ وهو دليل عجزهم واعترافهم به وإن كانوا كاذبين فى تسميته سحرا (إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) أى استولى فقد يقدس الديان عن المكان والمعبود عن الحدود (يُدَبِّرُ) يقضى ويقدر على مقتضى الحكمة (الْأَمْرَ) أى أمر الخلق كله وأمر ملكوت السماوات والأرض والعرش. ولما ذكر مايدل على عظمته وملكه من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش أتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وأنه لايخرج أمر من الأمور عن قضائه وتقديره وكذلك قوله (مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِن بَعْدِ إِذْنِهِ) دليل على عزته وكبريائه (ذَٰلِكُمُ) العظيم الموصوف بما وصف به(اللَّهُ رَبُّكُمْ) وهو الذى يستحق العبادة (فَاعْبُدُوهُ) وحدوه ولا تشركوا به بعض خلقه من إنسان أو ملك فضلا عن جماد لايضر ولاينفع (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) أفلا تتدبرون فتستدلون بوجوب المصالح والمنافع على وجود المصلح النافع (إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا) حال أى لاترجعون فى العاقبة إلا إليه فاستعدوا للقائه والمرجع الرجوع أو مكان الرجوع (وَعْدَ اللَّهِ) مصدر مؤكد لقوله إليه مرجعكم (حَقًّا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع إليه (لِيَجْزِىَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ)أى الحكمة بإبداء الخلق وإعادته هو جزاء المكلفين على أعمالهم (بِالْقِسْطِ) بالعدل وهو متعلق بيجزى أى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم أجورهم أو بقسطهم أى بما أقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا إذ الشرك ظلم إن الشرك لظلم عظيم وهذا أوجه لمقابلة قوله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) ولوجه كلامى (هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً) الياء فيه منقلبة عن واو ضواء لكثرة ما قبلها وقلبها قنبل همزة لأنها للحركة أجمل (وَالْقَمَرَ نُورًا) والضياء أقوى من النور فلذا جعله للشمس (وَقَدَّرَهُ) وقدر القمر أى وقدر مسيره (مَنَازِلَ) أو وقدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل (لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ) أى عدد السنين والشهور فاكتفى

بالسنين لاشتمالها على الشهور (وَالْحِسَابَ) وحساب الآجال والمواقيت المقدرة بالسنين والشهور (مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ) المذكور (إِلَّا) ملتبساً (بِالْحَقِّ) الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثاً (يُفَصِّلُ الْآيَاتِ) مكى وبصرى وحفص وبالنون غيرهم (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فينتفعون بالتأمل فيها (إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) فى مجىء كل واحد منهما خلف الآخر أو فى اختلاف لونيهما (وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الخلائق (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ) خصهم بالذكر لأنهم يحذرون الآخرة فيدعوهم الحذر إلى النظر (إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يتوقعونه أصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم عن التفطن للحقائق أو لا يؤملون حسن لقائنا كما يؤمله السعداء أو لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب أن يخاف (وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى (وَاطْمَأَنُّوا بِهَا) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديداً وأملوا بعيداً (وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ) لا يتفكرون فيها ولا وقف عليه لأن خبر إن (أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ) فأولئك مبتدأ ومأواهم مبتدأ ثان والنار خبره والجملة خبر أولئك والباء فى (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام وهو جوزوا (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) يسددهم بسبب إيمانهم للاستقامة على سلوك الطريق السديد المؤدى إلى الثواب ولذا جعل (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ) بيانا له وتفسيراً إذ التمسك بسبب السعادة كالوصول إليها أو يهديهم فى الآخرة بنور إيمانهم إلى طريق الجنة ومنه الحديث «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له أنا عملك فيكون له نورا وقائدا إلى الجنة والكافر إذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وهذا دليل على أن الإيمان المجرد منج حيث قال بإيمانهم ولم يضم إليه العمل الصالح (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) متعلق بتجرى أو حال من الأنهار (دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ) أى دعاؤهم لأن اللهم نداء لله ومعناه اللهم إنا نسبحك أى يدعون الله بقولهم سبحانك اللهم تلذذا بذكره لا عبادة (وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ) أى يحيى بعضهم بعضا بالسلام أو هى تحية الملائكة إياهم وأضيف المصدر إلى المفعول أو تحية الله لهم (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) أن يقولوا الحمد لله رب العالمين أن مخففة من الثقيلة وأصله أنه الحمد لله رب العالمين والضمير

الشأن قيل أول كلامهم التسبيح وآخره التحميد فيبتدئون بتعظيم الله وتنزيهه ويختمون بالشكر والثناء عليه ويتكلمون بينهما بما أرادوا (وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ) أصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير إشعارا بسرعة إجابته لهم والمراد أهل مكة وقولهم فأمطر علينا حجارة من السماء أى ولو عجلنا لهم الشر الذى دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم إليه (لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ) لأميتوا وأهلكوا. لقضى إليهم أجلهم شامى على البناء للفاعل وهو الله عزوجل (فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ) شركهم وضلالهم (يَعْمَهُونَ) يترددون ووجه اتصاله بما قبله أن قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفى التعجيل كأنه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضى إليهم أجلهم فنذرهم فى طغيانهم أى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم إلزاما للحجة عليهم (وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ) أصابه والمراد به الكافر (الضُّرُّ دَعَانَا) أى دعا الله لإزالته (لِجَنبِهِ) فى موضع الحال بدليل عطف الحالين أى (أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا) عليه أى دعانا مضطجعا وفائدة ذكر هذه الأحوال أن معناه أن المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا فى حالاته كلها سواء كان مضطجعا عاجزا عن النهوض أو قاعدا لا يقدر على القيام أو قائما لا يطيق المشى (فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ) أزلنا ما به (مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ) أى مضى على طريقته الأولى قبل مس الضر ونسى حال الجهد أو مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع إليه كأنه لا عهد له به والأصل كأنه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشأن (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التزيين (زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ) للمجاوزين الحد فى الكفر زين الشيطان بوسوسته (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من الإعراض عن الذكر واتباع الكفر (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ) يا أهل مكة (لَمَّا ظَلَمُوا) أشركوا وهو ظرف لأهلكنا والواو فى (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم) للحال أى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم (بِالْبَيِّنَاتِ) بالمعجزات (وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) إن بقوا ولم يهلكوا لأن الله علم منهم أنهم يصرون على كفرهم وهو عطف على ظلموا أو اعتراض واللام لتأكيد النفى يعنى أن السبب فى إهلاكهم تكذيبهم للرسل وعلم الله أنه لا فائدة فى إمهالهم بعد أن ألزموا الحجة ببعثة الرسل (كَذَٰلِكَ)

مثل ذلك الجزاء يعنى الإهلاك (نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ) وهو وعيد لأهل مكة على إجرامهم بتكذيب رسـول الله ﷺ (ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰئِفَ فِى الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ) الخطاب للذين بعث إليهم محمد ﷺ أى استخلفنا كم فى الأرض بعد القرون التى أهلكناها (لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ) أى لننظر أتعملون خيرا أو شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف فى محل النصب بتعملون لا بننظر لأن معنى الاستفهام فيه يمنع أن يتقدم عليه عامله والمعنى أنتم بمنظر منا فانظروا كيف تعملون أبالاعتبار بماضيكم أم الاغترار بما فيكم قال عليه السلام «الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون» (وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ) حال (قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا) لما غاظهم ما فى القرآن من ذم عبادة الأوثان والوعيد لأهل الطغيان (ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ) ليس فيه مايغيظنا من ذلك نتبعك (أَوْ بَدِّلْهُ) بأن تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها فأمر بأن يجيب عن التبديل لأنه داخل تحت قدرة الإنسان وهو أن يضع مكان آية عذاب آية رحمة وأن يسقط ذكر الآلهة بقوله (قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ) ما يحل لى (أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ) من قبل نفسى (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ) لا أتبع إلا وحى الله من غير زيادة ولا نقصان ولا تبديل لأن الذى أتيت به من عند الله لا من عندى فأبدله (إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى) بالتبديل من عند نفسى (عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى يوم القيامة وأما الإتيان بقرآن آخر فلا يقدر عليه الإنسان وقد ظهر لهم العجز عنه إلا أنهم كانوا لا يعترفون بالعجز ويقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا ولا يحتمل أن يريدوا بقوله ائت بقرآن غير هذا أو بدله من جهة الوحى لقوله إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم وغرضهم فى هذا الاقتراح الكيد أما اقتراح إبدال قرآن بقرآن ففيه أنه من عندك وأنك قادر على مثله فأبدل مكانه آخر وأما اقتراح التبديل فلاختبار الحال وأنه إن وجد منه تبديل فإما أن يهلكه الله فينجوا منه أو لا يهلكه فيسخروا منه فيجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ) يعنى أن تلاوته ليست إلا بمشيئة الله وإظهاره أمرا عجيباً خارجاً عن العادات وهو أن يخرج رجل أمى لم يتعلم ولم يشاهد العلماء فيقرأ عليكم كتاباً فصيحا يغلب كل كلام فصيح ويعلو على

كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم الأصول والفروع والإخبار عن الغيوب التى لايعلمها إلا الله (وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ) ولا أعلمكم الله بالقرآن على لسانى (فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ) من قبل نزول القرآن أى فقد أقمت فيما بينكم أربعين سنة ولم تعرفونى متعاطيا شيئا من نحوه ولاقدرت عليه ولا كنت موصوفا بعلم وبيان فتتهمونى باختراعه (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فتعلموا أنه ليس إلا من عند الله لامن مثلى وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من إضافة الافتراء إليه (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا) يحتمل أن يريد افتراء المشركين على الله فى أنه ذو شريك وذو ولد وأن يكون تفاديا مما أضافوه إليه من الافتراء (أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ) بالقرآن فيه بيان أن الكاذب على الله والمكذب بآياته فى الكفر سواء (إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ) إن تركوا عبادتها (وَلَا يَنفَعُهُمْ) إن عبدوها (وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ) أى الأصنام (شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ) أى فى أمر الدنيا ومعيشتها لأنهم كانوا لايقرون بالبعث وأقسموا بالله جهد أيمانهم لايبعث الله من يموت أو يوم القيامة إن يكن بعث ونشور (قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ) أتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله وإذا لم يكن معلوما له وهو عالم بجميع المعلومات لم يكن شيئا وقوله (فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ) تأكيد لنفيه لأن مالم يوجد فيهما فهو معدوم (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) نزه ذاته عن أن يكون له شريك وبالتاء حمزة وعلى وما موصوله أو مصدرية أى عن الشركاء الذين يشركونهم به أو عن إشراكهم (وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير أن يختلفوا بينهم وذلك فى عهد آدم عليه السلام إلى أن قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (فَٱخْتَلَفُوا۟) فصاروا مللا (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) وهو تأخير الحكم بينهم إلى يوم القيامة (لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ) عاجلا (فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته لحكمة وهى أن هذه الدار دار تكليف وتلك الدار دار ثواب وعقاب (وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ) أى آية من الآيات التى اقترحوها (فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ) أى هو المختص بعلم الغيب فهو العالم بالصارف عن إنزال

الآيات المقترحة لا غير (فَانتَظِرُوٓا) نزول ما اقترحتموه (إِنِّى مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ) لما يفعل الله بكم لمنادكم وجحودكم الآيات (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) أهل مكة (رَحْمَةً) خصبا وسعة (مِّن بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ) يعنى القحط والجوع (إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا) أى مكروا بآياتنا بدفعها وإنكارها . روى أنه تعالى سلط القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون فى آيات الله ويعادون رسول الله ﷺ ويكيدونه فإذا الأولى للشرط والثانية جوابها وهى للمفاجأة وهو كقوله وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون أى وإن تصبهم سيئة قنطوا وإذا أذقنا الناس رحمة مكروا والمكر إخفاء الكيد وطيه من الجارية المكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى أحسوا بسوء أثرها فيهم وإنما قال (قُلِ اللهُ أَسْرَعُ مَكْرًا) ولم يصفهم بسرعة المكر لأن كلمة المفاجأة دلت على ذلك كأنه قال وإذا رحمناهم من بعد ضراء فاجئوا وقوع المكر منهم وسارعوا إليه قبل أن يغسلوا رءوسهم من مس الضراء (إِنَّ رُسُلَنَا) يعنى الحفظة (يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ) إعلام بأن ماتظنونه خافيا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وبالياء سهل (هُوَ الَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ) يجعلكم قادرين على قطع المسافات بالأرجل والدواب والفلك الجارية فى البحار أو يخلق فيكم السير ينشركم شامى (حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى الْفُلْكِ) أى السفن (وَجَرَيْنَ) أى السفن (بِهِم) بمن فيها رجوع من الخطاب إلى الغيبة للمبالغة (بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) لينة الهبوب لاعاصفة ولاضعيفة (وَفَرِحُوا بِهَا) بتلك الريح للينها واستقامتها (جَآءَتْهَا) أى الفلك أو الريح الطيبة أى تلقتها (رِيحٌ عَاصِفٌ) ذات عصف أى شديدة الهبوب (وَجَآءَهُمُ الْمَوْجُ) هو ماعلا على الماء (مِن كُلِّ مَكَانٍ) من البحر أو من جميع أمكنة الموج (وَظَنُّوٓا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ) أهلكوا جعل إحاطة العدو بالحى مثلا فى الإهلاك (دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) من غير إشراك به لأنهم لايدعون حينئذ معه غيره يقولون (لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ) الأهوال أو من هذه الريح (لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّٰكِرِينَ) لنعمتك مؤمنين بك متمسكين بطاعتك ولم يجعل الكون فى الفلك غاية للتسيير فى البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما فى حيزها كأنه قيل يسيركم حتى إذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجىء الريح العاصف وتراكم الأمواج والظن بالهلاك والدعاء

بالإنجاء وجواب إذا جاءتها ودعوا بدل من ظنوا لأن دعاءهم من لوازم ظنهم للهلاك فهو ملتبس به (فَلَمَّآ أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ) يفسدون فيها (بِغَيْرِ الْحَقِّ) باطلا أى مبطلين (يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم) أى ظلمكم يرجع إليكم كقوله من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها (مَّتَٰعَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) حفص أى تتمتعون متاع الحياة الدنيا وعلى أنفسكم خبر لبغيكم. غيره بالرفع على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه إنما بغيكم على أمثالكم أو هو خبر ومتاع خبر بعد خبر أو متاع خبر مبتدأ مضمر أى هو متاع الحياة الدنيا وفى الحديث «أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة» وروى «ثنتان يعجلهما الله فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين» وعن ابن عباس رضى الله عنهما لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وعن محمد بن كعب: ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر. قال الله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله ومن نكث فإنما ينكث على نفسه (ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فنخبركم به ونجازيكم عليه (إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ السَّمَآءِ) من السحاب (فَاخْتَلَطَ بِهِ) بالماء (نَبَاتُ الْأَرْضِ) أى فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ) يعنى الحبوب والثمار والبقول (وَالْأَنْعَٰمُ) يعنى الحشيش (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا) زينتها بالنبات واختلاف ألوانه (وَازَّيَّنَتْ) وتزينت به وهو أصله وأدغمت التاء فى الزاى وهو كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين (وَظَنَّ أَهْلُهَآ) أهل الأرض (أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا) عذابنا وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم (لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا) فجعلنا زرعها (حَصِيدًا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كَأَن لَّمْ تَغْنَ) كأن لم يغن زرعها أى لم يلبث حذف المضاف فى هذه المواضع لابد منه ليستقيم المعنى (بِالْأَمْسِ) هو مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا (كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فينتفعون بضرب الأمثال وهذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد

الإقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعدما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه وحكمة التشبيه التنبيه على أن الحياة صفوها شبيبتها وكدرها شيبتها كما أن صفو الماء فى أعلى الإناء قال :

ألم تر أن العمر كأس سلافة　　فأوله صفو وآخر كدْر

وحقيقته تزيين جثة الطين بمصالح الدنيا والدين كاختلاط النبات على اختلاف التلوين فالطينة الطيبة تنبت بساتين الأنس ورياحين الروح وزهرة الزهد وكروم الكرم وحبوب الحب وحدائق الحقيقة وشقائق الطريقة والخبيثة تخرج خلاف الخلف وثمام الاسم وشوك الشرك وشيح الشح وحطب العطب ولعاع اللعب ثم يدعوه معاده كما يحين للحرث حصاده فتزايله الحياة مفترا كما يهيج النبات مصفراً فتغيب جثة فى الرمس كأن لم تغن بالأمس إلى أن يعود ربيع البعث وموعد العرض والبحث ، وكذلك حال الدنيا كالماء ينفع قليله ويهلك كثيره ولابد من ترك مازاد كما لابد من أخذ الزاد وآخذ المال لايخلو من زلة، كما أن خائض الماء لاينجو من بلة وجمعه وإمساكه تلف صاحبه وإهلاكه فما دون النصاب كضحضاح ماء يجاوز بلا احتماء والنصاب كنهر حائل بين المجتاز. والجواز إلى المفاز لايمكن إلا بقنطرة وهى الزكاة وعمارتها بذل الصلات فمتى اختلت القنطرة غرّقته أمواج القناطير المقنطرة وعن هذا قال عليه السلام «الزكاة قنطرة الإسلام» وكذا المال يساعد الأوغاد دون الأمجاد كما أن الماء يجتمع فى الوهاد دون النجاد وكذلك المال لا يجتمع إلا بكد البخيل كما أن الماء لايجتمع إلا بسد المسيل ثم يفنى ويتلف ولا يبقى كالماء فى الكف (وَاللَّهُ يَدْعُوٓا إِلَىٰ دَارِ السَّلَٰمِ) هى الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها أو السلام السلامة لأن أهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما (وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ) ويوفق من يشاء (إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إلى الإسلام أو طريق السنة فالدعوة عامة على لسان رسول الله بالدلالة والهداية خاصة من لطف المرسل بالتوفيق والعناية والمعنى يدعو العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا) آمنوا بالله ورسله (الْحُسْنَىٰ) المثوبة الحسنى وهى الجنة (وَزِيَادَةٌ) رؤية الرب عز وجل كذا عن أبى بكر وحذيفة وابن عباس وأبى موسى الأشعرى وعبادة بن الصامت

رضى الله عنهم وفى بعض التفاسير أجمع المفسرون على أن الزيادة النظر إلى الله تعالى وعن صهيب أن النبى ﷺ قال «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى أتريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ـ قال ـ فيرفع الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم» ثم تلا للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والعجب من صاحب الكشاف أنه ذكر هذا الحديث لا بهذه العبارة وقال إنه حديث مدفوع مع أنه مرفوع قد أورده صاحب المصابيح فى الصحاح وقيل الزيادة المحبة فى قلوب العباد وقيل الزيادة مغفرة من الله ورضوان (وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ) ولا يغشى وجوههم (قَتَرٌ) غبرة فيها سواد (وَلَا ذِلَّةٌ) ولا أثر هوان والمعنى ولا يرهقهم ما يرهق أهل النار (أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ وَالَّذِينَ كَسَبُوا) عطف على للذين أحسنوا أى وللذين كسبوا (السَّيِّئَاتِ) فنون الشرك (جَزَآءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا) الباء زائدة كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أو التقدير جزاء سيئة مقدر بمثلها (وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ) ذل وهوان (مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ) من عقابه (مِنْ عَاصِمٍ) أى لا يعصمهم أحد من سخطه وعقابه (كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ الَّيْلِ مُظْلِماً) أى جعل عليها غطاء من سواد الليل أى هم سود الوجوه وقطعاً جمع قطعة وهو مفعول ثان لأغشيت. قِطْعاً مكى وعلى من قوله بقطع من الليل وعلى هذه القراءة مظلما صفة لقطع وعلى الأول حال من الليل والعامل فيه أغشيت لأن من الليل صفة لقطعا فكان إفضاؤه إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة أو معنى الفعل فى من الليل (أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ) أى الكفار وغيرهم (جَمِيعاً) حال (ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ) أى الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم (أَنتُمْ) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وَشُرَكَآؤُكُمْ) عطف عليه (فَزَيَّلْنَا) ففرّقنا (بَيْنَهُمْ) وقطعنا أقرانهم والوصل التى كانت بينهم فى الدنيا (وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم) من عبدوه من دون الله من أولى العقل أو الأصنام ينطقها الله عز وجل (مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ) إنما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم وهو قوله ويوم نحشرهم

جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم إلى قوله بل كانوا يعبدون الجن (فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) أى كفى الله شهيدا وهو تمييز (إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ) إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية (هُنَالِكَ) فى ذلك المكان أو فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ) تختبر وتذوق (مَّآ أَسْلَفَتْ) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود وقال الزجاج: تعلم كل نفس ماقدمت. تتلو حمزة وعلى أى تتبع ما أسلفت لأن عمله هو الذى يهديه إلى طريق الجنة أوالنار أوتقرأ فى صحيفتها ماقدمت من خير أو شر كذا عن الأخفش (وَرُدُّوٓا إِلَى اللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ الْحَقِّ) ربهم الصادق فى ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذى يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذى لا يظلم أحدا (وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) وضاع عنهم ما كانوا يدّعون أنهم شركاء لله أوبطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَآءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَٰرَ) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذى سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من يحميهما من الآفات مع كثرتها فى المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى شىء (وَمَن يُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ) أى الحيوان والفرخ والزرع والمؤمن والعالم من النطفة والبيضة والحب والكافر والجاهل وعكسها (وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ) ومن يلى تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) فسيجيبونك عند سؤالك إن القادر على هذه هو الله (فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) الشرك فى العبودية إذ اعترفتم بالربوبية (فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ) أى من هذه قدرته هو الله (رَبُّكُمُ الْحَقُّ) الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه لمن حقق النظر (فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَٰلُ) أى لاواسطة بين الحق والضلال فمن تخطى الحق وقع فى الضلال (فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ) عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الحق (حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) كلمات شامى ومدنى أى كما حق وثبت أن الحق بعده الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا) تمردوا فى كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه (أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) بدل من الكلمة أى حق عليهم

انتفاء الإيمان أو حق عليهم كلمة الله أن إيمانهم غير كائن أو أراد بالكلمة المدة بالعذاب وأنهم لايؤمنون تعليل أى لأنهم لايؤمنون (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) إنما ذكر ثم يعيده وهم غير مقرين بالإعادة لأنه لظهور برهانها جعل أمرا مسلما على أن فيهم من يقر بالإعادة أو يحتمل إعادة غير البشر كإعادة الليل والنهار وإعادة الإنزال والنبات (قُلِ اللهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ) أمر نبيه بأن ينوب عنهم فى الجواب يعنى أنهم لاتدعهم مكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم (فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ) فكيف تصرفون من قصد السبيل (قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ) يرشد إليه (قُلِ اللهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ) يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قراءة حمزة وعلى أمن لا يهدى بمعنى يهتدى لايهدى بفتح الياء والهاء وتشديد الدال مكى وشامى وورش وبإشمام الهاء فتحة أبوعمرو وبكسر الهاء وفتح الياء عاصم غيريحيي والأصل يهتدى وهى قراءة عبد الله فأدغمت التاء فى الدال وفتحت الهاء بحركة التاء وكسرت لالتقاء الساكنين وبكسر الياء والهاء وتشديد الدال يحيى لاتباع مابعدها وبسكون الهاء وتشديدالدال مدنىغير ورشوالمعنى أنالله وحده هو الذى يهدى للحق بماركب فىالمكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر فى الأدلة التى نصبها لهم وبما وفقهم وألهمهم ووقفهم على الشرائع بإرسال الرسل فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا لله أحد يهدى إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدى إلى الحق أحق بالاتباع أم الذى لا يهدى أى لا يهتدى بنفسه أولا يهدى غيره إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدى من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن يهدى إلا ان ينقل أولا يهتدى ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيا ناطقا فيهديه (فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد الله (وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ) فى قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها شفعاء عند الله والمراد بالأكثر الجميع (إِلَّا ظَنًّا) بغيردليل وهواقتداؤهم بأسلافهم ظنامنهم إنهممصيبون (إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ) وهو العلم (شَيْئًا) فى موضع المصدر أى إغناء (إِنَّ اللهَ

عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ) من اتباع الظن وترك الحق (وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ) أى افتراء من دون الله والمعنى وما صح وما استقام أن يكون مثله فى علو أمره وإعجازه مفترى (وَلَٰكِن) كان (تَصْدِيقَ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة (وَتَفْصِيلَ الْكِتَٰبِ) وتبيين ما كتب وفرض من الأحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم (لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَٰلَمِينَ) داخل فى حيز الاستدراك كأنه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لاريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لاريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لاشك فيه كريم (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ) بل أيقولون اختلقه (قُلْ) إن كان الأمر كما تزعمون (فَأْتُوا) أنتم على وجه الافتراء (بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ) أى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم فأنتم مثلى فى العربية (وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ) أى وادعوا من دون الله من استطعتم من خلقه للاستعانة به على الإتيان بمثله (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أنه افتراء (بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ) بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن فى بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم ومعنى التوقع فى ولما يأتهم تأويله أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدى وجربوا قواهم فى المعارضة وعرفوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك التكذيب (كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) يعنى كفار الأمم الماضية كذبوا رسلهم قبل النظر فى معجزاتهم وقبل تدبرها عنادا وتقليدا للآباء ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ولم يأتهم بعد تأويل ما فيه من الإخبار بالغيوب أى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب أم صدق يعنى أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا فى نظمه وبلوغه حد الإعجاز وقبل أن يجربوا إخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الظَّٰلِمِينَ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ) بالنبى أو بالقرآن أى يصدق به فى

نفسه ويعلم أنه حق ولـكن يعاند بالتـكذيب (وَمِنْهُم مَّن لاَّ يُؤْمِنُ بِهِ) لايصدق به ويشك فيهأويكون للاستقبال أى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ) بالمعاندين أو المصرين (وَإِن كَذَّبُوكَ) وإن تموا على تكذيبك ويئست من إجابتهم (فَقُل لِّى عَمَلِى) جزاء عملى (وَلَـكُمْ عَمَلُـكُمْ) جزاء أعمالـكم (أَنتُم بَرِيـٓئُونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ) فكل مؤاخذ بعمله (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولـكنهم لا يعون ولا يقبلون فهم كالصم (أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ) أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع فى صماخه دوى الصوت فإذا اجتمع سلب العقل والسمع فقد تم الأمر (وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ) ومنهم ناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة الصدق وأعلام النبوة ولـكنهم لايصدقون (أَفَأَنتَ تَهْدِى الْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ) أتحسب أنك تقـدر على هداية العمى ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدث وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعنى أنهم فى اليأس من أن يقبلوا ويصدقو كالصم والعمى الذين لا عقول لهم ولا بصائر (إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَـكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) ولـكن الناس حمـزة وعلى . أى لم يظلمهم بسلب آلة الاستدلال ولـكنهم ظلموا أنفسهم بترك الاستدلال حيث عبدوا جمادا وهم أحياء (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ) وبالياء حفص (كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ) استقصروا مدة لبثهم فى الدنيـا أو فى قبورهم لهول ما يرون (يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عنـد خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الأمر عليهم كان لم يلبثوا حال من هم أى نحشرهم مشبهين بمن لم يلبثوا إلا ساعة وكأن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف أى كأنهم. ويتعارفون بينهم حال بعد حال أو مستأنف على تقديرهم يتعارفون بينهم (قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللهِ) على إرادة القـول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك أوهى شهادة من الله على خسرانهم والمعنى أنهم وضعوا فى تجارتهم وبيعهم الإيمان بالـكفر (وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كأنه قيل ماأخسرهم (وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ) من العذاب (أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ)

قبل عذابهم (فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ) جواب نتوفيك وجواب نرينك محذوف أى وإما نرينك بعض الذى نعدهم فى الدنيا فذاك أو نتوفينك قبل أن نريكه فنحن نريكه فى الآخرة (ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب كأنه قيل ثم الله معاقب على مايفعلون وقيل ثم هنا بمعنى الواو (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ) يبعث إليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم إلى دين الحق (فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قُضِيَ بَيْنَهُم) بين النبي ومكذبيه (بِالْقِسْطِ) بالعدل فأنجى الرسول وعذب المكذبين أو ولكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه وتدعى به فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان قضى بينهم بالقسط (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) لايعذب أحد بغير ذنبه ولما قال وإما نرينك بعض الذى نعدهم أى من العذاب استعجلوا لما وعدوا من العذاب نزل (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ) أى وعد العذاب (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أن العذاب نازل وهو خطاب منهم للنبي والمؤمنين (قُل) يامحمد (لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا) من مرض أو فقر (وَلَا نَفْعًا) من صحة أو غنى (إِلَّا مَاشَآءَ اللَّهُ) استثناء منقطع أى ولكن ماشاء الله من ذلك كائن فكيف أملك لكم الضر وجلب العذاب (لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَئْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) لكل أمة وقت معلوم للعذاب مكتوب فى اللوح فإذا جاء وقت عذابهم لايتقدمون ساعة ولا يتأخرون فلا تستعجلوا (قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُ) الذى تستعجلونه (بَيَٰتًا) نصب على الظرف أى وقت بيات وهو الليل وأنتم ساهون نائمون لاتشعرون (أَوْ نَهَارًا) وأنتم مشتغلون بطلب المعاش والكسب (مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ) أى من العذاب والمعنى أن العذاب كله مكروه موجب للنفور فأى شىء تستعجلون منه وليس شىء منه يوجب الاستعجال والاستفهام فى ماذا يتعلق بأرأيتم لأن المعنى أخبرونى ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال أو تعرفوا الخطأ فيه ولم يقل ماذا يستعجلون منه لأنه أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الإجرام أو ماذا يستعجل منه المجرمون جواب الشرط نحو إن أتيتك ماذا تطعمنى ثم تتعلق الجملة بأرأيتم أو (أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ) العذاب (ءَامَنتُم بِهِ) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون

اعتراض والمعنى إن أتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لاينفعكم الإيمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء فى أفأمن أهل القرى أوأمن أهل القرى (ءَآلْئَنَ) على إرادة القول أى قيل لهم إذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ) أى بالعذاب تكذيباً واستهزاء. آلان بحذف الهمزة التى بعد اللام وإلقاء حركتها على اللام نافع (ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) أى الدوام (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ) من الشرك والتكذيب (وَيَسْتَنبِئُونَكَ) ويستخبرونك فيقولون (أَحَقٌّ هُوَ) وهو استفهام على جهة الإنكار والاستهزاء والضمير للعذاب الموعود (قُلْ) يامحمد (إِي وَرَبِّي) نعم والله (إِنَّهُ لَحَقٌّ) إن العذاب كائن لامحالة (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ) كفرت وأشركت وهو صفة لنفس أى ولو أن لكل نفس ظالمة (مَافِي الأَرْضِ) فى الدنيا اليوم من خزائنها وأموالها (لاَفْتَدَتْ بِهِ) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى ويقال افتداه أيضا بمعنى فداه (وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ) وأظهروها من قولهم أسر الشيء إذا أظهره أو أخفوها عجزا عن النطق لشدة الأمر فأسر من الأضداد (وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ) بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم (وَهُمْ لاَيُظْلَمُونَ) ثم أتبع ذلك الإعلام بأن له الملك كله بقوله (أَلآَ إِنَّ لِلَّهِ مَافِي السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ) فكيف يقبل الفداء وأنه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب أوالعقاب فهوحق لقوله (أَلآَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بالثواب أو بالعذاب (حَقٌّ) كائن (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ) هو القادر على الاحياء والاماتة لايقدر عليهما غيره (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) وإلى حسابه وجزائه المرجع فيخاف ويرجى (يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ) أى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد والموعظة التى تدعو إلى كل مرغوب وتزجر عن كل مرهوب فما فى القرآن من الأوامر والنواهى داع إلى كل مرغوب وزاجر عن كل مرهوب إذ الأمر يقتضى حسن المأمور به فيكون مرغوباً وهو يقتضى النهى عن ضده وهو قبيح وعلى هذا فى النهى (وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ) أى صدوركم من العقائد الفاسدة (وَهُدًى) من الضلالة (وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)

لمن آمن به منكم (قُلْ) يا محمد (بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا) أصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا بذلك فليفرحوا والتكرير للتأكيد والتقدير وإيجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ماعداهما من فوائد الدنيا فحذف أحد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كأنه قيل إن فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح أو بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا وهما كتاب الله والإسلام فى الحديث « من هداه الله للإسلام وعلمه القرآن ثم شكا الفاقة كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه» وقرأ الآية (هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) وبالتاء شامى، فلتفرحوا يعقوب (قُلْ أَرَءَيْتُم) أخبرونى (مَّآ أَنزَلَ اللهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ) ما منصوب بأنزل أو بأرأيتم أى أخبرونيه (فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا) فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقوله مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا نعم الأرزاق تخرج من الأرض ولكن لما نيطت أسبابها بالسماء نحو المطر الذى به تنبت الأرض النبات والشمس التى بها النضج وينع الثمار أضيف إنزالها إلى السماء (قُلْ ءَآللهُ أَذِنَ لَكُمْ) متعلق بأرأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى أخبرونى آلله أذن لكم فى التحليل والتحريم فأنتم تفعلون ذلك بإذنه (أَمْ عَلَى اللهِ تَفْتَرُونَ) أم أنتم تكذبون على الله فى نسبة ذلك إليه أو الهمزة للإنكار وأم منقطعة بمعنى بل أتفترون على الله تقريرا للافتراء والآية زاجرة عن التجوز فيما يسئل من الأحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وأن لا يقول أحد فى شيء جائز أو غير جائز إلا بعد إيقان وإتقان وإلا فهو مفتر على الديان (وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ) ينسبون ذلك إليه (يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه أى أى شيء ظن المفترين فى ذلك اليوم مايصنع بهم وهو يوم الجزاء بالإحسان والإساءة وهو وعيد عظيم حيث أبهم أمره (إِنَّ اللهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) حيث أنعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحى وتعليم الحلال والحرام (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) هذه النعمة ولا يتبعون ماهدوا إليه (وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ) ما نافية والخطاب للنبى ﷺ والشأن الأمر (وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ) من التنزيل كأنه قيل وما تتلو من التنزيل (مِن قُرْءَانٍ) لأن كل جزء منه قرآن والإضمار قبل الذكر تفخيم له أو من الله عز وجل (وَلَا تَعْمَلُونَ) أنتم جميعا (مِنْ عَمَلٍ) أى عمل (إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا) شاهدين رقباء

تحصي عليكم (إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ) تخوضون من أفاض فى الأمر إذا اندفع فيه (وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ) وما يبعد وما يغيب وبكسر الزاى على حيث كان (مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ) وزن نملة صغيرة (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ) رفعهما حمزة على الابتداء والخبر (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) يعنى اللوح المحفوظ ونصبهما غيره على نفى الجنس وقدمت الأرض على السماء هنا وفى سبأ قدمت السماوات لأن العطف بالواو وحكمه حكم التثنية (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ) هم الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة أو هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذى آتاهم فتولوا القيام بحقه والرحمة لخلقه أوهم المتحابون فى الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها أوهم المؤمنو ن المتقون بدليل الآية الثانية (لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ) إذا خاف الناس (وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) إذا حزن الناس (الَّذِينَ آمَنُوا) منصوب بإضمار أعنى أو لأنه صفة لأولياء أو مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين آمنوا (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك والمعاصى (لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير موضع من كتابه وعن النبي ﷺ «هى الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له» وعنه عليه السلام «ذهبت النبوة وبقيت المبشرات والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة» وهذا لأن مدة الوحى ثلاث وعشرون سنة وكان فى ستة أشهر منها يؤمر فى النوم بالإنذار وستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزأ أو هى محبة الناس له والذكر الحسن أولهم البشرى عند النزع بأن يرى مكانه فى الجنة (وَفِي الْآخِرَةِ) هى الجنة (لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ) لا تغيير لأقواله ولا إخلاف لمواعيده (ذَٰلِكَ) إشارة إلى كونهم مبشرين فى الدارين (هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) وكلتا الجملتين اعتراض ولا يجب أن يقع بعد الاعتراض كلام كما تقول فلان ينطق بالحق والحق أبلج وتسكت (وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ) تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وإبطال أمرك (إِنَّ الْعِزَّةَ) استئناف بمعنى التعليل كأنه قيل مالى لا أحزن فقيل إن العزة (لِلَّهِ) إن الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك أحد شيئا منهما لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إنا لننصر رسلنا أو به يتعزز كل عزيز فهو يعزك ودينك وأهلك والوقف لازم على قولهم لئلا يصير إن العزة مقول الكفار (جَمِيعًا) حال (هُوَ السَّمِيعُ) لما يقولون (الْعَلِيمُ) بما يدبرون ويعزمون

عليه وهو مكافئهم بذلك (أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى الْأَرْضِ) يعنى العقلاء وهم الملائكة والثقلان وخصهم ليؤذن أن هؤلاء إذا كانوا له وفى ملكته ولا يصلح أحد منهم للربوبية ولاأن يكون شريكا له فيها فاوراءهم مما لايعقل أحق أن لا يكون له ندا وشريكا (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَآءَ) مانافية أى ومايتبعون حقيقة الشركاء وإن كانوا يسمونها شركاء لأن شركة الله فى الربوبية محال (إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ) إلا ظنهم أنهم شركاء الله (وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) يحزرون ويقدّرون أن تكون شركاء تقديرا باطلا أو استفهامية أى وأى شىء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الأول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على أحدها للدلالة والمحذوف مفعول يدعون أو موصولة معطوفة على من كأنه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء أى وله شركاؤهم ثم نبه على عظيم قدرته وشمول نعمته على عباده بقوله (هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) أى جعل لكم الليل مظلما لتستريحوا فيه من تعب التردد فى النهار (وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا) مضيئا لتبصروا فيه مطالب أرزاقكم ومكاسبكم (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع مذكر معتبر (قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجيب من كلمتهم الحمقاء (هُوَ الْغَنِىُّ) علة لنفى الولد لأنه إنما يطلب الولد ضعيف ليتقوى به أو فقير ليستعين به أو ذليل ليتشرف به والكل أمارة الحاجة فمن كان غنيا غير محتاج كان الولد عنه منفيا ولأن الولد بعض الوالد فيستدعى أن يكون مركبا وكل مركب ممكن وكل ممكن يحتاج إلى الغير فكان حادثا فاستحال القديم أن يكون له ولد (لَهُ مَا فِى السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) ملكا ولا تجتمع النبوة معه (إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَا) ماعندكم من حجة بهذا القول والباء حقها أن تتعلق بقوله إن عندكم على أن يجعل القول مكانا لسلطان كقولك ماعندكم بأرضكم موز كأنه قيل إن عندكم فيما تقولون سلطان ولما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فقال (أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَالَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) بإضافة الولد إليه (لَا يُفْلِحُونَ) لاينجون من النار ولايفوزون بالجنة (مَتَٰعٌ فِى الدُّنْيَا) أى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا حيث يقيمون به رياستهم فى الكفر ومناصبة النبى ﷺ بالتظاهر به (ثُمَّ إِلَيْنَا

مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ) المخلد (بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ) بكفرهم (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ) واقرأ عليهم (نَبَأَ نُوحٍ) خبره مع قومه والوقف عليه لازم إذ لو وصل لصار إذ ظرفا لقوله واتل بل التقدير واذكر (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم) عظم وثقل كقوله وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (مَّقَامِي) مكانى يعنى نفسه كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان أى خاف ربه أوقيامى ومكثى بين أظهركم ألف سنة إلا خمسين عاما أومقامى (وَتَذْكِيرِى بِئَايَٰتِ اللَّهِ) لأنهم كانوا إذا وعظوا الجماعة قاموا على أرجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا (فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ) أى فوضت أمرى إليه (فَأَجْمِعُوٓا أَمْرَكُمْ) من أجمع الأمر إذا نواه وعزم عليه (وَشُرَكَآءَكُمْ) الواو بمعنى مع أى فأجمعوا أمركم مع شركائكم (ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً) أى غما عليكم وهما والغم والغمة كالكرب والكربة أوملتبسا فى خفية والغمة السترة من غمه إذا ستره ومنه الحديث «لا غمة فى فرائض الله» أى لا تستر ولكن يجاهر بها والمعنى ولا يكن قصدكم إلى إهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به (ثُمَّ اقْضُوٓا إِلَىَّ) ذلك الأمر الذى تريدون بى أى أدوا إلى ماهو حق عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه أو اصنعوا ما أمكنكم (وَلَا تُنظِرُونِ) ولا تمهلونى (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ) فإن أعرضتم عن تذكيرى ونصحى (فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ) فأوجب التولى أوفما سألتكم من أجرففاتنى ذلك بتوليكم (إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة أى مانصحتكم إلا لله لا لغرض من أغراض الدنيا وفيه دلالة منع أخذ الأجر على تعليم القرآن والعلم الدينى (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) من المستسلمين لأوامره ونواهيه إن أجرى بالفتح مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (فَكَذَّبُوهُ) فداموا على تكذيبه (فَنَجَّيْنَٰهُ) من الغرق (وَمَن مَّعَهُ فِى الْفُلْكِ) فى السفينة (وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ) يخلفون الهالكين بالغرق (وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُنذَرِينَ) هو تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن أنذرهم رسول الله ﷺ عن مثله وتسلية له (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ) من بعد نوح عليه السلام (رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ) أى هودا وصالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا (فَجَآءُوهُم بِالْبَيِّنَٰتِ) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا) فأصروا على الكفر بعد المجىء (بِمَا كَذَّبُوا بِهِ

مِن قَبْلُ) من قبل مجيئهم يريد أنهم كانوا قبل بعثة الرسل أهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كأن لم يبعث إليهم أحد (كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ) من ذلك الطبع نختم (عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ) المجاوزين الحد فى التكذيب (ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم) من بعد الرسل (مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِآيَاتِنَا) بالآيات التسع (فَاسْتَكْبَرُوا) عن قبولها وأعظم الكبر أن يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن قبولها (وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ) كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترءوا على ردها (فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا) فلما عرفوا أنه هو الحق وأنه من عند الله (قَالُوا) لحبهم الشهوات (إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ) وهم يعلمون أن الحق أبعد شيء من السحر (قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ) هو إنكار ومقولهم محذوف أى هذا سحر ثم استأنف إنكارا آخر فقال (أَسِحْرٌ هَٰذَا) خبر ومبتدأ (وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ) أى لا يظفر (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا) لتصرفنا (عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) من عبادة الأصنام أو عبادة فرعون (وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ) أى الملك لأن الملوك موصوفون بالكبرياء والعظمة والعلو (فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) بمصدقين فيما جئتما به ويكون حماد ويحيى (وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ) سحار حمزة وعلى (فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ) ما موصولة واقعة مبتدأ أو جئتم به صلتها والسحر خبر أى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله . آلسحر بعد وقف أبو عمرو على الاستفهام فعلى هذه القراءة ما استفهامية أى أى شيء جئتم به أهو السحر (إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ) يظهر بطلانه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ) لا يثبته بل يدمره (وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ) ويثبته (بِكَلِمَاتِهِ) بأوامره وقضاياه أو يظهر الإسلام بعداته بالنصرة (وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ) ذلك (فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ) فى أول أمره (إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ) إلا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كأنه قيل إلا أولاد من أولاد قومه وذلك أنه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون وأجابته طائفة من أبنائهم مع الخوف أو الضمير فى قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته والضمير فى (وَمَلَإِيْهِمْ) يرجع إلى

فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له أو إلى الذرية أي على خوف من فرعون وخوف من أشراف بنى اسرائيل لأنهم كانوا يمنعون أعقابهم خوفاً من فرعون عليهم وعلى أنفسهم دليله قوله (أَن يَفْتِنَهُمْ) يريد أن يعذبهم فرعون (وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ) لغالب فيها قاهر (وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ) فى الظلم والفساد وفى الكبر والعتو بادعائه الربوبية (وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِاللَّهِ) صدقتم به وبآياته (فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا) فإليه أسندوا أمركم فى العصمة من فرعون (إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ) شرط فى التوكل الإسلام وهو أن يسلموا نفوسهم لله أى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لأن التوكل لا يكون مع التخليط (فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا) إنما قالوا ذلك لأن القوم كانوا مخلصين لاجرم أن الله قبل توكلهم وأجاب دعاءهم ونجاهم وأهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء فى أرضه فمن أراد أن يصلح للتوكل على ربه فعليه برفض التخليط إلى الإخلاص (رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ) موضع فتنة لهم أى عذاب يعذبوننا أو يفتنوننا عن ديننا أى يضلوننا والفاتن المضل عن الحق (وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَٰفِرِينَ) أى من تعذيبهم وتسخيرهم (وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا) تبوأ المكان اتخذه مباءة كقوله توطنه إذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتاً من بيوته مباءة لقومكما ومرجعاً يرجعون إليه للعبادة والصلاة فيه (وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً) أى مساجد متوجهة نحو القبلة وهى الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون إلى الكعبة وكانوا فى أول الأمر مأمورين بأن يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المسلمون على ذلك فى أول الإسلام بمكة (وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) فى بيوتكم حتى تأمنوا (وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ) ياموسى ثنى الخطاب أولا ثم جمع ثم وحد آخرا لان اختيار مواضع العبادة مما يفوض إلى الأنبياء ثم جمع لأن اتخاذ المساجد والصلاة فيها واجب على الجمهور وخص موسى عليه السلام بالبشارة تعظيما لها وللمبشر بها (وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً) هو مايتزين به من لباس أو حلى أو فرش أو أثاث أو غير ذلك (وَأَمْوَٰلًا) أى نقدا ونعما وضيعة (فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ) ليضلوا الناس عن طاعتك كوفى ولا وقف على الدنيا لأن قوله ليضلوا متعلق بآتيت وربنا تكرار. الأول للإلحاح

فى التضرع قال الشيخ أبو منصور رحمه الله إذا علم منهم أنهم يضلون الناس عن سبيله آتاهم ما آتاهم ليضلوا عن سبيله وهو كقوله إنما نملى لهم ليزدادوا إثما فتكون الآية حجة على المعتزلة (رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ) أى أهلكها وأذهب آثارها لأنهم يستعينون بنعمتك على معصيتك والطمس المحو والهلاك قيل صارت دراهمهم ودنانيرهم حجارة كهيئتها منقوشة وقيل وسائر أموالهم كذلك (وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ) اطبع على قلوبهم واجعلها قاسية (فَلَا يُؤْمِنُوا) جواب الدعاء الذى هو اشدد (حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) إلى أن يروا العذاب الأليم وكان كذلك فإنهم لم يؤمنوا إلى الغرق وكان ذلك إيمان يأس فلم يقبل وإنما دعا عليهم بهذا لما أيس من إيمانهم وعلم بالوحى أنهم لايؤمنون فأما قبل أن يعلم بأنهم لايؤمنون فلايسع له أن يدعو بهذا الدعاء لأنه أرسل إليهم ليدعوهم إلى الإيمان وهو يدل على أن الدعاء على الغير بالموت على الكفر لا يكون كفرا (قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا) قيل كان موسى عليه السلام يدعو وهارون يؤمّن فثبت أن التأمين دعاء فكان اخفاؤه أولى والمعنى أن دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن فى وقته (فَاسْتَقِيمَا) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والتبليغ (وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) ولا تتبعان طريق الجهلة الذين لايعلمون صدق الاجابة وحكمة الامهال فقد كان بين الدعاء والاجابة أربعون سنة. ولا تتبعان بتخفيف النون وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية شامى وخطأه بعضهم لأن النون الخفيفة واجبة السكون وقيل هو إخبار عما يكونان عليه وليس بنهى أو هو حال وتقديره فاستقيما غير متبعين (وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ) هو دليل لنا على خلق الأفعال (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ) فلحقهم يقال تبعته حتى أتبعته (بَغْيًا) تطاولا (وَعَدْوًا) ظلما وانتصبا على الحال أو على المفعول له (حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ) ولا وقف عليه لأن (قَالَ ءَامَنتُ) جواب إذا (أَنَّهُ) إنه حمزة وعلى على الاستئناف بدل من آمنت وبالفتح غيرهما على حذف الباء التى هى صلة الإيمان (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد حيث قال آمنت ثم قال وأنا من المسلمين كرر فرعون المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصاً على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وكانت المرة الواحدة تكفى فى حالة الاختيار (ءَآلْـَٰٔنَ) أتؤمن

الساعة فى وقت الاضطرار حين أدركك الغرق وأيست من نفسك قيل قال ذلك حين ألجمه الغرق والعامل فيه أتؤمن (وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) من الضالين المضلين عن الإيمان روى أن جبريل عليه السلام أتاه بفتيا ما قول الأمير فى عبد لرجل نشأ فى ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فيه يقول أبوالعباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماءه أن يغرق فى البحر فلما ألجمه الغرق ناوله جبريل عليه السلام خطه فعرفه (فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ) نلقيك بنجوة من الأرض فرماه الماء إلى الساحل كأنه ثور (بِبَدَنِكَ) فى موضع الحال أى الحال التى لاروح فيك وإنما أنت بدن أو ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير أوعريانا لست إلا بدنا من غير لباس أو بدرعك وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ أبو حنيفة رضى الله عنه بأبدانك وهو مثل قولهم هو بأجرامه أى ببدنك كله وافيا بأجزائه أو بدروعك لأنه ظاهر بينها (لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان فى أنفسهم أن فرعون أعظم شأنا من أن يغرق وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فألقاه الله على الساحل حتى عاينوه وقيل لمن خلفك لمن يأتى بعدك من القرون ومعنى كونه آية أن يظهر للناس عبوديته وأن ما كان يدعيه من الربوبية محال وأنه مع ما كان عليه من عظم الملك آل أمره إلى ماترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره (وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ) منزلا صالحا مرضياً وهو مصر والشام (وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ الطَّيِّبَٰتِ فَمَا اخْتَلَفُوا) فى دينهم (حَتَّىٰ جَآءَهُمُ الْعِلْمُ) أى التوراة وهم اختلفوا فى تأويلها كما اختلف أمة محمد ﷺ فى تأويل الآيات من القرآن أو المراد العلم بمحمد واختلاف بنى اسرائيل وهم أهل الكتاب اختلافهم فى صفته أنه هو أم ليس هو بعد ماجاءهم العلم أنه هو (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) يميز المحق من المبطل ويجزى كلا جزاءه (فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ) لما قدم ذكر بنى اسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن

أمر رسول الله ﷺ مكتوب فى التوراة والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، أراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وبصحة نبوته ﷺ ويبالغ فى ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضاوتقديرا ـ وسبيل من خالجته شبهة أن يسارع إلى حلها بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته أوبمباحثة العلماء ـ فسل علماء أهل الكتاب فإنهم من الاحاطة بصحة ما أنزل إليك بحيث يصلحون لمراجعة مثلك فضلا عن غيرك فالمراد وصف الأحبار بالرسوخ فى العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشك فيه ثم قال (لَقَدْ جَآءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ) أى ثبت عندك بالآيات الواضحة والبراهين اللائحة أن ماأتاك هو الحق الذى لا مجال فيه للشك (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) الشاكين ولا وقف عليه للعطف (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِ اللهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ) أى فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله أوهو على طريقة التهييج والإلهاب كقوله: فلا تكونن ظهيرا للكافرين. ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك. ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله «لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق» أوخوطب رسول الله ﷺ والمراد أمته أى وإن كنتم فى شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا أو الخطاب لكل سامع يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن أوإن للنفى أى فما كنت فى شك فاسأل أى لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى. فإن قلت إنما يجىء إن للنفى إذا كان بعده إلا كقوله: إن الكافرون إلا فى غرور. قلت ذاك غير لازم ألا ترى إلى قوله إن أمسكهما من أحد من بعده فإن للنفى وليس بعده إلا (إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا أو قوله لأملأن جهنم الآية ولا وقف على (لَا يُؤْمِنُونَ) لأن (وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ) تتعلق بما قبلها (حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) أى عند اليأس فيؤمنون ولا ينفعهم أو عند القيامة ولا يقبل منهم (فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ) فهلا كانت قرية واحدة من القرى التى أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بحتفه (فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ) بأن تقبل الله إيمانها منها بوقوعه فى وقت الاختيار (إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ)

استثناء منقطع أى ولكن قوم يونس أومتصل والجملة فى معنى النفى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء (لَمَّآ ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ) إلى آجالهم . روى أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح كلهم وعجوا أربعين ليلة وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرّقوا بين النساء والصبيان والدواب وأولادها فحن بعضهم إلى بعض وأظهروا الإيمان والتوبة فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وبلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقلع الحجر وقد وضع عليه أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا لما نزل بهم العذاب إلى شيخ من بقية علمائهم فقال لهم قولوا ياحى حين لا حى وياحى محيي الموتى وياحى لا إله إلا أنت فقالوها فكشف الله عنهم. وعن الفضيل قدس الله روحه قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله (وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ) على وجه الإحاطة والشمول (جَمِيعًا) مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه أخبر عن كمال قدرته ونفوذ مشيئته أنه لوشاء لآمن من فى الأرض كلهم ولكنه شاء أن يؤمن به من علم منه اختيار الايمان به، وشاء الكفر ممن علم أنه يختار الكفر ولا يؤمن به وقول المعتزلة المراد بالمشيئة مشيئة القسر والإلجاء أى لو خلق فيهم الايمان جبرا لآمنوا لكن قد شاء أن يؤمنوا اختيارا فلم يؤمنوا دليله (أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) ـ أى ليس إليك مشيئة الاكراه والجبر فى الايمان إنما ذلك إلىّ ـ فاسد لأن الايمان فعل العبد وفعله مايحصل بقدرته ولا يتحقق ذلك بدون الاختيار وتأويله عندنا أن لله تعالى لطفا لو أعطاهم لآمنوا كلهم عن اختيار ولكن علم منهم أنهم لا يؤمنون فلم يعطهم ذلك وهو التوفيق والاستفهام فى أفأنت بمعنى النفى أى لا تملك أنت يامحمد أن تكرههم على الايمان لأنه يكون بالتصديق والاقرار ولا يمكن الاكراه على التصديق (وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ) بمشيئته أوبقضائه أوبتوفيقه وتسهيله أوبعلمه(وَيَجْعَلُ

الرِّجْسَ) أى العذاب أو السخط أو الشيطان أى ويسلط الشيطان (عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ) لا ينتفعون بعقولهم، ونجملــل حماد ويحيى (قُلِ ٱنظُرُوا) نظر استدلال واعتبار (مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ) من الآيات والعبر باختلاف الليل والنهار وخروج الزروع والثمار (وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَٰتُ) مانافية (وَٱلنُّذُرُ) والرسل المنذورون أو الانذارات (عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ) لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون (فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ) يعنى وقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها (قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية (وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا) ومن آمن معهم (كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ) أى مثل ذلك الانجاء ننجى المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض أى حق ذلك علينا حقا. ننجى بالتخفيف على وحفص (قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) ياأهل مكة (إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى) وصحته وسداده فهذا دينى فاستمعوا وصفه ثم وصف دينه فقال ((فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ) أى الأصنام (وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ) يميتكم وصفه بالتوفى ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى ويعبد دون مالا يقدر على شيء (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) أى بأن أكون يعنى أن الله أمرنى بذلك بما ركب فىّ من العقل وبما أوحى إلىّ فى كتابه (وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ) أى وأوحى إلىّ أن أقم ليشا كل قوله أى استقم مقبلا بوجهك على ما أمرك الله أو استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا (حَنِيفًا) حال من الدين أو الوجه (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ) إن دعوته (وَلَا يَضُرُّكَ) إن خذلته (فَإِن فَعَلْتَ) فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا (فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ) إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وحمل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك (وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ) يصبك (بِضُرٍّ) مرض (فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ) لذلك الضر (إِلَّا هُوَ) إلا الله (وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ) عافيــة (فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ) فلا راد لمراده

(يُصِيبُ بِهِ) بالخير (مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ) قطع بهذه الآية على عباده طريق الرغبة والرهبة إلا إليه والاعتماد إلا عليه (وَهُوَ الْغَفُورُ) المكفر بالبلاء (الرَّحِيمُ) المعافى بالعطاء أتبع النهى عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله هو الضار النافع الذى إن أصابك بضر لم يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذى لا شعور به وكذا إن أرادك بخير لم يرد أحد مايريده بك من الفضل والإحسان فكيف بالأوثان وهو الحقيق إذاً بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته وإنما ذكر المس فى أحدهما والإرادة فى الآخر كأنه أراد أن يذكر الأمرين الإرادة والإصابة فى كل واحد من الضر والخير وأنه لاراد لما يريد منهما ولا مزيل لما يصيب به منهما فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الاصابة فى أحدهما والارادة فى الآخر ليدل بما ذكر على ما ترك على أنه قد ذكر الاصابة بالخير فى قوله يصيب به من يشاء من عباده (قُلْ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ) يا أهل مكة (قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ) القرآن أو الرسول (مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ) اختار الهدى واتبع الحق (فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ) فما نفع باختياره إلا لنفسه (وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) ومن آثر الضلال فما ضر إلا نفسه ودل اللام وعلى على معنى النفع والضرر (وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ) بحفيظ موكول إلى أمركم إنما أنا بشير ونذير (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ) على تكذيبهم وإيذائهم (حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ) لك بالنصرة عليهم والغلبة (وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ) لأنه المطلع على السرائر فلا يحتاج إلى بينة وشهود .

﴿ سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓر كِتَـٰبٌ) أى هذا كتاب فهو خبر مبتدإ محذوف (أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ) صفة له أى نظمت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم (ثُمَّ فُصِّلَتْ) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والأحكام والمواعظ والقصص أو جعلت فصولا سورة سورة وآية آية أو

فرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة أوفصل فيها مايحتاج إليه العباد أى بين ولخص وليس معنى ثم التراخى فى الوقت ولكن فى الحال (مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) صفة أخرى لكتاب أو خبر بعدخبر أوصلة لأحكمت وفصلت أى من عنده أحكامها وتفصيلها (أَلاَّ تَعْبُدُوٓا إِلاَّ اللّهَ) مفعول له أى لئلاتعبدوا أوأن مفسرة لأن فى تفصيل الآيات معنى القول كأنه قيل قال لاتعبدوا إلاالله أو أمركم أن لاتعبدوا إلاالله (إِنَّنِي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ) أى من الله (وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) أى أمركم بالتوحيد والاستغفار (ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ) أى استغفروه من الشرك ثم ارجعوا إليه بالطاعة (يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا) يطوّل نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى أن يتوفاكم (وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ) ويعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه شيئا (وَإِن تَوَلَّوْا) وإن تتولوا (فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ) هو يوم القيامة(إِلَى اللّهِ مَرْجِعُكُمْ) رجوعكم (وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) فكان قادراً على إعادتكم (أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ) يزورّون عن الحق وينحرفون عنه لأن من أقبل على الشىء استقبله بصدره ومن ازورّ عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ) ليطلبوا الخفاء من الله فلايطلع رسوله والمؤمنون على ازورارهم (أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ) يتغطون بها أى يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم (يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) أى لا تفاوت فى علمه بين إسرارهم وإعلانهم فلاوجه لتوصلهم إلى مايريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده قيل نزلت فى المنافقين (إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما فيها (وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا) تفضلا لا وجوبا (وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا) مكانه من الأرض ومسكنه (وَمُسْتَوْدَعَهَا) حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب أو رحم أو بيضة (كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعنى ذكرها مكتوب فيه مبين (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) وما بينهما (فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ) من الأحد إلى الجمعة تعليما للتأنى (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ) أى فوقه يعنى ما كان تحته خلق قبل خلق السموٰات والأرض

إلا الماء وفيه دليل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والأرض قيل بدأه بخلق ياقوتة خضراء فنظر إليها بالهيبة فصارت ماء ثم خلق ريحا فأقر الماء على متنه ثم وضع عرشه على الماء وفى وقوف العرش على الماء أعظم اعتبار لأهل الأفكار (لِيَبْلُوَكُمْ) أى خلق السمٰوات والأرض ومابينهما للمتحن فيهما ولم يخلق هذه الأشياء لأنفسها (أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً) أكثر شكرا وعنه عليه السلام «أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله فمن شكر وأطاع أثابه ومن كفر وعصى عاقبه» ولما أشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم أى ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لأحوالكم كيف تعملون (وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ) أشار بهذا إلى القرآن لأن القرآن هو الناطق بالبعث فإذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته إنكار مافيه من البعث وغيره ساحر حمزة وعلى يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ) عذاب الآخرة أو عذاب يوم بدر (إِلَىٰ أُمَّةٍ) إلى جماعة من الأوقات (مَّعْدُودَةٍ) معلومة أو قلائل والمعنى إلى حين معلوم (لَّيَقُولُنَّ مَايَحْبِسُهُ) مايمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء (أَلاَ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ) العذاب (لَيْسَ) العذاب (مَصْرُوفاً عَنْهُمْ) ويوم منصوب بمصروفا أى ليس العذاب مصروفا عنهم يوم يأتيهم (وَحَاقَ بِهِم) وأحاط بهم (مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وإنما وضع يستهزئون موضع يستعجلون لأن استعجالهم كان على وجه الاستهزاء (وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ) هو للجنس (مِنَّا رَحْمَةً) نعمة من صحة وأمن وجدة واللام فى لئن لتوطئة القسم (ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ) ثم سلبناه تلك النعمة وجواب القسم (إِنَّهُ لَيَئُوسٌ) شديد اليأس من أن يعود إليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه (كَفُورٌ) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نسّاء له (وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ) وسعنا عليه النعمة بعد الفقر الذى ناله (لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي) أى المصائب التى ساءتنى (إِنَّهُ لَفَرِحٌ) أشر بطر (فَخُورٌ) على الناس بما أذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا) فى المحنة والبلاء (وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) وشكروا فى النعمة

والرخاء (أُوْلَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ) لذنوبهم (وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) يعنى الجنة كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به فكان يضيق صدر رسول ﷺ أن يلقى إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه فهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ) أى لعلك تترك أن تلقيه إليهم وتبلغه إياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ) بأن تتلوه عليهم ولم يقل ضيق ليدل على أنه ضيق عارض غير ثابت لأنه عليه السلام كان أفسح الناس صدراً ولأنه أشكل بتارك (أَن يَقُولُوا) مخافة أن يقولوا (لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ) هلا أنزل عليه مااقترحنا من الكنز لننفقه والملائكة لتصدقه ولم أنزل عليه مالا نريده ولا نقترحه (إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ) أى ليس عليك إلا أن تنذرهم بما أوحى إليك وتبلغهم ماأمرت بتبليغه ولا عليك أن ردوا أو تهاونوا (وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ) يحفظ مايقولون وهو فاعل بهم مايجب أن يفعل فتوكل عليه وكل أمرك إليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت إلى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (أَمْ يَقُولُونَ) أم منقطعة (ٱفْتَرَىٰهُ) الضمير لما يوحى إليك (قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ) تحداهم أولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخابر فى الخط لصاحبه اكتب عشرة أسطر نحوما أكتب فإذا تبين له العجز عن ذلك قال اقتصرت منك على سطر واحد (مِّثْلِهِۦ) فى الحسن والجزالة ومعنى مثله أمثاله ذهابا إلى مماثلة كل واحدة منها له (مُفْتَرَيَٰتٍ) صفة لعشر سور. لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله أرخى معهم العنان وقال هبوا أنى اختلقته من عند نفسى فأتوا أنتم أيضاً بكلام مثله مختلق من عند أنفسكم فأنتم عرب فصحاء مثلى (وَٱدْعُوا مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ) إلى المعاونة على المعارضة (إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ) أنه مفترى (فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أى أنزل ملتبساً بما لا يعلمه إلا الله من نظم معجز للخلق وإخبار بغيوب لا سبيل لهم إليه واعلموا عند ذلك أن لا إله إلا الله وحده وأن توحيده واجب والإشراك به ظلم عظيم وإنما جمع الخطاب بعد إفراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل

لأن الجمع لتعظيم رسول الله ﷺ أو لأن رسول الله ﷺ والمؤمنين كانوا يحدثونهم أو لأن الخطاب للمشركين والضمير فى فإن لم يستجيبوا لمن استطعتم أى فإن لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله إلى المظاهرة على المعارضة لعلمهم بالعجز عنه فاعلموا أنما أنزل بعلم الله أى بإذنه أو بأمره (فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ) متبعون للاسلام بعد هذه الحجة القاطعة ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذى أنتم عليه وازدادوا يقيناً على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد فهل أنتم مسلمون مخلصون (مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ) نوصل إليهم أجور أعمالهم وافية كاملة من غير بخس فى الدنيا وهو مايرزقون فيها من الصحة والرزق وهم الكفار أو المنافقون (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا) وحبط فى الآخرة ماصنعوه أو صنيعهم أى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة إنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا (وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى كان عملهم فى نفسه باطلا لأنه لم يعمل لغرض صحيح والعمل الباطل لاثواب له (أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ) أمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه أى لا يعقبونهم فى المنزلة ولا يقاربونهم يعنى أن بين الفريقين تباينا بينا وأرادبهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة من ربه أى على برهان من الله وبيان أن دين الإسلام وهو دليل العقل (وَيَتْلُوهُ) ويتبع ذلك البرهان (شَاهِدٌ) يشهد بصحته وهو القرآن (مِّنْهُ) من الله أو من القرآن فقد مر ذكره آنفا (وَمِن قَبْلِهِ) ومن قبل القرآن (كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ) وهو التوراة أى ويتلو ذلك البرهان أيضاً من قبل القرآن كتاب موسى عليه السلام (إِمَامًا) كتابا مؤتما به فى الدين قدوة فيه (وَرَحْمَةً) ونعمة عظيمة على المنزل إليهم وهما حالان (أُوْلَٰئِكَ) أى من كان على بينة (يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالقرآن (وَمَن يَكْفُرْ بِهِ) بالقرآن (مِنَ الْأَحْزَابِ) يعنى أهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله ﷺ (فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ) مصيره ومورده (فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ) شك (مِّنْهُ) من القرآن أو من الموعد (إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُوْلَٰئِكَ يُعْرَضُونَ

عَلَىٰ رَبِّهِمْ) يحبسون فى الموقف وتعرض أعمالهم (وَيَقُولُ الْأَشْهَٰدُ هَٰؤُلَآءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ) ويشهد عليهم الأشهاد من الملائكة والنبيين بأنهم الكذابون على الله بأنه اتخذ ولدا وشريكا (أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّٰلِمِينَ) الكاذبين على ربهم والأشهاد جمع شاهد كأصحاب وصاحب أو شهيد كشريف وأشراف (الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) يصرفون الناس عن دينه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يصفونها بالاعوجاج وهى مستقيمة أو يبغون أهلها أن يعوجوا بالارتداد (وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ) هم الثانية لتأكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا) أى ما كانوا (مُعْجِزِينَ فِى الْأَرْضِ) بمعجزين الله فى الدنيا أن يعاقبهم لو أراد عقابهم (وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ) من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه أراد إنظارهم وتأخير عقابهم إلى هذا اليوم وهو من كلام الأشهاد (يُضَٰعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ) لأنهم أضلوا الناس عن دين الله. يضعّف مكى وشامى (مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ) أى استماع الحق (وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ) الحق (أُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ) حيث اشتروا عبادة الآلهة بعباده الله (وَضَلَّ عَنْهُم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من الآلهة وشفاعتها (لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) بالصد والصدود وفى لا جرم أقوال أحدها أن لا رد لكلام سابق أى ليس الأمر كما زعموا ومعنى جرم كسب وفاعله مضمر وأنهم فى الآخرة فى محل النصب والتقدير كسب قولهم خسرانهم فى الآخرة وثانيها أن لا جرم كلمتان ركبتا فصار معناها حقاً وأن فى موضع رفع بأنه فاعل لحق أى حق خسرانهم وثالثها أن معناه لا محالة (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ) واطمأنوا إليه وانقطعوا إلى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهى الأرض المطمئنة (أُولَٰئِكَ أَصْحَٰبُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ) شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع (هَلْ يَسْتَوِيَانِ) يعنى الفريقين (مَثَلًا) تشبيها وهو نصب على التمييز (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فتنتفعون بضرب المثل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) أى بأنى والمعنى أرسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله إنى لكم نذير مبين بالكسر فلما اتصل به

الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وبكسر الألف شامى ونافع وعاصم وحمزة على إرادة القول (أَن لاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ) أن مفسرة متعلقة بأرسلنا أو بنذير (إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) وصف اليوم بأليم من الاسناد المجازى لوقوع الألم فيه (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ) يريد الأشراف لأنهم يملئون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملئوا بالأحلام والآراء الصائبة (مَا نَرَىٰكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا) أرادوا أنه كان ينبغى أن يكون ملكا أو ملكا (وَمَا نَرَىٰكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا) أخساءنا جمع الأرذل (بَادِىَ) وبالهمزة أبو عمرو (الرَّأْىِ) وبغير همز أبو عمرو أى اتبعوك ظاهر الرأى أو أول الرأى من بدا يبدو إذا أظهر أو بدأ يبدأ إذا فعل الشىء أولا وانتصابه على الظرف أصله وقت حدوث ظاهر رأيهم أو أول رأيهم فحذف ذلك وأقيم المضاف إليه مقامه أرادوا أن اتباعهم لك شىء عنّ لهم بديهة من غير روية ونظر ولو تفكروا ما اتبعوك وإنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم فى الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى أكثر المتسمّين بالإسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه إكرامهم وإهانتهم ولقد زل عنهم أن التقدم فى الدنيا لا يقرب أحداً من الله وإنما يبعده ولا يرفعه بل يضعه (وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ) فى مال ورأى عنوا نوحاً وأتباعه (بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ) أى نوحاً فى الدعوة ومتبعيه فى الإجابة والتصديق يعنى تواطأتم على الدعوة والإجابة تسبيباً للرياسة (قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ) أخبرونى (إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ) برهان (مِّن رَّبِّى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ) يعنى النبوة (فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ) ـفَعَمِيَتْـ أى خفيت. فُعُمِّيت حمزة وعلى وحفص أى أخفيت أى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمى على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغيرها وحقيقته أن الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لأن الأعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره (أَنُلْزِمُكُمُوهَا) أى الرحمة (وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ) لا تريدونها والواو دخلت هنا تتمة للميم وعن أبى عمرو اسكان الميم ووجهه أن الحركة لم تكن إلا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا وهو لحن لأن الحركة الإعرابية لا يسوغ طرحها إلا فى ضرورة الشعر (وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة لأنه مدلول قوله إنى لكم نذير (مَالاً) أجراً يثقل عليكم إن أديتم أو علىّ إن أبيتم (إِنْ أَجْرِىَ)

مدنى وشامى وأبو عمرو وحفص (إِلاَّ عَلَى اللهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا) جواب لهم حين سألوا طردهم ليؤمنوا به أنفة من المجالسة معهم (إِنَّهُم مُّلَقُوا رَبِّهِمْ) فيشكوننى إليه إن طردتهم (وَلَـٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ) تتسافهون على المومنين وتدعونهم أراذل أو تجهلون لقاء ربكم أو أنهم خير منكم (وَيَـٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِى مِنَ اللهِ) من يمنعنى من انتقامه (إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) تتعظون (وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ اللهِ) فأدعى فضلا عليكم بالغنى حتى تجحدوا فضلى بقولكم ومانرى لكم علينا من فضل (وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ) حتى أطلع على مافى نفوس أتباعى وضمائر قلوبهم وهو معطوف على عندى خزائن الله أى لاأقول عندى خزائن الله ولاأقول أنا أعلم الغيب (وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ) حتى تقولوا إلى ماأنت إلا بشر مثلنا (وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ) ولاأحكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم (لَن يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْرًا) فى الدنيا والآخرة لهوانه عليه مساعدة لكم ونزولا على هواكم (اللهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ) من صدق الاعتقاد وإنما على قبول ظاهر إقرارهم إذ لاأطلع على خفى أسرارهم (إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ الظَّـٰلِمِينَ) إن قلت شيئا من ذلك. والازدراء افتعال من زرى عليه إذا عابه وأصله تزترى فأبدلت التاء دالا (قَالُوا يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا) خاصمتنا (فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ) من العذاب (إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ) فى وعدك (قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللهُ إِن شَآءَ) أى ليس الإتيان بالعذاب إلىّ وإنما هو إلى من كفرتم به (وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ) أى لم تقدروا على الهرب منه (وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ) هو إعلام موضع الغى ليتقى والرشد ليقتفى. ولكنى إنى نصحىَ مدنى وأبو عمرو (إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ) أى يضلكم وهذا شرط دخل على شرط فيكون الثانى مقدما فى الحكم لما عرف . تقديره إن كان الله يريد أن يغويكم لاينفعكم نصحى أن أردت أن أنصح لكم وهو دليل بين لنا فى إرادة المعاصى (هُوَ رَبُّكُمْ) فيتصرف فيكم على قضية إرادته (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فيجازيكم على أعمالكم (أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰهُ) بل أيقولون افتراه (قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى) أى إن صح أنى افتريته فعلى عقوبة إجرامى أى افترائى يقال أجرم الرجل إذا أذنب (وَأَنَا بَرِىٓءٌ) أى ولم يثبت ذلك وأنا برىء منه ومعنى (مِّمَّا تُجْرِمُونَ) من إجرامكم فى إسناد الافتراء إلى فلا وجه لإعراضكم ومعاداتكم (وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن

قَدْ ءَامَنَ) إقناط من إيمانهم وأنه غير متوقع وفيه دليل على أن للإيمان حكم التجدد كأنه قال إن الذى آمن يؤمن فى حادث الوقت وعلى ذلك تخرج الزيادة التى ذكرت فى الإيمان بالقرآن (فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) فلا تحزن حزن بائس مستكين والابتئاس افتعال من البؤس وهو الحزن والفقر والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وإيذائك فقد حان وقت الانتقام من أعدائك (وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا) هو فى موضع الحال أى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا بأعيننا كأن لله معه أعينا تكلؤه من أن يزيغ فى صنعته عن الصواب (وَوَحْيِنَا) وأنا نوحى إليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضى الله عنهما لم يعلم كيف صنعة الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطير (وَلَا تُخَاطِبْنِى فِى الَّذِينَ ظَلَمُوا) ولا تدعنى فى شأن قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ) محكوم عليهم بالاغراق وقد قضى به وجف القلم فلا سبيل إلى كفه (وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ) حكاية حال ماضية (وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ) من عمله السفينة وكان يعملها فى برية فى أبعد موضع من الماء فكانوا يتضاحكون منه ويقولون له يانوح صرت نجارا بعدما كنت نبيا (قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ) عند رؤية الهلاك (كَمَا تَسْخَرُونَ) منا عند رؤية الفلك روى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة من خشب الساج فى سنتين وكان طولها ثلثمائة ذراع أو ألفا ومائتى ذراع وعرضها خمسون ذراعا أو ستمائة ذراع وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا وجعل لها ثلاثة بطون فحمل فى البطن الأسفل الوحوش والسباع والهوام وفى البطن الأوسط الدواب والأنعام وركب نوح ومن معه فى البطن الأعلى مع مايحتاج إليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله حاجزا بين الرجال والنساء (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ) من فى محل نصب بتعلمون أى فسوف تعلمون الذى يأتيه (عَذَابٌ يُخْزِيهِ) ويعنى به إياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق (وَيَحِلُّ عَلَيْهِ) وينزل عليه (عَذَابٌ مُّقِيمٌ) وهو عذاب الآخرة (حَتَّىٰ) هى التى يبدأ بعدها الكلام أدخلت على الجملة من الشرط والجزاء وهى غاية لقوله ويصنع الفلك أى وكان يصنعها إلى أن جاء وقت الموعد ومابينهما من الكلام حال من يصنع أى يصنعها والحال أنه كلما مرعليه ملأ من قومه سخروا منه وجواب كلما سخروا وقال استئناف على تقدير سؤال سائل أو قال جواب وسخروا بدل من مر أو صفة لملأ (إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا)

عذابنا (وَفَارَ التَّنُّورُ) هو كناية عن اشتداء الأمر وصعوبته وقيل معناه جاش الماء من تنور الخبز وكان من حجر لحواء فصار إلى نوح عليه السلام وقيل التنور وجه الأرض (قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا) فى السفينة (مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) تفسيره فى سورة المؤمنين (وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ) عطف على اثنين وكذا (وَمَنْ ءَامَنَ) أى واحمل أهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من أهله من سبق عليه القول أنه من أهل النار وماسبق عليه القول بذلك إلا للعلم بأنه يختار الكفر بتقديره وإرادته جل خالق العباد عن أن يقع فى الكون خلاف ماأراد (وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ) قال عليه السلام «كانوا ثمانية نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم» وقيل كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجالا ونساء وأولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرِاهَا وَمُرْسَاهَا) بسم الله متصل باركبوا حالا من الواو أى اركبوا فيها مسمين الله أو قائلين بسم الله وقت إجرائها ووقت إرسائها إما لأن المجرى والمرسى للوقت وإما لأنهما مصدران كالإجراء والإرساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ويجوز أن يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة برأسها غير متعلقة بما قبلها وهى مبتدأ وخبر يعنى أن نوحا عليه السلام أمرهم بالركوب ثم أخبرهم بأن مجراها ومرساها بذكر اسم الله أى باسم الله إجراؤها وإرساؤها وكان إذا أراد أن تجرى قال بسم الله فجرت وإذا أراد أن ترسو قال بسم فرست. مجريها بفتح الميم وكسر الراء من جرى إما مصدر أو وقت حمزة وعلى وحفص وبضم الله الميم وكسر الراء أبو عمرو والباقون بضم الميم وفتح الراء (إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ) لمن آمن منهم (رَّحِيمٌ) حيث خلصهم (وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ) متصل بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كأنه قيل فركبوا فيها يقولون بسم وهى تجرى بهم أى السفينة تجرى وهم فيها (فِى مَوْجٍ كَالْجِبَالِ) يريد موج الطوفان وهو جمع موجة كتمر وتمرة وهو مايرتفع من الماء عند اضطرابه بدخول الرياح الشديدة فى خلاله شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ) كنعان وقيل يام والجمهور على أنه ابنه الصلبى وقيل كان ابن امرأته (وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ) عن أبيه وعن السفينة مفعل من عزله عنه إذا نحاه وأبعده أو فى معزل عن دين أبيه (يَابُنَىَّ) بفتح الياء عاصم اقتصارا عليه من الألف المبدلة من ياء الإضافة من قولك يابنيا. غيره بكسر الياء اقتصارا عليه

من ياء الاضافة (ارْكَب مَّعَنا) فى السفينة أى أسلم واركب (وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَـٰفِرِينَ قَالَ سَئَاوِىٓ) ألجا (إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ الْمَاءِ) يمنعنى من الغرق (قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ) إلا الراحم وهو الله تعالى أولا عاصم اليوم من الطوفان إلا من رحم الله أى إلا مكان من رحم الله من المؤمنين وذلك أنه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعنى السفينة أو هو استثناء منقطع كأنه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله مالهم به من علم إلا اتباع الظن (وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ) بين ابنه والجبل أو بين نوح وابنه (فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) فصار أو فكان فى علم الله (وَقِيلَ يَاأَرْضُ ابْلَعِى مَاءَكِ) انشفى وتشربى، والبلع: النشف (وَيَاسَمَاءُ أَقْلِعِى) أمسكى (وَغِيضَ الْمَاءُ) نقص من غاضه إذا نقصه وهو لازم ومتعد (وَقُضِىَ الْأَمْرُ) وأنجز ما وعد الله نوحا من إهلاك قومه (وَاسْتَوَتْ) واستقرت السفينة بعد أن طافت الأرض كلها ستة أشهر (عَلَى الْجُودِىِّ) وهو جبل بالموصل (وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّـٰلِمِينَ) أى سحقا لقوم نوح الذين غرقوا يقال بعد بعدا وبَعَدًا إذا أرادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ولذلك خص بدعاء السوء * والنظر فى هذه الآية من أربع جهات من جهة علم البيان وهو النظر فيما فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها فنقول إن الله تعالى لما أراد أن يبين معنى أردنا أن نرد ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد وأن نقطع طوفان السماء فانقطع وأن نغيض الماء النازل من السماء فغيض وأن نقضى أمر نوح وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى وأن نسوى السفينة على الجودى فاستوت وأبقينا الظلمة غرقى بنى الكلام على تشبيه المراد بالأمر الذى لا يتأتى منه لكمال هيبته العصيان وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكون المقصود تصويراً لاقتداره العظيم وأن السماوات والأرض منقادة لتكوينه فيها مايشاء غير ممتنعة لإرادته فيها تغييرا وتبديلا كأنها عقلاء مميزون قد عرفوه حق معرفته وأحاطوا علماً بوجوب الانقياد لأمره والإذعان لحكمه وتحتم بذل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى على تشبيه هذا نظم الكلام فقال عز وجل وقيل على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد وهو ياأرض وياسماء ثم قال مخاطباً

لها يا أرض ويا سماء على سبيل الاستعارة للشبه المذكور ثم استعار لغور المـاء فى الأرض البلع الذى هو أعمال الجاذبة فى المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفى ثم استعار الماء للغذاء تشبيهاً له بالغذاء لتقوى الأرض بالماء فى الإنبات كتقوى الآكل بالطعام ثم قال ماءك بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز لا تصال الماء بالأرض كاتصال الملك بالمالك ثم اختار لاحتباس المطر الإقلاع الذى هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما فى عدم التأنى ثم قال وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا ولم يصرح بمن أغاض الماء ولا بمن قضى الأمر وسوى السفينة وقال بعدا كما لم يصرح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا فى كل واحـد من ذلك لسبيل الـكناية وأن تلك الأمور العظام لا تـكون إلا بفعل فاعل قادر وتـكوين مكون قاهر وأن فاعلها واحد لايشارك فى فعله فلا يذهب الوهم إلى أن يقول غيره يا أرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى ولا أن يكون الغائض والقاضى والمسوى غيره ثم ختم الـكلام بالتعريض تنبيها لسالـكى مسلـكهم فى تـكذيب الرسل ظلما لأنفسهم إظهارا لمـكان السخط وأن ذلك العذاب الشديد ما كان إلا لظلمهم * ومن جهة علم المعانى وهو النظر فى فائدة كل كلة فيها وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها وذلك أنه اختير يا دون أخواتها لـكونها أكثر استعمالا ولدلالتها على بعد المنادى الذى يستدعيه مقام إظهار العظمة والملـكوت وإبداء العزة والجبروت وهو تبعيد المنادى المؤذن بالتهاون به ولم يقل يا أرضى لزيادة التهاون إذ الإضافة تستدعى القرب ولم يقل يا أيتها الأرض للاختصار واختير لفظ الأرض والسماء لـكونهما أخف وأدور واختير ابلعى على ابتلعى لـكونه أخصر وللتجانس بينه وبين أقلعى وقيل أقلعى ولم يقل عن المطر وكذا لم يقل يا أرض ابلعى ماءك فبلعت وياسماء أقلعى فأقلعت اختصاراً واختير غيض على غيّض وقيل الماء دون أن يقول ماء الطوفان والأمر ولم يقل أمر نوح وقومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف العهد عن ذلك ولم يقل وسويت على الجودى أى أقرت على نحو قيل وغيض اعتبارا لبناء الفعل للفاعل مع السفينة فى قوله وهى تجرى بهم إرادة للمطابقة ثم قيل بعداً للقوم ولم يقل ليبعد القوم طلبا للتأكيد مع الاختصار هذا من حيث النظر إلى تركيب الـكلم وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل فذلك انه قدم النداء على الأمر فقيل ياأرض ابلعى وياسماء أقلعى ولم يقل ابلعى يا أرض وأقلعى يا سماء جريا على مقتضى الـكلام فيمن كان مأمورا حقيقة من تقـديم

التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه فى نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح ثم قدم أمر الارض على أمر السماء وابتدأ به لابتداء الطوفان منها ثم أتبع وغيض الماء لاتصاله بقصة الماء وأخذه بحجزتها ثم ذكر ماهو المقصود وهو قوله وقضى الأمر أى أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه فى الفلك وعلى هذا فاعتبر * ومن جهة الفصاحة المعنوية وهى كما ترى نظم للمعانى لطيف وتأدية لها ملخصة مبينة لاتعقيد يعثر الفكر فى طلب المراد ولا التواء يشيك الطريق إلى المرتاد * ومن جهة الفصاحة اللفظية فألفاظها على ماترى عربية مستعملة سليمة عن التنافر بعيدة عن البشاعة عذبة على العذبات سلسة على الأسلات كل منها كالماء فى السلاسة وكالعسل فى الحلاوة وكالنسيم فى الرقة ومن ثم أطبق المعاندون على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ولله در شأن التنزيل لا يتأمل العالم آية من آياته إلا أدرك لطائف لاتسع الحصر ولا تظنن الآية مقصورة على المذكور فلعل المتروك أكثر من المسطور (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ) نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع مابعده من اقتضاء وعده فى تنجية أهله (إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي) أى بعض أهلى لأنه كان ابنه من صلبه أو كان ربيباً له فهو بعض أهله (وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذى لاشك فى إنجازه والوفاء به وقد وعدتنى أن تنجى أهلى فما بال ولدى (وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) أى أعلم الحكام وأعدلهم إذ لا فضل لحاكم على غيره إلا بالعلم والعدل ورب غريق فى الجهل والجور من متقلدى الحكومة فى زمانك قد لقب أقضى القضاة ومعناه أحكم الحاكمين فاعتبر واستعبر (قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ) ثم علل لانتفاء كونه من أهله بقوله (إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ) وفيه إيذان بأن قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وأن نسيبك فى دينك وإن كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك ومن لم يكن على دينك وإن كان أمس أقاربك رحما فهو أبعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة فى ذمه كقولها : * فإنما هى إقبال وإدبار أو التقدير إنه ذو عمل وفيه إشعار بأنه إنما أنجى من أنجى من أهله لصلاحهم لا لأنهم أهله وهذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه أبوته. عمِل غير صالح على قال الشيخ أبومنصور رحمه الله كان عند نوح عليه السلام أن ابنه كان على دينه لأنه كان ينافق وإلا لا يحتمل أن يقول ابنى

من أهلى ويسأله نجاته وقد سبق منه النهى عن سؤال مثله بقوله ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا إنهم مغرقون فكان يسأله على الظاهر الذى عنده كما كان أهل النفاق يظهرون الموافقة لنبينا عليه السلام ويضمرون الخلاف له ولم يعلم بذلك حتى أطلعه الله عليه وقوله ليس من أهلك أى من الذين وعدت النجاة لهم وهم المؤمنون حقيقة فى السر والظاهر (فَلَا تَسْـَٔلْنِ) اجتزأ بالكسرة عن الياء كوفى تسألنى بصرى تسألنّى مدنى تسألَنِّ شامى بحذف الياء واجتزأ بالكسرة والنون نون التأكيد تسألنَّ مكى (مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ) بجواز مسئلته (إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ) هو كما نهى رسولنا بقوله فلا تكونن من الجاهلين (قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ) أى من أن أطلب منك فى المستقبل مالا علم لى بصحته تأدبا بأدبك واتعاظا بموعظتك (وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى) مافرط منى (وَتَرْحَمْنِىٓ) بالعصمة عن العود إلى مثله (أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا) بتحية منا أو بسلامة من الغرق (وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ) هى الخيرات النامية وهى فى حقه بكثرة ذريته وأتباعه فقد جعل أكثر الأنبياء من ذريته وأئمة الدين فى القرون الباقية من نسله (وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ) من للبيان فتراد الأمم الذين كانوا معه فى السفينة لأنهم كانوا جماعات أوقيل لهم أمم لأن الأمم تتشعب منهم أو لابتداء الغاية أى على أمم ناشئة ممن معك وهى الأمم إلى آخر الدهر وهو الوجه (وَأُمَمٌ) رفع بالابتداء (سَنُمَتِّعُهُمْ) فى الدنيا بالسعة فى الرزق والخفض فى العيش صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك أمم سنمتعهم وإنما حذف لأن ممن معك يدل عليه (ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) أى فى الآخرة والمعنى أن السلام منا والبركات عليك وعلى أمم مؤمنين ينشؤن ممن معك. وممن معك أمم ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار وكان نوح عليه السلام أبا الأنبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة وعن محمد ابن كعب دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر (تِلْكَ) إشارة إلى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها وهى (مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ) أخبار أى تلك القصة بعض أنباء الغيب موحاة إليك مجهولة عندك وعند قومك (مِن قَبْلِ هَٰذَا) الوقت أو من قبل إيحائى إليك وإخبارك بها (فَٱصْبِرْ) على تبليغ الرسالة وأذى قومك كما

صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما كان لنوح ولقومه (إِنَّ الْعَٰقِبَةَ) فى الفوز والنصر والغلبة (لِلْمُتَّقِينَ) عن الشرك (وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ) واحدا منهم وانتصابه للعطف على أرسلنا نوحاً أى وأرسلنا إلى عاد أخاهم (هُوداً) عطف بيان (قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) وحدوه (مَالَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ) بالرفع نافع صفة على محل الجار والمجرور وبالجر على على اللفظ (إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الأوثان له شركاء (يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي) مامن رسول إلا واجه قومه بهذا القول لأن شأنهم النصيحة والنصيحة لايمحضها إلا حسم المطامع ومادام يتوهم شىء منها لم تنجع ولم تنفع (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) إذ تردون نصيحة من لايطلب عليها أجراً إلا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شىء أنفى للتهمة من ذلك (وَيَٰقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ) آمنوا به (ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ) من عبادة غيره (يُرْسِلِ السَّمَاءَ) أى المطر (عَلَيْكُم مِّدْرَارًا) حال أى كثير الدرور (وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ) إنما قصد استمالتهم إلى الإيمان بكثرة المطر وزيادة القوة لأنهم كانوا أصحاب زروع وبساتين فكانوا أحوج شىء إلى الماء وكانوا مدلين بما أوتوا من شدة البطش والقوة وقيل أراد القوة بالمال أو على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت أرحام نسائهم فوعدهم هود عليه السلام المطر والأولاد على الايمان والاستغفار وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه وفد على معاوية فلما خرج قال له بعض حجابه إنى رجل ذو مال ولا يولد لى علمنى شيئاً لعل الله يرزقنى ولدا فقال الحسن عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتى ربما استغفر فى يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة أخرى فسأله الرجل فقال ألم تسمع قول هود: ويزدكم قوة إلى قوتكم، وقول نوح: ويمددكم بأموال وبنين (وَلَا تَتَوَلَّوْا) ولا تعرضوا عنى وعما أدعو إليه (مُجْرِمِينَ) مصرين على إجرامكم وآثامكم (قَالُوا يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله ﷺ لولا أنزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ) هو حال من من الضمير فى تاركى آلهتنا كأنه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وَمَا نَحْنُ لَكَ

بِمُؤْمِنِينَ) وما يصح من أمثالنا أن يصدقوا مثلك فيما يدعوهم إليه اقناطا له من الإجابة (إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوءٍ) إن حرف نفى فنفى جميع القول إلا قولا واحداً وهو قولهم اعتراك أصابك بعض آلهتنا بسوء بجنون وخبل وتقدير مانقول قولا إلا هذه المقالة أى قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء (قَالَ إِنِّى أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوٓا أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ مِن دُونِهِ) أى من إشراككم آلهة من دونه والمعنى إنى أشهد الله أنى برىء مما تشركون واشهدوا أنتم أيضا إنى برىء من ذلك وجىء به على لفظ الأمر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على أنى لا أحبك تهكما به واستهانة بحاله (فَكِيدُونِى جَمِيعاً) أنتم وآلهتكم (ثُمَّ لَا تُنظِرُونَ) لاتمهلون فإنى لا أبالى بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم على وكيف تضرنى آلهتكم وما هى إلا جماد لايضر ولا ينفع وكيف تنتقم منى إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلنى وتذهب بعقلى (إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ) أى مالكها ، ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة فى قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والأخذ بالناصية تمثيل لذلك (إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إن ربى على الحق لايعدل عنه أو إن ربى يدل على صراط مستقيم (فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ) هو فى موضع فقد ثبتت الحجة عليكم (وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ) كلام مستأنف أى ويهلككم الله ويجىء بقوم آخرين يخلفونكم فى دياركم وأموالكم (وَلَا تَضُرُّونَهُۥ) بتوليكم (شَيْئًا) من ضرر قط إذ لايجوز عليه المضار وإنما تضرون أنفسكم (إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ) رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت الأشياء مفتقرة إلى حفظه عن المضار لم يضر مثله مثلكم (وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ) وكانوا أربعة آلاف (بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) أى بفضل منا لا بعملهم أو بالإيمان الذى أنعمنا عليهم (وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ) وتكرار نجينا للتأكيد أو الثانية من عذاب الآخرة ولاعذاب أغلظ منه (وَتِلْكَ عَادٌ) إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال: سيحوا فى الأرض

فانظروا إليها واعتبروا ثم استأنف وصف أحوالهم فقال (جَحَدُوا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ) لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله (وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ) يريد رؤساءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل لأنهم الذين يجبرون الناس على الأمور ويعاندون ربهم ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم (وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) لما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم فى الدارين (أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ) تكرار الا مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم والدعاء ببعدا بعد هلاكهم وهو دعاء بالهلاك للدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له (قَوْمِ هُودٍ) عطف بيان لعاد وفيه فائدة لأن عادا عادان الأولى القديمة التى هى قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم (وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا قَالَ يَـٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ) لم ينشئكم منها إلا هو وإنشاؤهم منها خلق آدم من التراب ثم خلقهم من آدم (وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) وجعلكم عمارها وأراد منكم عمارتها أو استعمركم من العمر أى أطال أعماركم فيها وكانت أعمارهم من ثلثمائة إلى ألف وكان ملوك فارس قد أكثروا من حفر الأنهار وغرس الأشجار وعمروا الأعمار الطوال مع مافيهم من الظلم فسأل نبى من أنبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فأوحى الله إليه أنهم عمروا بلادى فعاش فيها عبادى (فَاسْتَغْفِرُوهُ) فاسألوه مغفرته بالإيمان (ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ) دانى الرحمة (مُّجِيبٌ) لمن دعاه (قَالُوا يَـٰصَـٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا) فيما بيننا (مَرْجُوًّا قَبْلَ هَـٰذَآ) للسيادة والمشاورة فى الأمور أو كنا نرجو أن تدخل فى ديننا وتوافقنا على مانحن عليه (أَتَنْهَـٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا) حكاية حال ماضية (وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ) من التوحيد (مُرِيبٍ) موقع فى الريبة من أرابه إذا أوقعه فى الريبة وهى قلق النفس وانتفاء الطمأنينة (قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَـٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً) نبوة أتى بحرف الشك مع أنه على يقين أنه على بينة لأن خطابه للجاحدين فكأنه قال قدروا أنى على بينة من ربى وأننى نبى على الحقيقة وانظروا إن تابعتكم وعصيت ربى فى أوامره (فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ اللَّهِ) فمن يمنعنى من عذاب الله (إِنْ عَصَيْتُهُ) فى تبليغ رسالته ومنعكم عن

عبادة الأوثان (فَمَا تَزِيدُونَنِي) بقولكم : أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا (غَيْرَ تَخْسِيرٍ) بنسبتكم إياى إلى الخسار أو بنسبتى إياكم إلى الخسران (وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً) نصب على الحال قد عمل فيها مادل عليه اسم الإشارة من معنى الفعل ولكم متعلق بآية حالامنهامتقدمةلأنها لو تأخرت لكانت صفة لهافلماتقدمت انتصبت على الحال (فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ) أى ليس عليكم رزقها مع أن لكم نفعها (وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ) عقر أو نحر (فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) عاجل (فَعَقَرُوهَا) يوم الأربعاء (فَقَالَ) صالح (تَمَتَّعُوا) استمتعوا بالعيش (فِى دَارِكُمْ) فى بلدكم وتسمى البلاد الديار لأنه يدار فيها أى يتصرف أو فى دار الدنيا (ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ) ثم تهلكون فهلكوا يوم السبت (ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ) أى غير مكذوب فيه فاتسع فى الظرف بحذف الحرف وإجرائه مجرى المفعول به أو وعد غير كذب على أن المكذوب مصدر كالمعقول (فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا) بالعذاب أو عذابنا (نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا) قال الشيخ رحمه الله : هذا يدل على أن من نجى إنما نجى برحمة الله تعالى لابعمله كما قال عليه السلام «لايدخل أحد الجنة إلا برحمةالله» (وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ) بإضافةالخزى إلى اليوم وانجرار اليوم بالإضافة. وبفتحهامدنى وعلى لأنه مضاف إلى إذ وهو مبنى وظروف الزمان إذا أضيفت إلى الأسماء المبهمة والأفعال الماضية بنيت واكتسبت البناءمن المضاف إليه كقوله * على حين عاتبت المشيب على الصبا * والواو للعطف وتقديره ونجيناهم من خزى يومئذ أى من ذله وفضيحته ولا خزى أعظم من خزى من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه وجاز أن يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ) القادر على تنجية أوليائه (ٱلْعَزِيزُ) الغالب بإهلاك أعدائه (وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا ٱلصَّيْحَةُ) أى صيحة جبريل عليه السلام (فَأَصْبَحُوا فِى دِيَٰرِهِمْ) منازلهم (جَٰثِمِينَ) ميتين (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ) لم يقيموا فيها (أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا رَبَّهُمْ) ثمود حمزة وحفص (أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ) ـ لثمودٍ ـ على فالصرف للذهاب إلى الحى أو الأب الأكبر ومنعه للتعريف والتأنيث بمعنى القبيلة (وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ) جبريل وميكائيل وإسرافيل أو جبريل مع أحد عشر ملكا (إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ) هى البشارة بالولد أو بهلاك قوم لوط والأول أظهر(قَالُوا سَلَٰمًا)سلمنا عليك سلاما(قَالَ سَلَٰمٌ) أمركم سلام. سِلم

حمزة وعلى بمعنى السلام (فَمَا لَبِثَ أَنْ جَآءَ بِعِجْلٍ) فما لبث فى المجىء به بل عجل فيه أو فما لبث مجيئه، والعجل ولد البقرة وكان مال ابراهيم البقر (حَنِيذٍ) مشوي بالحجارة المحماة (فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ) نكر وأنكر بمعنى وكانت عادتهم أنه إذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه وإلا خافوه والظاهر أنه أحس بأنهم ملائكة ونكرهم لأنه تخوف أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله عليه أو لتعذيب قومه دليله قوله (وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً) أى أضمر منهم خوفا (قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ) بالعذاب وإنما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم أرسلوا وإنما قالوا لا تخف لأنهم رأوا أثر الخوف والتغير فى وجهه (وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ) وراء الستر تسمع تحاورهم أو على رءوسهم تخدمهم (فَضَحِكَتْ) سروراً بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الخبائث أو من غفلة قوم لوط مع قرب العذاب أو فحاضت (فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ) وخصت بالبشارة لأن النساء أعظم سروراً بالولد من الرجال ولأنه لم يكن لها ولد وكان لإبراهيم ولد وهو إسماعيل (وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ) ومن بعده (يَعْقُوبَ) بالنصب شامى وحمزة وحفص بفعل مضمر دل عليه فبشرناها أى فبشرناها بإسحق ووهبنا لها يعقوب من وراء إسحق وبالرفع غيرهم على الابتداء والظرف قبله خبر كما تقول فى الدار زيد (قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ) الألف مبدلة من ياء الإضافة وقرأ الحسن ياويلتى بالياء على الأصل (ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ) ابنة تسعين سنة (وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا) ابن مائة وعشرين سنة، هذا مبتدأ وبعلى خبره وشيخاً حال والعامل معنى الإشارة التى دلت عليه ذا أو معنى التنبيه الذى دل عليه هذا (إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة (قَالُوٓا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) قدرته وحكمته وإنما أنكرت الملائكة تعجبها لأنها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والأمور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها مايزدهي سائر النساء الناشئات فى غير بيت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب وإلى ذلك أشارت الملائكة حيث قالوا (رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) أرادوا أن هذه وأمثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالإنعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجيب وهو كلام مستأنف علل به إنكار التعجب كأنه قيل إياك والتعجب لأن أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم. وقيل الرحمة: النبوة، والبركات الأسباط من بنى إسرائيل لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد إبراهيم

وأهل البيت نصب على النداء أو على الاختصاص (إِنَّهُ حَمِيدٌ) محمود بتعجيل النعم (مَّجِيدٌ) ظاهر الكرم بتأجيل النقم (فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ الرَّوْعُ) الفزع وهو ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه (وَجَآءَتْهُ الْبُشْرَىٰ) بالولد (يُجَٰدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ) أي لما اطمأن قلبه بعد الخوف وملىء سروراً بسبب البشرى فزع للمجادلة. وجواب لما محذوف تقديره أقبل يجادلنا أو يجادلنا جواب لما وإنما جيء به مضارعا لحكاية الحال والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته إياهم أنهم قالوا إنا مهلكو أهل هذه القرية فقال أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمنا أتهلكونها قالوا: لا، قال فأربعون قالوا: لا، قال فثلاثون قالوا: لا حتى بلغ العشرة قالوا: لا، قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ) غير عجول على كل من أساء إليه أو كثير الاحتمال ممن آذاه، صفوح عمن عصاه (أَوَّٰهٌ) كثير التأوه من خوف الله (مُّنِيبٌ) تائب راجع إلى الله وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين أن ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة كما حمله على الاستغفار لأبيه فقالت الملائكة (يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ) الجدال وإن كانت الرحمة ديدنك (إِنَّهُ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ) قضاؤه وحكمه (وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ) لا يرد بجدال وغير ذلك عذاب مرتفع باسم الفاعل وهو آتيهم تقديره وإنهم يأتيهم ثم خرجوا من عند إبراهيم متوجهين نحو قوم لوط وكان بين قرية إبراهيم وقوم لوط أربعة فراسخ (وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا) لما أتوه ورأى هيئاتهم وجمالهم (سِيٓءَ بِهِمْ) أحزن لأنه حسب أنهم إنس فخاف عليهم خبث قومه وأن يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) تمييز أي وضاق بمكانهم صدره (وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ) شديد روى أن الله تعالى قال لهم: لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات، فلما مشى معهم منطلقا بهم إلى منزله قال لهم: أما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرهم قال أشهد بالله إنها لشر قرية في الأرض عملا قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك أحد فخرجت امرأته فأخبرت بهم قومها (وَجَآءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ) يسرعون كأنما يدفعون دفعا (وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّـَٔاتِ) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش حتى مرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون

مجاهرين لا يكفهم حياء (قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى) فتزوجوهن أراد أن يقى أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا فى ذلك الوقت كما جاز فى الابتداء فى هذه الأمة فقد زوج رسول الله ﷺ ابنتيه من عتبة بن أبى لهب وأبى العاص وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فأراد لوط أن يزوجهما ابنتيه (هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ) أحل هؤلاء مبتدأ وبناتى عطف بيان وهن فصل وأطهر خبر المبتدأ أو بناتى خبر وهن أطهر مبتدأ وخبر (فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ) بإيثارهن عليهم (وَلَا تُخْزُونِ) ولا تهينونى ولا تفضحونى من الخزى أو ولا تخجلونى من الخزاية وهى الحياء وبالياء أبو عمرو فى الوصل (فِى ضَيْفِى) فى حق ضيوفى فإنه إذا خزى ضيف الرجل أو جاره فقد خزى الرجل وذلك من عراقة الكرم وأصالة المروءة (أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ) أى رجل واحد يهتدى إلى طريق الحق وفعل الجميل والكف عن السوء (قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ) حاجة لأن نكاح الإناث أمر خارج عن مذهبنا فمذهبنا إتيان الذكران (وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ) عنوا إتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة (قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ) جواب لو محذوف أى لفعلت بكم ولصنعت والمعنى لو قويت عليكم بنفسى أو أويت إلى قوى أستند إليه وأتمنع به فيحمينى منكم فشبه القوى العزيز بالركن من الجبل فى شدته ومنعته. روى أنه أغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم ماحكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رأت الملائكة مالقى لوط من الكرب (قَالُوا يَٰلُوطُ) إن ركنك لشديد (إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ) فافتح الباب ودعنا وإياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فأذن له فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم فأعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا أعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون: النجاء، النجاء فإن فى بيت لوط قوماً سحرة (لَن يَصِلُوٓا إِلَيْكَ) جملة موضحة للتى قبلها لأنهم إذا كانوا رسل الله لم يصلوا إليه ولم يقدروا على ضرره (فَأَسْرِ) ـ فاسرـ بالوصل حجازى من سرى (بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ) طائفة منه أو نصفه (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ) بقلبه إلى ماخلف أو لا ينظر إلى ماوراءه أو لا يتخلف منكم أحد (إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ) مستثنى من فأسر بأهلك. وبالرفع مكى وأبو عمرو على البدل من أحد وفى إخراجها مع أهله روايتان روى أنه أخرجها معهم وأمر أن لا يلتفت منهم أحد إلا هى فلما سمعت هدة العذاب

التفت وقالت ياقوماه فأدركها حجر فقتلها وروى أنه أمر بأن يخلفها مع قومها فإن هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ) أى إن الأمر وروى أنه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا (إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ) فقال أريد أسرع من ذلك فقالوا (أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا) جعل جبريل عليه السلام جناحه فى أسفلها أى أسفل قراها ثم رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم وأتبعوا الحجارة من فوقهم وذلك قوله (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ) هى كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين (مَّنضُودٍ) نعت لسجيل أى متتابع أو مجموع معد للعذاب (مُّسَوَّمَةً) نعت لحجارة أى معلمة للعذاب قيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (عِندَ رَبِّكَ) فى خزائنه أو فى حكمه (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) بشىء بعيد وفيه وعيد لأهل مكة فإن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ يعنى ظالمى أمتك مامن ظالم منهم إلا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة إلى ساعة أو الضمير للقرى أى هى قريبة من ظالمى مكة يمرون بها فى مسايرهم (وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا) هو اسم مدينتهم أو اسم جدهم مدين بن ابراهيم أى وأرسلنا شعيباً إلى ساكنى مدين أو إلى بنى مدين (قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ) أى المكيل بالمكيال (وَالْمِيزَانَ) والموزون بالميزان (إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ) بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف أو أراكم بنعمة من الله حقها أن تقابل بغير ماتفعلون (وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) مهلك من قوله وأحيط بثمره وأصله من إحاطة العدو والمراد عذاب الاستئصال فى الدنيا أو عذاب الآخرة (وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ) أتموهما (بِالْقِسْطِ) بالعدل نهوا أولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان ثم ورد الأمر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول لزيادة الترغيب فيه وجىء به مقيدا بالقسط أى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان (وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) البخس: النقص كانوا ينقصون من أثمان مايشترون من الأشياء فنهوا عن ذلك (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) العثى والعيث أشد الفساد نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز أن يجعل البخس والتطفيف عثيا منهم فى الأرض (بَقِيَّتُ اللَّهِ) مايبقى

لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) بشرط أن تؤمنوا. نعم بقية الله خير للكفرة أيضا لأنهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف إلا أن فائدتها تظهر مع الإيمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب ولا تظهر مع عدمه لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك تعظيم للإيمان وتنبيه على جلالة شأنه أو المراد إن كنتم مصدقين لى فيما أقول لكم وأنصح به إياكم (وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) لنعمه عليكم فاحفظوها بترك البخس (قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ) وبالتوحيد كوفى غير أبى بكر (تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا) كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه يقولون له ماتستفيد بهذا فكان يقول: إنها تأمر بالمحاسن وتنهى عن القبائح فقالوا على وجه الاستهزاء أصلواتك تأمرك أن تأمرنا بترك عبادة ما كان يعبد آباؤنا أو أن نترك التبسط فى أموالنا ما نشاء من إيفاء ونقص وجاز أن تكون الصلوات آمرة مجازا كما سماها الله تعالى ناهية مجازا (إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ) أى السفيه الضال وهذه تسمية على القلب استهزاء أو إنك حليم رشيد عندنا ولست تفعل بنا مايقتضيه حالك (قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ) من لدنه (رِزْقًا حَسَنًا) يعنى النبوة والرسالة أو مالا حلالا من غير بخس وتطفيف وجواب أرأيتم محذوف أى أخبرونى إن كنت على حجة واضحة من ربى وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لى أن لا آمركم بترك عبادة الأوثان والكف عن المعاصى، والأنبياء لا يبعثون إلا لذلك . يقال خالفنى فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه وخالفنى عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفنى إلى الماء يريد أنه قد ذهب إليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله (وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ) يعنى أن أسبقكم إلى شهواتكم التى نهيتكم عنها لأستبد بها دونكم (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ) ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتى ونصيحتى وأمرى بالمعروف ونهيى عن المنكر (مَا ٱسْتَطَعْتُ) ظرف أى مدة استطاعتى للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا (وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ) وما كونى موفقا لإصابة الحق فيما آتى وأذر إلا بمعونته وتأييده (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) اعتمدت (وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) أرجع فى السراء والضراء. جرم مثل كسب

فى تعديه إلى مفعول واحد وإلى مفعولين ومنه قوله (وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِى أَن يُصِيبَكُم) أى لا يكسبنكم خلافى إصابة العذاب (مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ) وهو الغرق والريح والرجفة (وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ) فى الزمان فهم أقرب الهالكين منكم أو فى المكان فمنازلهم قريبة منكم أو فيما يستحق به الهلاك وهو الكفر والمساوى. وسُوِّى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هى الصهيل والنهيق ونحوها (وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ) يغفر لأهل الجفاء من المؤمنين (وَدُودٌ) يحب أهل الوفاء من الصالحين (قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ) أى لا نفهم صحة ما تقول وإلا فكيف لا يفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء (وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا إن أردنا بك مكروها (وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ) ولولا عشيرتك لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة وكان رهطه من أهل ملتهم فلذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم (وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ) أى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وإنما يعز علينا رهطك لأنهم من أهل ديننا وقد دل إيلاء ضميره حرف النفى على أن الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كأنه قيل وما أنت علينا بعزيز بل رهطك هم الأعزة علينا ولذلك (قَالَ) فى جوابهم (يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب وإنما قال أرهطى أعز عليكم من الله والكلام واقع فيه وفى رهطه وأنهم الأعزة عليهم دونه لأن تهاونهم به وهو نبى الله تهاون بالله وحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه أعز عليهم من الله ألا ترى إلى قوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله (وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا) ونسيتموه وجعلتموه كالشىء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب إلى الظهر والكسر من تغييرات النسب كقولهم فى النسبة إلى الأمس أمسى (إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) قد أحاط بأعمالكم علما فلا يخفى عليه شىء منها (وَيَٰقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) هى بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة أو مصدر من مكن مكانة فهو مكين إذا تمكن من الشىء يعنى اعملوا قارين على جهتكم التى أنتم عليها من الشرك، والشنآن لى أو اعملوا متمكنين من عداوتى مطيقين لها (إِنِّى عَٰمِلٌ) على حسب ما يؤتينى الله من النصرة والتأييد ويمكننى

(سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ) من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كأنه قيل سوف تعلمون أينا يأتيه عذاب يخزيه أى يفضحه وأينا هو كاذب أو موصولة قد عمل فيها كأنه قيل سوف تعلمون الشقى الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب فى زعمكم ودعواكم وادخال الفاء فى سوف وصل ظاهر بحرف وضع للوصل ونزعها وصل تقديرى بالاستئناف الذى هوجواب لسؤال مقدر كأنهم قالوا فماذا يكون إذاعملنانحن على مكانتنا وعملت أنت فقال سوف تعلمون والإتيان بالوجهين للتفنن فى البلاغة وأبلغهما الاستئناف (وَارْتَقِبُوا) وانتظروا العاقبة وماأقول لكم (إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ)منتظر، والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب بمعنى الضارب أو بمعنى المراقب كالعشير بمعنى المعاشر أوبمعنى المرتقب كالرفيع بمعنى المرتفع (وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ) صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا وإنما ذكر فى آخر قصة عاد ومدين ولماجاء وفى آخر قصة ثمود ولوط فلماجاء لأنهما وقعا بعد ذكر الموعد وذلك قوله: إن موعدهم الصبح. ذلك وعد غير مكذوب، فجىء بالفاء الذى هو للتسبيب كقولك وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت وأما الأخريان فقد وقعتا مبتدأتين فكان حقهما أن تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة (فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ) الجاثم اللازم لمكانه لايريم يعنى أن جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو بغتة (كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ) كأن لم يقيموا فى ديارهم أحياء متصرفين مترددين (أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ) البعد بمعنى البعد وهو الهلاك كالرشد بمعنى الرشد ألا ترى إلى قوله (كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ وقرئ كما بعُدت والمعنى فى البناءين واحد وهو نقيض القرب إلا أنهم فرقوا بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضمانى الخير والشر فقالوا: وعد وأوعد (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) المراد به العصا لأنها أبهرها (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَاتَّبَعُوٓا) أى الملأ (أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ) هو تجهيل لمتبعيه حيث تابعوه على أمره وهو ضلال مبين وذلك أنه ادعى الألوهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالظلم والشر الذى لا يأتى إلا من شيطان ومثله بمعزل عن الألوهية وفيه أنهم عاينوا الآيات والسلطان المبين وعلموا أن مع موسى الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه إلى اتباع من ليس فى أمره رشد قط أو المراد

وما أمره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله (يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أي يتقدمهم وهم على عقبه تفسيرا له وإيضاحا أى كيف يرشد أمر من هذه عاقبته والرشد يستعمل فى كل مايحمد ويرتضي كما استعمل الغي فى كل مايذم ويقال قدمه بمعني تقدمه (فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ) أدخلهم وجيء بلفظ الماضي لأن الماضي يدل على أمر موجود مقطوع به فكأنه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة يعني كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم إلى النار وهم يتبعونه (وَبِئْسَ الْوِرْدُ) المورد و (الْمَوْرُودُ) الذي وردوه شبه بالفارط الذى يتقدم الواردة إلى الماء وشبه أتباعه بالواردة ثم قال: وبئس الورد المورود الذى يردونه النار لأن الورد إنما يراد لتسكين العطش والنار ضده (وَأُتْبِعُوا فِي هَـٰذِهِ) أى الدنيا (لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ) أى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ) رفدهم أى بئس العون المعان أو بئس العطاء المعطى (ذَٰلِكَ) مبتدأ (مِنْ أَنبَآءِ الْقُرَىٰ) خبر (نَقُصُّهُ عَلَيْكَ) خبر بعد خبر أى ذلك النبأ بعض أنباء القرى المهلكة مقصوص عليك (مِنْهَا) من القرى (قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ) أى بعضها باق وبعضها عافى الأثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد والجملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب (وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ) بإهلاكنا إياهم (وَلَـٰكِن ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ) بارتكاب مابه أهلكوا (فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ) فما قدرت أن ترد عنهم بأس الله (الَّتِي يَدْعُونَ) يعبدون وهى حكاية حال ماضية (مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ) عذابه ولما منصوب بما أغنت (وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ) تخسير يقال تب إذا خسر وتببه غيره أوقعه فى الخسران يعنى وما أفادتهم عبادة غير الله شيئاً بل أهلكتهم (وَكَذَٰلِكَ) محل الكاف الرفع أى ومثل ذلك الأخذ (أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَىٰ) أى أهلها (وَهِيَ ظَـٰلِمَةٌ) حال من القرى (إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ) مؤلم شديد صعب على المأخوذ وهذا تحذير لكل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل ظالم أن يبادر التوبة ولا يغتر بالإمهال (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ) فيما قص الله من قصص الأمم الهالكة (لَأَيَةً) لعبرة (لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ) أى اعتقد صحته ووجوده (ذَٰلِكَ) إشارة إلى يوم القيامة لأن عذاب الآخرة دل عليه (يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ) وهو مرفوع بمجموع كما يرفع فعله إذا قلت يجمع له الناس وإنما آثر اسم المفعول على فعله لما فى اسم المفعول من دلالته على ثبات معنى الجمع لليوم. وإنه أثبت أيضاً لإسناد الجمع إلى الناس وأنهم لا ينفكون منه يجمعون للحساب والثواب والعقاب (وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ)

أى مشهود فيه فاتسع فى الظرف بإجرائه مجرى المفعول به أى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه أحد (وَمَا نُؤَخِّرُهُ) أى اليوم المذكور. الأجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها، والعد إنما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها، فمعنى قوله وما نؤخره (إِلاَّ لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ) إلا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف أو ما نؤخر هذا اليوم إلا لتنتهى المدة التى ضربناها لبقاء الدنيا (يَوْمَ يَأْتِ) وبالياء مكى وافقه أبو عمرو ونافع وعلى فى الوصل وإثبات الياء هو الأصل إذ لا علة توجب حذفها وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل ونظيره ما كنا نبغ وفاعل يأت ضمير يرجع إلى قوله يوم مجموع له الناس لا اليوم المضاف إلى يأت ويوم منصوب باذكر أو بقوله (لَا تَكَلَّمُ) أى لا تتكلم (نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ) أى لا يشفع أحد إلا بإذن الله، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه (فَمِنْهُمْ) الضمير لأهل الموقف لدلالة لا تكلم نفس عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس (شَقِيٌّ) معذب (وَسَعِيدٌ) أى ومنهم سعيد أى منعم (فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ) هو أول نهيق الحمار (وَشَهِيقٌ) هو آخره أو هما إخراج النفس ورده، والجملة فى موضع الحال والعامل فيها الاستقرار الذى فى النار (خَٰلِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة (مَادَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ) فى موضع النصب أى مدة دوام السماوات والأرض والمراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للأبد والدليل على أن لها سماوات وأرضا قوله يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات وقيل ما دام فوق وتحت ولأنه لابد لأهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم إما سماء أو عرش وكل ما أظلك فهو سماء أو هو عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب: ما لاح كوكب، وغير ذلك من كلمات التأبيد (إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار وذلك لأن أهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وأنواع من العذاب سوى عذاب النار أو ما شاء بمعنى من شاء وهم قوم يخرجون من النار ويدخلون الجنة فيقال لهم الجهنميون وهم المستثنون من أهل الجنة أيضا لمفارقتهم إياها بكونهم فى النار أياما فهؤلاء لم يشقوا شقاوة من يدخل النار على التأبيد ولا سعدوا سعادة من لا تمسه النار وهو مروى عن ابن عباس والضحاك وقتادة رضى الله عنهم (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ) بالشقى والسعيد (وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا) سُعدوا حمزة وعلى وحفص. سَعد لازم وسَعَده يسعَده متعد (فَفِي الْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ

فِيهَا مَادَامَتِ السَّمٰوٰاتُ وَالْأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ) هو استثناء من الخلود فى نعيم الجنة وذلك أن لهم سوى الجنة ما هو أكبر منها وهو رؤية الله تعالى ورضوانه أو معناه إلا من شاء أن يعذبه بقدر ذنبه قبل أن يدخله الجنة وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال الاستثناء فى الآيتين لأهل الجنة ومعناه ما ذكرنا أنه لا يكون للمسلم العاصى الذى دخل النار خلود فى النار حيث يخرج منها ولا يكون له أيضاً خلود فى الجنة لأنه لم يدخل الجنةابتداء، والمعتزلة لما لم يروا خروج العصاة من النار ردوا الأحاديث المروية فى هذا الباب وكفى به إثما مبينا (عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ) غير مقطوع ولكنه ممتد إلى غير نهاية كقوله: لهم أجر غير ممنون وهو نصب على المصدر أى أعطوا عطاء قيل كفرت الجهمية بأربع آيات عطاء غير مجذوذ. أكلها دائم . وماعندالله باق. لامقطوعة ولاممنوعة. لما قص الله قصص عبدة الأوثان وذكر ما أحل بهم من نقمه وما أعد لهم من عذابه قال (فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هٰؤُلَاءِ) أى فلا تشك بعد ما أنزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم لما أصاب أمثالهم قبلهم تسلية لرسول الله ﷺ وعدة بالانتقام منهم ووعيداً لهم ثم قال (مَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ كَمَا يَعْبُدُ ءَابَاؤُهُم مِّن قَبْلُ) يريد أن حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم وقد بلغك مانزل بآبائهم فسينزلن بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهى عن المرية وما فى مما وكما مصدرية أو موصولة أى من عبادتهم وكعبادتهم أو مما يعبدون من الأوثان ومثل مايعبدون منها (وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ) حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم أنصباءهم (غَيْرَ مَنقُوصٍ) حال من نصيبهم أى كاملا (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ) التوراة (فَاخْتُلِفَ فِيهِ) آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن وهو تسلية لرسول الله ﷺ (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ) انه لايعاجلهم بالعذاب (لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين قوم موسى أو قومك بالعذاب المستأصل (وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ) من القرآن أو من العذاب (مُرِيبٍ) من أراب الرجل إذا كان ذا ريبة على الإسناد المجازى (وَإِنَّ كُلاًّ) التنوين عوض عن المضاف إليه يعنى وان كلهم أى وان جميع المختلفين فيه وان مشددة (لَّمَّا) مخفف بصرى وعلى، ما مزيدة جىء بها ليفصل بها بين لام ان ولام (لَيُوَفِّيَنَّهُمْ) وهو جواب قسم محذوف واللام فى لما موطئة للقسم والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم (رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ) أى جزاء أعمالهم من إيمان وجحود وحسن

وقبيح. بعكس الأولى أبو بكر، مخففان مكي ونافع على إعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبار الأصلها الذى هو التثقيل ولأن إن تشبه الفعل والفعل يعمل قبل الحذف وبعده نحو لم يكن ولم يك فكذا المشبه به مشددتان غيرهم وهو مشكل وأحسن ماقيل فيه أنه من لممت الشيء جمعته لمًّا ثم وقف فصار لما ثم أجرى الوصل مجرى الوقف وجاز أن يكون مثل الدعوى والثروى وما فيه ألف التأنيث من المصادر وقرأ الزهرى وإن كلا لما بالتنوين كقوله: أكلا لما. وهو يؤيد ماذكرنا والمعنى وان كلا ملومين أى مجموعين كأنه قيل وإن كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون وقال صاحب الإيجاز لما فيه معنى الظرف وقد دخل فى الكلام اختصار كأنه قيل وإن كلا لما بعثوا ليوفينهم ربك أعمالهم وقال الكسائى ليس لى بتشديد لما علم (إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فَاسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التى أمرت بها غير عادل عنها (وَمَن تَابَ مَعَكَ) معطوف على المستتر فى استقم وجاز للفاصل يعنى فاستقم أنت وليستقم من تاب عن الكفر ورجع إلى الله مخلصا (وَلَا تَطْغَوْا) ولا تخرجوا عن حدود الله (إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فهو مجازيكم فاتقوه قيل مانزلت على رسول الله ﷺ آية كانت أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال «شيبتنى هود» (وَلَا تَرْكَنُوآ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا) ولا تميلوا قال الشيخ رحمه الله هذا خطاب لأتباع الكفرة أى لا تركنوا إلى القادة والكبراء فى ظلمهم وفيما يدعونكم إليه (فَتَمَسَّكُمُ النَّارَ) وقيل الركون إليهم الرضا بكفرهم وقال قتادة ولا تلحقوا بالمشركين وعن الموفق أنه صلى خلف الامام فلما قرأ هذه الآية غشى عليه فلما أفاق قيل له فقال هذا فيمن ركن إلى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا وقال سفيان فى جهنم واد لايسكنه إلا القراء الزائرون للملوك وعن الأوزاعى مامن شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملا وقال رسول ﷺ « من دعا لظالم بالبقاء فقد أحب أن يعصى الله فى أرضه» ولقد سئل سفيان عن ظالم أشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال: لا، فقيل له يموت قال دعه يموت (وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ) حال من قوله فتمسكم النار أى فتمسكم النار وأنتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من أولياء يقدرون على منعكم من عذابه ولا يقدر على منعكم منه غيره (ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ) ثم لا ينصركم هو لأنه حكم بتعذيبكم ومعنى ثم

الإستبعاد أى النصرة من الله مستبعدة (وَأَقِمِ الصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ) غدوة وعشية (وَزُلَفًا مِّنَ الَّيْلِ) وساعات من الليل جمع زلفة وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من أزلفه إذا قربه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لأن مابعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لأنهما مضافان إلى الوقت كقولك أقمت عنده جميع النهار وأتيته نصف النهار وأوله وآخره . تنصب هذا كله على إعطاء المضاف حكم المضاف إليه (إِنَّ الْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ) إن الصلوات الخمس يذهبن الذنوب وفى الحديث «إن الصلوات الخمس تكفر مابينها من الذنوب» أو الطاعات. قال عليه السلام «أتبع السيئة الحسنة تمحها» أو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (ذَٰلِكَ) إشارة إلى فاستقم فما بعده أو القرآن (ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ) عظة للمتعظين نزلت فى عمرو ابن غزية الأنصارى بائع التمر قال لامرأة فى البيت تمر أجود فدخلت فقبلها فندم فجاءه باكيا فنزلت فقال عليه السلام «هل شهدت معنا العصر» قال نعم قال «هى كفارة لك» فقيل أله خاصة قال «بل للناس عامة» (وَاصْبِرْ) على امتثال ماأمرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شىء منه إلا به (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) جاء بما هو مشتمل على جميع الأوامر والنواهى من قوله فاستقم إلى قوله واصبر وغير ذلك من الحسنات (فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ) فهلا كان وهو موضوع للتحضيض ومخصوص بالفعل (أُولُوا بَقِيَّةٍ) أولوا فضل وخير وسمى الفضل والجود بقية لأن الرجل يستبقى مما يخرجه أجوده وأفضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال: فلان من بقية القوم أى من خيارهم، ومنه قولهم: فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا (يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ) عجب محمدا عليه السلام وأمته أن لم يكن فى الأمم التى ذكر الله إهلاكهم فى هذه السورة جماعة من أولى العقل والدين ينهون غيرهم عن الكفر والمعاصى (إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ) استثناء منقطع أى ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى ومن فى ممن أنجينا للبيان لا للتبعيض لأن النجاة للناهين وحدهم بدليل قوله : أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا. (وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى التاركون للنهى عن المنكر وهو عطف على مضمر أى إلا قليلا ممن أنجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا (مَآ أُتْرِفُوا

فيه) أي أتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترفه من حب الرياسة والثروة وطلب أسباب العيش الهنيء ورفضوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونبذوه وراء ظهورهم (وَكَانُوا مُجْرِمِينَ) اعتراض وحكم عليهم بأنهم قوم مجرمون (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى) اللام لتأكيد النفي (بِظُلْمٍ) حال من الفاعل أى لايصح أن يهلك الله القرى ظالما لها (وَأَهْلُهَا) قوم (مُصْلِحُونَ) تنزيها لذاته عن الظلم وقيل الظلم الشرك أى لايهلك القرى بسبب شرك أهلها وهم مصلحون فى المعاملات فيما بينهم لايضمون إلى شركهم فسادا آخر (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً) أى متفقين على الإيمان والطاعات عن اختيار ولكن لم يشأ ذلك وقالت المعتزلة. هى مشيئة قسر، وذلك رافع للابتداء فلا يجوز (وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ) فى الكفر والإيمان أى ولكن شاء أن يكونوا مختلفين لما علم منهم اختيار ذلك (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ) إلا ناسا عصمهم الله عن الاختلاف فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ) أى ولما هم عليه من الاختلاف فعندنا خلقهم للذى علم أنهم سيصيرون إليه من اختلاف أو اتفاق ولم يخلقهم لغير الذى علم أنهم سيصيرون إليه كذا فى شرح التأويلات (وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ) وهى قوله للملائكة (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وَكُلًّا) التنوين فيه عوض من المضاف إليه كأنه قيل وكل نبأ وهو منصوب بقوله (نَقُصُّ عَلَيْكَ) وقوله (مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ) بيان لكل وقوله (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ) بدل من كلا (وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ) أى فى هذه السورة أو فى هذه الأنباء المقتصة ما هو حق (وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ) ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه لأن تكاثر الأدلة أثبت للقلب (وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) من أهل مكة وغيرهم (اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) على حالكم وجهتكم التى أنتم عليها (إِنَّا عَامِلُونَ) على مكانتنا (وَانْتَظِرُوا) بنا الدوائر (إِنَّا مُنْتَظِرُونَ) أن ينزل بكم نحو ما اقتص الله تعالى من النقم النازلة بأشباهكم (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه أعمالكم (وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ) فلابد أن يرجع إليه أمرهم وأمرك فينتقم لك منهم. يُرجع

نافع وحفص (فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ) فإنه كافيك وكافلك (وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) وبالتاء مدنى وشامى وحفص أى أنت وهم على تغليب المخاطب قيل خاتمة التوراة هذه الآية وفى الحديث «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله تعالى» .

﴿سورة يوسف عليه السلام مكية وهى مائة وإحدى عشرة آية شامى، واثنتا عشرة مكى﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الٓر تِلْكَ ءَايَـٰتُ الْكِتَـٰبِ الْمُبِينِ) تلك إشارة إلى آيات هذه السورة، والكتاب المبين السورة أى تلك الآيات التى أنزلت إليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر أمرها فى إعجاز العرب أو التى تبين لمن تدبرها أنها من عند الله لا من عند البشر أو الواضحة التى لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم أو قد أبين فيها ما سألت عنه اليهود من قصة يوسف عليه السلام فقد روى أن علماء اليهود قالوا للمشركين سلوا محمداً لم انتقل آل يعقوب من الشأم إلى مصر وعن قصة يوسف عليه السلام (إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا) أى أنزلنا هذا الكتاب الذى فيه قصة يوسف عليه السلام فى حال كونه قرآنا عربيا وسمى بعض القرآن قرآنا لأنه اسم جنس يقع على كله وبعضه (لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) لكى تفهموا معانيه ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ) نبين لك أحسن البيان والقاص الذى يأتى بالقصة على حقيقتها عن الزجاج، وقيل القصص يكون مصدراً بمعنى الاقتصاص تقول: قص الحديث يقصه قصصاً ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب فعلى الأول معناه نحن نقص عليك أحسن الاقتصاص (بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَـٰذَا الْقُرْءَانَ) أى بإيحائنا إليك هذه السورة على أن يكون أحسن منصوبا نصب المصدر لإضافته إليه والمقصوص محذوف لأن بما أوحينا إليك هذا القرآن مغن عنه والمراد بأحسن الاقتصاص أنه اقتص على أبدع طريقة وأعجب أسلوب فإنك لا ترى اقتصاصه فى كتب الأولين مقارباً لاقتصاصه فى القرآن وإن أريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك أحسن مايقص من الأحاديث وإنما كان أحسن لما يتضمن من العبر والحكم والعجائب التى ليست فى غيره والظاهر أنه أحسن مايقتص فى بابه كما يقال فلان أعلم الناس أى فى فنه واشتقاق القصص من قص أثره إذا تبعه لأن الذى

يقص الحديث يتبع ماحفظ منه شيئاً فشيئاً (وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ) الضمير يرجع إلى ماأوحينا
(لَمِنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ) عنـه إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية يعنى وان الشأن
والحديث كنت من قبل إيحائنا إليك من الجاهلين به (إِذْ قَالَ) بدل اشتمال من أحسن
القصص لأن الوقت مشتمل على القصص أو التقـدير اذكر إذ قال (يُوسُفُ) اسم عبرانى
لا عربى إذ لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (لِأَبِيهِ) يعقوب
(يَـٰأَبَتِ) أبتَ شامى وهى تاء تأنيث عوضت عن ياء الإضافة لتناسبهما لأن كل واحدة
منهما زائدة فى آخر الاسم ولهذا قلبت هاء فى الوقف وجاز إلحاق تاء التأنيث بالمذكر كما فى
رجل ربعة وكسرت التاء لتدل على الياء المحذوفة ومن فتح التاء فقد حذف الألف من يا أبتا
واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام (إِنِّى رَأَيْتُ) من الرؤيا لا من الرؤية
(أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) أسماؤها ببيان النبى عليه السلام جريان والذيال والطارق وقابس وعمودان
والفليق والمصبح والصروح والفرغ ووثاب وذو الـكتفين (وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ) هما أبواه
أو أبوه وخالته والـكواكب إخوته قيل الواو بمعنى مع أى رأيت الـكواكب مع الشمس
والقمر وأجريت مجرى العقلاء فى (رَأَيْتُهُمْ لِى سَـٰجِدِينَ) لأنه وصفها بما هو المختص بالعقلاء
وهو السجود وكررت الرؤيا لأن الأولى تتعلق بالذات والثانية بالحال أو الثانية كلام مستأنف
على تقدير سؤال وقع جواباً له كأن أباه قال له كيف رأيتها فقال رأيتهم لى ساجدين أى
متواضعين وهو حال وكان ابن ثنتى عشرة سنة يومئذ وكان بين رؤيا يوسف ومصير إخوته
إليه أربعون سنة أو ثمانون (قَالَ يَـٰبُنَىَّ) بالفتح حيث كان حفص (لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ)
هى بمعنى الرؤية إلا أنها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة وفرق بينهما بحرفى التأنيث
كما فى القربة والقربى (عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ) جواب النهى أى ان قصصتها عليهم
كادوك. عرف يعقوب عليه السلام ان الله يصطفيه للنبوة وينعم عليه بشرف الدارين فخاف عليه
حسد الإخوة وإنما لم يقل فيكيدوك كما قال فـكيدونى لأنه ضمن معنى فعل يتعـدى باللام
ليفيد معنى فعل الـكيد مع إفادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك
نحو فيحتالوا لك ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر وهو (كَيْدًا إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)
ظاهر العداوة فيحملهم على الحسد والـكيد (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك الاجتباء الذى دلت عليه

رؤياك (يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ) يصطفيك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء إذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته (وَيُعَلِّمُكَ) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كأنه قيل وهو يعلمك (مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) أى تأويل الرؤيا وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف أعبر الناس للرؤيا أو تأويل أحاديث الأنبياء وكتب الله وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع أحدوثة (وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ) بأن وصل لهم نعمة الدنيا بنعمة الآخرة أى جعلهم أنبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها إلى الدرجات العلى فى الجنة وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم وأصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل إلا أنه لا يستعمل إلا فيمن له خطر يقال آل النبي وآل الملك ولا يقال آل الحجام ولكن أهله وإنما علم يعقوب أن يوسف يكون نبيا وإخوته أنبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذا قال وعلى آل يعقوب (كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ) أراد الجد وأبا الجد (إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) عطف بيان لأبويك (إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ) يعلم من يحق له الاجتباء (حَكِيمٌ) يضع الأشياء فى مواضعها (لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ) أى فى قصتهم وحديثهم (آيَاتٌ) علامات ودلالات على قدرة الله وحكمته فى كل شىء. آية مكى (لِّلسَّائِلِينَ) لمن سأل عن قصتهم وعرفها أو آيات على نبوة محمد ﷺ للذين سألوه من اليهود عنها فأخبرهم من غير سماع من أحد ولا قراءة كتاب، وأسماؤهم: يهوذا وروبين وشمعون ولاوى وزبولون ويشجر وأمهم ليا بنت ليان ودان ونفتالى وجاد وآشر من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا) اللام لام الابتداء وفيها تأكيد وتحقيق لمضمون الجملة أرادوا أن زيادة محبته لهما أمر ثابت لا شبهة فيه وإنما قالوا وأخوه وهم إخوته أيضا لأن أمهما كانت واحدة وإنما قيل أحب فى الاثنين لأن أفعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث ولا بد من الفرق مع لام التعريف وإذا أضيف ساغ الأمران والواو فى (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) للحال أى أنه يفضلهما فى المحبة علينا وهما صغيران لا كفاية فيهما ونحن عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن أحق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) غلط فى تدبير أمر الدنيا ولو وصفوه بالضلالة فى الدين لكفروا. والعصبة العشرة فصاعدا (اقْتُلُوا يُوسُفَ) من جملة ما حكى بعد قوله إذ

قالوا كأنهم أطبقوا على ذلك إلا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا) منكورة مجهولة بعيدة عن العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها عن الوصف ولهذا الإبهام نصبت نصب الظروف المبهمة (يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ) يقبل عليكم إقبالة واحدة لا يلتفت عنكم إلى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى إقباله عليهم لأن الرجل إذا أقبل على الشيء أقبل بوجهه وجاز أن يراد بالوجه الذات كما قال ويبقى وجه ربك (وَتَكُونُوا) مجزوم عطفا على يخل لكم (مِن بَعْدِهِ) من بعد يوسف أى من بعد كفايته بالقتل أو التغريب أو من بعد قتله أو طرحه فيرجع الضمير إلى مصدر اقتلوا أو اطرحوا (قَوْمًا صَٰلِحِينَ) تائبين إلى الله مما جنيتم عليه أو يصلح حالكم عند أبيكم (قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ) هو يهوذا وكان أحسنهم فيه رأيا (لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ) فإن القتل عظيم (وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ الْجُبِّ) فى قعر البئر وماغاب منه عن عين الناظر. غيابات وكذا مابعده مدنى (يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ) بعض الأقوام الذين يسيرون فى الطريق (إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ) به شيئا (قَالُوا يَٰأَبَانَا مَالَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَٰصِحُونَ) أى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونشفق عليه وأرادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته فى حفظه منهم وفيه دليل على أنه أحس منهم بما أوجب أن لا يأمنهم عليه (أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ) نرتع نتسع فى أكل الفواكه وغيرها والرتعة السعة (وَيَلْعَبْ) ونلعب نتفرج بما يباح كالصيد والرمى والركض. بالياء فيهما مدنى وكوفى وبالنون فيهما مكى وشامى وأبو عمرو وبكسر العين حجازى من ارتعى يرتعى افتعال من الرعى (وَإِنَّا لَهُ لَحَٰفِظُونَ) من أن يناله مكروه (قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ) أى يحزننى ذهابكم به واللام لام الابتداء (وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ) اعتذر إليهم بأن ذهابهم به مما يحزنه لأنه كان لا يصبر عنه ساعة وأنه يخاف عليه من عدوة الذئب إذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم (قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ) اللام موطئة للقسم والقسم محذوف تقديره والله لئن أكله الذئب والواو فى (وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) أى فرقة مجتمعة مقتدرة على الدفع للحال (إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط أى إن لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا إذا وخسرناها وأجابوا عن عذره الثانى دون الأول

لأن ذلك كان يغيظهم (فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوٓا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ الْجُبِّ) أى عزموا على إلقائه فى البئر وهى بئر على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب عليه السلام وجواب لما محذوف تقديره فعلوا به ما فعلوا من الأذى فقد روى أنهم لما برزوا به إلى البرية أظهروا له العداوة وضربوه وكادوا يقتلونه فمنعهم يهوذا فلما أرادوا إلقاءه فى الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يده فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه ليلطخوه بالدم فيحتالوا به على أبيهم ودلوه فى البئر وكان فيها ماء فسقط فيه ثم أوى إلى صخرة فقام عليها وهو يبكى وكان يهوذا يأتيه بالطعام ويروى أن إبراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار جرد عن ثيابه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه إياه فدفعه إبراهيم إلى إسحاق وإسحاق إلى يعقوب فجعله يعقوب فى تميمة علقها فى عنق يوسف فأخرجه جبريل وألبسه إياه (وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ) قيل أوحى إليه فى الصغر كما أوحى إلى يحيى وعيسى عليهما السلام وقيل كان إذ ذاك مدركا (لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا) أى لتحدثن إخوتك بما فعلوا بك (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أنك يوسف لعلو شأنك وكبرياء سلطانك وذلك أنهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال إنه ليخبرنى هذا الجام أنه كان لكم أخ من أبيكم يقال له يوسف وأنكم ألقيتموه فى غيابة الجب وقلتم لأبيه أكله الذئب وبعتموه بثمن بخس أو يتعلق وهم لا يشعرون بأوحينا أى آنسناه بالوحى وأزلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك (وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً) للاستتار والتجسر على الاعتذار (يَبْكُونَ) حال عن الأعمش لا تصدق باكية بعد إخوة يوسف فلما سمع صوتهم فزع وقال مالكم يابنى هل أصابكم فى غنمكم شىء قالوا لا قال فما بالكم وأين يوسف (قَالُوا يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ) أى نتسابق فى العدو أو فى الرمى والافتعال والتفاعل يشتركان كالارتماء والترامى وغير ذلك (وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا) بمصدق لنا (وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وأنت سيىء الظن بنا غير واثق بقولنا (وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ) ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة كأنه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته روى أنهم ذبحوا سخلة ولطخوا القميص بدمها وزل عنهم أن يمزقوه وروى أن يعقوب عليه السلام لما سمع بخبر يوسف صاح بأعلى

صوته وقال أين القميص فأخذه وألقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله مارأيت كاليوم ذئبا أحلم من هـذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم وألقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبره ومحل على قميصه النصب على الظرف كأنه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم (قَالَ) يعقوب عليه السلام (بَلْ سَوَّلَتْ) زينت أو سهلت (لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) عظيما ارتكبتموه (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) خبر أو مبتدأ لكونه موصوفا أى فأمرى صبر جميل أو فصبر جميل أجمل وهو مالاشكوى فيه إلى الخلق (وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ) أى أستعينه (عَلَىٰ) احتمال (مَاتَصِفُونَ) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ) رفقة تسير من قبل مدين إلى مصر وذلك بعد ثلاثة أيام من القاء يوسف فى الجب فأخطئوا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران وكان ماؤه ملحا فعذب حين ألقى فيه يوسف (فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ) هو الذى يرد الماء ليستقى للقوم اسمه مالك بن ذعر الخزاعى (فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ) أرسل الدلو ليملأها فتشبث يوسف بالدلو فنزعوه (قَالَ يَٰبُشْرَىٰ) كوفى نادى البشرى كأنه يقول تعالى فهذا أوانك غيرهم بشراى على إضافتها لنفسه أو هو اسم غلامه فناداه مضافا إلى نفسه (هَٰذَا غُلَٰمٌ) قيل ذهب به فلما دنا من أصحابه صاح بذلك يبشرهم به (وَأَسَرُّوهُ) الضمير للوارد وأصحابه أخفوه من الرفقة أو لأخوة يوسف فإنهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قدأبق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة أن يقتلوه (بِضَٰعَةً)حال أى أخفوه متاعاً للتجارة والبضاعة مابضع من المال للتجارة أى قطع (وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) بما يعمل اخوة يوسف بأبيهم وأخيهم من سوء الصنيع (وَشَرَوْهُ) وباعوه (بِثَمَنٍ بَخْسٍ) مبخوس ناقص عن القيمة نقصانا ظاهرا أو زيف (دَرَٰهِمَ) بدل من ثمن (مَعْدُودَةٍ) قليلة تعد عدا ولا توزن لأنهم كانوا يعدون مادون الأربعين ويزنون الأربعين وما فوقها وكانت عشرين درهما (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّٰهِدِينَ) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بالثمن الطفيف أومعنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين أى غير راغبين لأنهم اعتقدوا أنه آبق ويروى أن اخوته اتبعوهم وقالوا استوثقوا منه لايأبق وفيه ليس من صلة الزاهدين أى غير راغبين لأن الصلة لاتتقدم على الموصول وإنما هو بيان

كأنه قيل فى أى شىء زهدوا فقال زهدوا فيه (وَقَالَ الَّذِى اشْتَرَاهُ مِّن مِّصْرَ) هو قطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد وقد آمن بيوسف ومات فى حياته واشتراه العزيز بزنته ورقاً وحريراً ومسكا وهو ابن سبع عشرة سنة وأقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله الحكمة والعلم وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة (لِامْرَأَتِهِ) راعيل أو زليخا واللام متعلقة بقال لا باشتراه (أَكْرِمِى مَثْوَاهُ) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريماً أى حسناً مرضياً بدليل قوله إنه ربى أحسن مثواى وعن الضحاك بطيب معاشه ولين لباسه ووطىء فراشه (عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ) لعله إذا تدرب وراض الأمور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله (أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا) أو نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك (وَكَذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ) أى كما أنجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له (فِى الْأَرْضِ) أى أرض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بأمره ونهيه (وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) كان ذلك الانجاء والتمكين (وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِ) لا يمنع عما شاء أو على أمر يوسف بتبليغه ما أراد له دون ما أراد اخوته (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ) منتهى استعداد قوته وهو ثمان عشرة سنة أو إحدى وعشرون (ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا) حكمة وهو العلم مع العمل واجتناب مايجهل فيه أو حكما بين الناس وفقها (وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ) تنبيه على أنه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان أمره (وَرَٰوَدَتْهُ الَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ) أى طلبت يوسف أن يواقعها والمراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أى فعلت فعل المخادع لصاحبه عن الشىء الذى لا يريد أن يخرجه من يده يحتال أن يغلبه عليه ويأخذه منه وهى عبارة عن التمحل لمواقعته إياها (وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَٰبَ) وكانت سبعة (وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ) هو اسم لتعال وأقبل وهو مبنى على الفتح هيتُ مكى بناه على الضم هِيتَ مدنى وشامى واللام للبيان كأنه قيل لك أقول هـذا كما تقول هلم لك (قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ) أعوذ بالله معاذا (إِنَّهُۥ) أى إن الشأن والحديث (رَبِّىٓ) سيدى ومالكى يريد قطفير (أَحْسَنَ

مَثْوَايَ) حين قال لك أكرمى مثواه فما جزاؤه أن أخونه فى أهله (إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) الخائنون أو الزناة أو أراد بقوله إنه ربى الله تعالى لأنه مسبب الأسباب (وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ) هم عزم (وَهَمَّ بِهَا) هم الطباع مع الامتناع قاله الحسن وقال الشيخ أبو منصور رحمه الله وهم بها هم خطرة ولا صنع للعبد فيما يخطر بالقلب ولا مؤاخذة عليه ولو كان همه كهمها لما مدحه الله تعالى بأنه من عباده المخلصين وقيل وهم بها وشارف أن يهم بها يقال هم بالأمر إذا قصده وعزم عليه وجواب (لَوْلَا أَن رَّءَا بُرْهَانَ رَبِّهِ) محذوف أى لكان ما كان وقيل وهم بها جوابه ولا يصح لأن جواب لولا لا يتقدم عليها لأنه فى حكم الشرط وله صدر الكلام والبرهان الحجة ويجوز أن يكون وهم بها داخلا فى حكم القسم فى قوله ولقد همت به ويجوز أن يكون خارجا ومن حق القارئ إذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاماً برأسه أن يقف على به ويبتدئ بقوله وهم بها وفيه أيضا إشعار بالفرق بين الهمين وفسر هم يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهى مستلقية على قفاها وفسر البرهان بأنه سمع صوتا إياك وإياها مرتين فسمع ثالثاً أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضاً على أنملته وهو باطل ويدل على بطلانه قوله هى راودتنى عن نفسى ولو كان ذلك منه أيضاً لما برأ نفسه من ذلك وقوله كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ولو كان كذلك لم يكن السوء مصروفا عنه وقوله ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب ولو كان كذلك لخانه بالغيب وقوله ما علمنا عليه من سوء الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ولأنه لو وجد منه ذلك لذكرت توبته واستغفاره كما كان لآدم ونوح وذى النون وداود عليهم السلام وقد سماه الله مخلصا فعلم بالقطع أنه ثبت فى ذلك المقام وجاهد نفسه مجاهدة أولى العزم ناظرا فى دلائل التحريم حتى استحق من الله الثناء ومحل الكاف فى (كَذَٰلِكَ) نصب أى مثل ذلك التثبيت ثبتناه أو رفع أى الأمر مثل ذلك (لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ) خيانة السيد (وَالْفَحْشَآءَ) الزنا (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ) بفتح اللام حيث كان مدنى وكوفى أى الذين أخلصهم الله لطاعته وبكسرها غيرهم أى الذين أخلصوا دينهم لله ومعنى من عبادنا بعض عبادنا أى هو مخلص من جملة المخلصين (وَاسْتَبَقَا الْبَابَ) وتسابقا إلى الباب هى للطلب وهو للهرب على حذف الجار وإيصال الفعل كقوله واختار موسى قومه أو على تضمين استبقا معنى ابتدارا ففر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج

وأسرعت وراءه لتمنعه الخروج ووحد الباب وإن كان جمعه فى قوله وغلقت الأبواب لأنه أراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار ولما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج (وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ) اجتذبته من خلفه فانقد أى انشق حين هرب منها إلى الباب وتبعته تمنعه (وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ)وصادفا بعلها قطفير مقبلا يريد أن يدخل فلما رأته احتالت لتبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة ولتخويف يوسف طمعا فى أن يواطئها خيفة منها ومن مكرها حيث (قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ما نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن أو عـذاب أليم وهو الضرب بالسياط ولم تصرح بذكر يوسف وأنه أراد بها سوأ لأنها قصدت العموم أى كل من أراد بأهلك سوأ فحقه أن يسجن أو يعذب لأن ذلك أبلغ فيما قصدت من تخويف يوسف ولما عرضته للسجن والعذاب ووجب عليه الدفع عن نفسه (قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى) ولولا ذلك لـكتم عليها ولم يفضحها (وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا) هو ابن عم لها وإنما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من أهلها لتكون أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف وقيل كان ابن خال لها وكان صبيا فى المهد وسمى قوله شهادة لأنه أدى مؤدى الشهادة فى أن ثبت به قول يوسف وبطل قولها (إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَـٰذِبِينَ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَـكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ) والتقدير وشهد شاهد فقال إن كان قميصه وإنما دل قدّ قميصه من قبل على أنها صادقة لأنه يسرع خلفها ليلحقها فيعثر فى مقادم قميصه فيشقه ولأنه يقبل عليها وهى تدفعه عن نفسها فيتخرق قميصه من قبل وأما تنكير قبل ودبر فمعناه من جهة يقـال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وإنما جمـع بين إن التى للاستقبال وبين كان لأن المعنى أن يعلم أنه كان قميصه قد (فَلَمَّا رَءَا) قطفير (قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ) وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قَالَ إِنَّهُ) إن قولك ماجزاء من أراد بأهلك سوأ أو إن هذا الأمر وهو الاحتيال لنيل الرجال (مِن كَيْدِكُنَّ) الخطاب لها ولأمتها (إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ) لأنهن ألطف كيدا وأعظم حيلة وبذلك يغلبن الرجال والقصريات منهن معهن ماليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء إنى أخاف من النساء أكثر مما أخاف من الشيطان لأن الله

تعالى قال إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقال لهن إن كيدكن عظيم (يُوسُفُ) حذف منه حرف النداء لأنه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا) الأمر وا كتمه ولا تتحدث به ثم قال لراعيل (وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ) من جملة القوم المتعمدين للذنب . يقال خطىء إذا أذنب متعمدا وإنما قال بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الإناث وكان العزيز رجلا حليما قليل الغيرة حيث اقتصر على هذا القول (وَقَالَ نِسْوَةٌ) جماعة من النساء وكن خمسا: امرأة الساقي وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثها غير حقيقي ولذا لم يقل قالت وفيه لغتان كسر النون وضمها (فِي الْمَدِينَةِ) في مصر (امْرَأَتُ الْعَزِيزِ) يردن كطفير والعزيز الملك بلسان العرب (تُرَاوِدُ فَتَاهَا) غلامها يقال فتاى وفتاتى أى غلامى وجاريتى (عَن نَّفْسِهِ) لتنال شهوتها منه (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) تمييز أى قد شغفها حبه يعنى خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل إلى الفؤاد والشغاف حجاب القلب أو جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب (إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) فى خطأ وبعد عن طريق الصواب (فَلَمَّا سَمِعَتْ) راعيل (بِمَكْرِهِنَّ) باغتيابهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لأنه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ) دعتهن قيل دعت أربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (وَأَعْتَدَتْ) وهيأت افتعلت من العتاد (لَهُنَّ مُتَّكَأً) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى أيديهن أن يدهشن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع أيديهن على أيديهن فيقطعنها لأن المتكىء إذا بهت لشىء وقعت يده على يده (وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا) وكانوا لا يأكلون فى ذلك الزمان إلا بالسكاكين كفعل الأعاجم (وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ) بكسر التاء بصرى وعاصم وحمزة وبضمها غيرهم (فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ) أعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائق والجمال الفائق وكان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وكان إذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران وكان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت، إذ لا يقال النساء قد حضنه لأنه لا يتعدى إلى مفعول، يقال أكبرت المرأة

حاضت وحقيقته دخلت في الكبر لأنها بالحيض تخرج من حد الصغر وكأن أبا الطيب أخذ من هذا التفسير قوله :

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع　　فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

(وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) وجرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدي تريد جرحتها أي أردن أن يقطعن الطعام الذي في أيديهن فدهشن لما رأينه فخدشن أيديهن (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه في باب الاستثناء تقول أساء القوم حاشا زيد وهي حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة، فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وقراءة أبي عمرو حاشا لله نحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه وغيره حاش لله بحذف الألف الأخيرة والمعنى تنزيه الله من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله (مَاهَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَآ إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ) نفين عنه البشرية لغرابة جماله وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم لما ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان (قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ) تقول هو ذلك العبد الكنعاني الذي صورتن في أنفسكن ثم لمتنني فيه تعني إنكن لم تصوّرنه حق صورته وإلا لعذرتنني في الافتتان به (وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ) والاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه في عصمة وهو يجتهد في الاستزادة منها وهذا بيان جلي على أن يوسف عليه السلام بريء مما فسر به أولئك الفريق الهم والبرهان ثم قلن له أطع مولاتك، فقالت راعيل (وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ) الضمير راجع إلى ما وهي موصولة والمعنى ما آمره به فحذف الجار كما في قوله أمرتك الخير أو ما مصدرية والضمير يرجع إلى يوسف أي ولئن لم يفعل أمري إياه أي موجب أمري ومقتضاه (لَيُسْجَنَنَّ) ليحبسن والألف في (وَلَيَكُونًا) بدل من نون التأكيد الخفيفة (مِّنَ الصَّاغِرِينَ) مع السراق والسفاك والأباق كما سرق قلبي وأبق مني وسفك دمي بالفراق فلا يهنأ ليوسف الطعام والشراب والنوم هنالك كما منعني هنا كل ذلك ومن لم يرض بمثلي في الحرير على السرير أميراً حصل في الحصير على الحصير حسيراً فلما سمع يوسف تهديدها (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ) أسند الدعوة إليهن لأنهن قلن له ما عليك لو أجبت مولاتك، أو افتتنت كل واحدة به فدعته

إلى نفسها سرا فالتجأ إلى ربه، قال رب السجن أحب إلى من ركوب المعصية (وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ) فزع منه إلى الله فى طلب العصمة (أَصْبُ إِلَيْهِنَّ) أمل إليهن والصبوة الميل إلى الهوى ومنه الصبا لأن النفوس تصبو إليها لطيب نسيمها وروحها (وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ) من الذين لا يعملون بما يعلمون لأن من لا جدوى لعلمه فهو ومن لم يعلم سواء أو من السفهاء، فلما كان فى قوله وإلا تصرف عنى كيدهن معنى طلب الصرف والدعاء قال (فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ) أي أجاب الله دعاءه (فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ) لدعوات الملتجئين إليه (الْعَلِيمُ) بحاله وحالهن (ثُمَّ بَدَا لَهُم) فاعله مضمر لدلالة مايفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء أي ظهر لهم رأى والضمير فى لهم للعزيز وأهله (مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَٰتِ) وهى الشواهد على براءته كقد القميص وقطع الأيدى وشهادة الصبي وغير ذلك (لَيَسْجُنُنَّهُ) لإبداء عذر الحال وإرخاء الستر على القيل والقال وما كان ذلك إلا باستنزال المرأة لزوجها وكان مطواعاً لها وجملا ذلولا زمامه فى يدها وقد طمعت أن يذلله السجن ويسخره لها أو خافت عليه العيون وظنت فيه الظنون فألجأها الخجل من الناس، والوجل من الباس، إلى أن رضيت بالحجاب، مكان خوف الذهاب ، لتشتفي بخبره، إذا منعت من نظره (حَتَّىٰ حِينٍ) إلى زمان كأنها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه (وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ) عبدان للملك خبازه وشرابيه بتهمة السم فأدخلا السجن ساعة أدخل يوسف لأن مع يدل على معنى الصحبة تقول خرجت مع الأمير تريد مصاحبا له فيجب أن يكون دخولهما السجن مصاحبين له (قَالَ أَحَدُهُمَا) أى شرابيه (إِنِّي أَرَانِي) أى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أَعْصِرُ خَمْرًا) أى عنباً تسمية للعنب بما يؤول إليه أو الخمر بلغة عمان اسم للعنب (وَقَالَ الْآخَرُ) أى خبازه (إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ) بتأويل ما رأيناه (إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أو من المحسنين إلى أهل السجن فإنك تداوى المريض وتعزى الحزين وتوسع على الفقير فأحسن إلينا بتأويل مارأينا وقيل إنهما تحالما له ليمتحناه فقال الشرابى: إنى رأيت كأنى فى بستان فإذا بأصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته، وقال الخباز: إنى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها أنواع الأطعمة فإذا سباع الطير تنهش

منها (قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ) أى لبيان ماهيته وكيفيته لأن ذلك يشبه تفسير المشكل (قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا) ولما استعبراه ووصفاه بالإحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وأنه ينبئهما بما يحمل إليهما من الطعام فى السجن قبل أن يأتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم يأتيكما طعام من صفته كيت وكيت فيكون كذلك وجعل ذلك تخلصاً إلى أن يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الإيمان ويزينه لهما ويقبح إليهما الشرك وفيه أن العالم إذا جهلت منزلته فى العلم فوصف نفسه بما هو بصدده، وغرضه أن يقتبس منه لم يكن من باب التزكية (ذَٰلِكُمَا) إشارة لهما إلى التأويل أى ذلك التأويل والاخبار بالمغيبات (مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) وأوحى به إلى ولم أقله عن تكهن وتنجم (إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) يجوز أن يكون كلاماً مبتدأ وأن يكون تعليلا لما قبله أى علمنى ذلك وأوحى به إلى لأنى رفضت ملة أولئك وهم أهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) وهى الملة الحنيفية وتكرير هم للتوكيد وذكر الآباء ليريهما أنه من بيت النبوة بعد أن عرفهما أنه نبى يوحى إليه بما ذكر من إخباره بالغيوب ليقوى رغبتهما فى اتباع قوله والمراد به ترك الابتداء لاأنه كان فيه ثم تركه (مَا كَانَ لَنَا) ماصح لنا معشر الأنبياء (أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ) أى شىء كان صنما أو غيره ثم قال (ذَٰلِكَ) التوحيد (مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ) فضل الله فيشركون به ولا ينتهون (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ) ياساكنى السجن كقوله: أصحاب النار وأصحاب الجنة (أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) يريد التفرق فى العدد والتكاثر أى أن تكون أرباب شتى يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا خير لكما أم يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك فى الربوبية وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الأصنام (مَا تَعْبُدُونَ) خطاب لهما ولمن كان على دينهما من أهل مصر (مِن دُونِهِ) من دون الله (إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم) أى سميتم مالا يستحق الإلهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكأنكم لاتعبدون إلا أسماء لا مسميات لها، ومعنى سميتموها سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا) بتسميتها (مِن سُلْطَانٍ) حجة (إِنِ الْحُكْمُ) فى أمر العبادة والدين (إِلَّا لِلَّهِ) ثم بين ماحكم به

فقال (أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) الثابت الذى دلت عليه البراهين (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) وهـذا يدل على أن العقوبة تلزم العبد وإن جهل إذا أمكن له العلم بطريقه ، ثم عبر الرؤيا فقال (يَٰصَٰحِبَىِ السِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا) يريد الشرابى (فَيَسْقِى رَبَّهُ) سيده (خَمْرًا) أى يعود إلى عمله (وَأَمَّا الْآخَرُ) أى الخباز (فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ) روى أنه قال للأول: مارأيت من الكرمة وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده وأما القضبان الثلاثة فإنها ثلاثة أيام تمضى فى السجن ثم تخرج وتعود إلى ما كنت عليـه وقال للثانى: مارأيت من السلال ثلاثة أيام ثم تخرج فتقتل ولما سمع الخباز صلبه قال مارأيت شيئاً فقال يوسف (قُضِىَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) أى قطع وتم ما تستفتيان فيه من أمركما وشأنكما أى ما يجر إليه من العاقبة وهى هلاك أحدهما ونجاة الآخر (وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا) الظان هو يوسف عليه السلام إن كان تأويله بطريق الاجتهاد وإن كان بطريق الوحى فالظان هو الشرابى أو يكون الظن بمعنى اليقين (اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ) صفنى عند الملك بصفتى وقص عليـه قصتى لعله يرحمنى ويخلصنى من هذه الورطة (فَأَنسَٰهُ الشَّيْطَٰنُ) فأنسى الشرابى (ذِكْرَ رَبِّهِ) أن يذكره لربه أو عند ربه أو فأنسى يوسف ذكر الله حين وكل أمره إلى غيره، وفى الحديث «رحم الله أخى يوسف لولم يقل اذكرنى عند ربك لما لبث فى السجن سبعا» (فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) أى سبعا عند الجمهور والبضع ما بين الثلاث إلى التسع (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ) لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا أخر يابسات قد استحصدت وأدركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد فى قومه من يحسن عبارتها وقيل كان ابتداء بلاء يوسف فى الرؤيا ثم كان سبب نجاته أيضاً الرؤيا ، سمان جمع سمين وسمينة، والعجاف: المهازيل والعجف الهزال الذى ليس بعده سمانة والسبب فى وقوع عجاف جمعا لعجفاء وأفعل وفعلاء لايجمعان على فعال حمله على نقيضه وهو سمان ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض وفى الآية دلالة على أن السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر

لأن الكلام مبنى على انصبابه إلى هذا العدد فى البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب أن يتناول معنى الأخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ) كأنه أراد الأعيان من العلماء والحكماء (أَفْتُونِى فِى رُءْيَـٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ) اللام فى للرؤيا للبيان ، كقوله وكانوا فيه من الزاهدين أو لأن المفعول به إذا تقدم على الفعل لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله إذا تأخر عنه فعضد بها تقول عبرت الرؤيا وللرؤيا عبرت أو يكون للرؤيا خبر كان كقولك كان فلان لهذا الأمر إذا كان مستقلا به متمكنا منه وتعبرون خبر آخر أو حال وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر أمرها كما تقول عبرت النهر إذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه أولت الرؤيا إذا ذكرت مآلها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الأثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر (قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ) أى هى أضغاث أحلام أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس أو وسوسة شيطان وأصل الأضغاث ماجمع من أخلاط النبات وحزم من أنواع الحشيش، الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والإضافة بمعنى من أى أضغاث من أحلام وإنما جمع وهو حلم واحد تزايدا فى وصف الحلم بالبطلان وجاز أن يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ) أرادوا بالأحلام المنامات الباطلة قالوا ليس لها عندنا تأويل إنما التأويل للمنامات الصحيحة أو اعترفوا بقصور علمهم وأنهم ليسوا فى تأويل الأحلام بخابرين (وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا) من القتل (مِنْهُمَا) من صاحبى السجن (وَٱدَّكَرَ) بالدال هو الفصيح وأصله اذتكر فأبدلت الذال دالا والتاء دالا وأدغمت الأولى فى الثانية لتقارب الحرفين وعن الحسن واذكر ووجهه أنه قلب التاء ذالا وأدغم أى تذكر يوسف وما شاهد منه (بَعْدَ أُمَّةٍ) بعد مدة طويلة وذلك أنه حين استفتى الملك فى رؤياه وأعضل على الملك تأويلها تذكر الناجى يوسف وتأويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه إليه أن يذكره عند الملك (أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ) أنا أخبركم به عمن عنده علمه (فَأَرْسِلُونِ) وبالياء يعقوب أى فابعثونى إليه لأسأله فأرسلوه إلى يوسف فأتاه فقال (يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ) أيها البليغ فى الصدق وإنما قال له ذلك لأنه ذاق وتعرف صدقه فى تأويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما أول (أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَـٰتٍ خُضْرٍ

وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّى أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ) إلى الملك وأتباعه (لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ) فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ)هو خبر فى معنى الأمر كقوله: تؤمنون بالله واليوم الآخر وتجاهدون. دليله قوله فذروه فى سنبله وإنما يخرج الأمر فى صورة الخبر للمبالغة فى وجود المأمور به فيجعل كأنه موجود فهو يخبر عنه (دَأَبًا) ــ دأبا ــ بسكون الهمزة وحفص يحركه وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المأمورين أى دائبين (فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِى سُنْبُلِهِ) كى لا يأكله السوس (إِلاَّ قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ) فى تلك السنين (ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ) هو من إسناد المجاز جعل كل أهلهن مسندا إليهن (مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ) أى فى السنين المخصبة (إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ) تحرزون وتخبئون (ثُمَّ يَأْتِى مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ) أى من بعد أربع عشرة سنة عام (فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ) من الغوث أى يجاب مستغيثهم أو من الغيث أى يمطرون يقال غيثت البلاد إذا مطرت (وَفِيهِ يَعْصِرُونَ) العنب والزيتون والسمسم فيتخذون الأشربة والأدهان. تعصرون حمزة فأول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب . والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفراغ من تأويل الرؤيا بأن العام الثامن يجىء مباركا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحى (وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِ فَلَمَّا جَآءَهُ الرَّسُولُ) ليخرجه من السجن (قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ) أى الملك (فَسْئَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ) أى حال النسوة (الَّتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ) إنما تثبت يوسف وتأنى فى إجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما رمى به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون إلى تقبيح أمره عنده ويجعلوه سلما إلى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين إلا لأمر عظيم وجرم كبير وفيه دليل على أن الاجتهاد فى نفى التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف فى مواقفها وقال عليه السلام «لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجونى ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول فقال ارجع إلى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لأسرعت الإجابة وبادرت الباب ولما ابتغيت العذر إن كان

لحليما ذا أناة » ومن كرمه وحسن أدبه أنه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات أيديهن (إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) أى إن كيدهن عظيم لا يعلمه إلا الله وهو مجازيهن عليه . فرجع الرسول إلى الملك من عنـد يوسف برسالته فدعا الملك النسوة المقطعات أيديهن ودعا امرأة العزيز ثم (قَالَ) لهن (مَا خَطْبُكُنَّ) ماشأنكن (إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ) هل وجدتن منه ميلا إليكن (قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ) تعجبا من قدرته على خلق عفيف مثله (مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ) من ذنب (قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْـَٔانَ حَصْحَصَ الْحَقُّ) ظهر واستقر (أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فى قوله هى راودتنى عن نفسى ولا مزيد على شهادتهم له للبراءة والنزاهة واعترافهن على أنفسهن إنه لم يتعلق بشىء مما قرف به ثم رجع الرسول إلى يوسف وأخبره بكلام النسوة وإقرار امرأة العزيز وشهادتها على نفسها فقال يوسف (ذَٰلِكَ) أى امتناعى من الخروج والتثبت لظهور البراءة (لِيَعْلَمَ) العزيز (أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ) بظهر الغيب فى حرمته وبالغيب حال من الفاعل أو المفعول على معنى وأنا غائب عنه أو وهو غائب عنى أو ليعلم الملك أنى لم أخن العزيز (وَأَنَّ اللَّهَ) أى وليعلم أن الله (لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ) لا يسدده وكأنه تعريض بامرأته فى خيانتها أمانة زوجها ثم أراد أن يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وليبين أن ما فيـه من الأمانة بتوفيق الله وعصمته فقال (وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها فى عموم الأحوال أو فى هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو الخطرة البشرية لا عن طريق القصد والعزم (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوٓءِ) أراد الجنس أى إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه لما فيه من الشهوات (إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) إلا البعض الذى رحمه ربى بالعصمة ويجوز أن يكون ما رحم فى معنى الزمان أى إلا وقت رحمة ربى يعنى أنها أمارة بالسوء فى كل وقت إلا وقت العصمة أو هو استثناء منقطع أى ولـكن رحمة ربى هى التى تصرف الإساءة، وقيل هو من كلام امرأة العزيز أى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف أنى لم أخنه ولم أكذب عليه فى حال الغيبة وجئت بالصدق فيما سئلت عنه وما أبرىء نفسى مع ذلك من الخيانة فإنى قد خنته حين قرفته وقلت ماجزاء من أراد بأهلك سوأ إلا أن يسجن وأودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها إن كل نفس لأمارة بالسوء إلا مارحم ربى إلا

نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت وإنما جعل من كلام يوسف ولا دليل عليه ظاهر لأن المعنى يقود إليه وقيل هذا من تقديم القرآن وتأخيره أى قوله ذلك ليعلم متصل بقوله فاسئله مابال النسوة اللاتى قطعن أيديهن (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي) أجعله خالصا لنفسى (فَلَمَّا كَلَّمَهُ) وشاهد منه مالم يحتسب (قَالَ) الملك ليوسف (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) ذومكانة ومنزلة ، أمين مؤتمن على كل شيء روى أن الرسول جاءه ومعه سبعون حاجبا وسبعون مركبا وبعث إليه لباس الملوك فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لأهله اللهم عطّف عليهم قلوب الأخيار ولا تعم عليهم الأخبار فهم أعلم الناس بالأخبار فى الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلواء وقبور الأحياء وشماتة الأعداء وتجربة الأصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم إنى أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائى وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فأجابه بجميعها فتعجب منه وقال أيها الصديق إنى أحب أن أسمع رؤياى منك قال رأيت بقرات فوصف لونهن وأحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التى رآها الملك وقال له من حقك أن تجمع الطعام فى الأهراء فيأتيك الخلق من النواحى ويمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز مالم يجتمع لأحد قبلك قال الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه (قَالَ) يوسف (اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ) ولنى على خزائن أرضك يعنى مصر (إِنِّي حَفِيظٌ) أمين أحفظ ما تستحفظنيه (عَلِيمٌ) عالم بوجوه التصرف . وصف نفسه بالأمانة والكفاية وهما طلبة الملوك ممن يولونه وإنما قال ذلك ليتوصل إلى إمضاء أحكام الله وإقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لأجله بعث الأنبياء إلى العباد ولعله أن أحدا غيره لايقوم مقامه فى ذلك فطلبه ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وفى الحديث «رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته ولكنه أخرذلك سنة» قالوا وفيه دليل على أنه يجوز أن يتولى الإنسان عمالة من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة الظلمة وإذا علم النبى أو العالم أنه لاسبيل إلى الحكم بأمر الله ودفع الظلم إلا بتمكين الملك الكافر أو الفاسق

فله أن يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه فى كل مارأى وكان فى حكم التابع له (وَكَذَٰلِكَ) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى الْأَرْضِ) أرض مصر وكانت أربعين فرسخا فى أربعين والتمكين الإقدار وإعطاء المكنة (يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ) أى كل مكان أراد أن يتخذه منزلا لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت سلطانه . نشاء مكى (نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا) بعطائنا فى الدنيا من الملك والغنى وغيرها من النعم (مَن نَّشَآءُ) من اقتضت الحكمة أن نشاء له ذلك (وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) فى الدنيا (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا) يريد يوسف وغيره من المؤمنين إلى يوم القيامة (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك والفواحش قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته فى الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير فى الدنيا وماله فى الآخرة من خلاق وتلا الآية روى أن الملك توج يوسف وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال أما السرير فأشد به ملكك وأما الخاتم فأدبر به أمرك وأما التاج فليس من لباسى ولا لباس آبائى فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك إليه أمره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته فلما دخل عليها قال أليس هذا خيراً مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا وأقام العدل بمصر وأحبته الرجال والنساء وأسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من أهل مصر فى سنى القحط الطعام بالدراهم والدنانير فى السنة الأولى حتى لم يبق معهم شىء منها ثم بالحلى والجواهر فى الثانية ثم بالدواب فى الثالثة ثم بالعبيد والإماء فى الرابعة ثم بالدور والعقار فى الخامسة ثم بأولادهم فى السادسة ثم برقابهم فى السابعة حتى استرقهم جميعا ثم أعتق أهل مصر عن آخرهم ورد عليهم أملاكهم وكان لا يبيع لأحد من الممتارين أكثر من حمل بعير وأصاب أرض كنعان نحو ما أصاب مصر فأرسل يعقوب بنيه ليمتاروا وذلك قوله (وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ) بلا تعريف (وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ) لتبدل الزى ولأنه كان من وراء الحجاب ولطول المدة وهو أربعون سنة، وروى أنه لما رآهم وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وماشأنكم قالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى فقالوا معاذ الله نحن بنو نبى حزين لفقد ابن كان أحبنا إليه وقد أمسك أخا له من أمه يستأنس به فقال

ائتونى به إن صدقتم (وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ) أعطى كل واحد منهم حمل بعير وقرئ بكسر الجيم شاذا (ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ) أتمه (وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ) كان قد أحسن إنزالهم وضيافتهم رغبهم بهذا الكلام على الرجوع إليه (فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي) فلا أبيعكم طعاماً (وَلَا تَقْرَبُونِ) أى فإن لم تأتونى به تحرموا ولا تقربوا فهو داخل فى حكم الجزاء مجزوم معطوف على محل قوله فلا كيل لكم أو هو بمعنى النهى (قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ) سنخادعه عنه ونحتال حتى ننزعه من يده (وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ) ذلك لامحالة لانفرط فيه ولا نتوانى قال فدعوا بعضكم رهناً فتركوا عنده شمعون وكان أحسنهم رأيا فى يوسف (وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ) كوفى غير أبى بكر لفتيته غيرهم وهما جمع فتى كاخوة وإخوان فى أخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة أى لغلمانه الكيالين (اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ) أوعيتهم وكانت نعالا أوأدما أو ورقا وهو أليق بالدس فى الرحال (لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا) يعرفون حق ردها وحق التكرم بإعطاء البدلين (إِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ) وفرغوا ظروفهم (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم إلى الرجوع إلينا أو ربما لايجدون بضاعة بها يرجعون أو مافيهم من الديانة يعيدهم لرد الأمانة أو لم ير من الكرم أن يأخذ من أبيه واخوته ثمنا (فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ) بالطعام وأخبروه بما فعل (قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ) يريدون قول يوسف فإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى لأنهم إذا أنذروا بمنع الكيل فقد منع الكيل (فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام مانحتاج إليه. يكتل حمزة وعلى أى يكتل أخونا فينضم اكتياله إلى اكتيالنا (وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) عن أن يناله مكروه (قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ) يعنى أنكم قلتم فى يوسف أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون كما تقولونه فى أخيه ثم ختنتم بضمانكم فما يأمننى من مثل ذلك ثم قال (فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا) كوفى غير أبى بكر فتوكل على الله فيه ودفعه إليهم وهو حال أو تمييز ومن قرأ حفظاً فهو تمييز لاغير (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) فأرجو أن ينعم على بحفظه ولا يجمع على مصيبتين قال كعب: لما قال فالله خير حفظا قال الله تعالى وعزتى وجلالى لأردن عليك كليهما (وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي) ماللنفى أى مانبغى فى القول ولا

تتجاوز الحق أو مانبغي شيئا وراء مافعل بنا من الإحسان أو ما نريد منك بضاعة أخرى أو للاستفهام أى أىّ شىء نطلب وراء هذا (هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) جملة مستأنفة موضحة لقوله مانبغى والجمل بعدهامعطوفة عليها أى أن بضاعتنا ردت إلينا فنستظهر بها (وَنَمِيرُ أَهْلَنَا) فى رجوعنا إلى الملك أى نجلب لهم ميرة وهى طعام يحمل من غير بلدك (وَنَحْفَظُ أَخَانَا) فى ذهابنا ومجيئنا فما يصيبه شىء مما نخافه (وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ) نزداد وسق بعير باستصحاب أخينا (ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ) سهل عليه متيسر لا يتعاظمه (قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ) وبالياء مكى (مَوْثِقًا) عهداً (مِّنَ اللَّهِ) والمعنى حتى تعطونى ما أتوثق به من عند الله أى أراد أن يحلفوا له بالله وإنما جعل الحلف بالله موثقا منه لأن الحلف به مما يؤكد به العهود وقد أذن الله فى ذلك فهو إذن منه (لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ) جواب اليمين لأن المعنى حتى تحلفوا لتأتننى به (إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ) إلا أن تغلبوا فلم تطيقوا الإتيان به فهو مفعول له والكلام المثبت وهو قوله لتأتننى به فى تأويل النفى أى لا تمتنعوا من الإتيان به إلا للإحاطة بكم يعنى لا تمنعوا منه لعلة من العلل إلا لعلة واحدة وهو أن يحاط بكم فهو استثناء من أعم العام فى المفعول له والاستثناء من أعم العام لا يكون إلا فى النفى فلا بد من تأويله بالنفى (فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ) قيل حلفوا بالله رب محمد عليه السلام (قَالَ) بعضهم يسكت عليه لأن المعنى قال يعقوب (اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ) من طلب الموثق وإعطائه (وَكِيلٌ) رقيب مطلع غير أن السكتة تفصل بين القول والمقول وذا لا يجوز فالأولى أن يفرق بينهما بالصوت فيقصد بقوة النغمة اسم الله (وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ) الجمهور على أنه خاف عليهم العين لجمالهم وجلالة أمرهم ولم يأمرهم بالتفرق فى الكرة الأولى لأنهم كانوا مجهولين فى الكرة الأولى فالعين حق عندنا وجه بأن يحدث الله تعالى عند النظر إلى الشىء والإعجاب به نقصانا فيه وخللا وكان النبى ﷺ يعوّذ الحسن والحسين رضى الله عنهما فيقول «أعيذكما بكلمات الله التامة من كل هامة ومن كل عين لامة» وأنكر الجبائى العين وهو مردود بما ذكرنا وقيل إنه أحب أن لا يفطن بهم أعداؤهم فيحتالوا لإهلاكهم (وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ) أى إن كان الله أرادبكم سوءا لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما أمرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ)

التوكل تفويض الأمر إلى الله تعالى والاعتماد عليه (وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم) أى متفرقين (مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم) دخولهم من أبواب متفرقة (مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ)أى شيئا قط حيث أصابهم ماساءهم مع تفرقهم من إضافة السرقة إليهم وافتضاحهم بذلك وأخذ أخيهم بوجدان الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على أبيهم (إِلاَّ حَاجَةً) استثناء منقطع أى ولكن حاجة (فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا) وهى شفقته عليهم (وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ) يعنى قوله وما أغنى عنكم وعلمه بأن القدر لايغنى عنه الحذر (لِّمَا عَلَّمْنَاهُ) لتعليمنا إياه (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ) ضم إليه بنيامين وروى أنهم قالوا له هذا أخونا قد جئناك به فقال لهم أحسنتم فأنزلهم وأكرمهم ثم أضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقى بنيامين وحده فبكى وقال لو كان أخى يوسف حيالأجلسنى معه فقال يوسف بقى أخوكم وحيدا فأجلسه معه على مائدته وجعل يؤاكله وقال له أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك قال ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل فبكى يوسف وعانقه ثم (قَالَ) له (إِنِّي أَنَا أَخُوكَ) يُوسُفَ (فَلَا تَبْتَئِسْ) فلاتحزن (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) بنافيما مضى فإن الله قد أحسن إلينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما أعلمتك وروى أنه قال له فأنا لا أفارقك قال لقد علمت اغتمام والدى بى فإن حبستك ازداد غمه ولا سبيل إلى ذلك الا أن أنسبك إلى مالا يحمد قال لاأبالى فافعل مابدا لك قال فإنى أدس صاعى فى رحلك ثم أنادى عليك بأنك سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم فقال افعل (فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ) هيأأسبابهم وأوفى الكيل لهم(جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ)السقاية هى مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به لعزة الطعام وكان يشبه الطاس من فضة أو ذهب (ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ) ثم نادى مناد آذنه أى أعلمه وأذن أكثر الأعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى أنهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف عليه السلام حتى انطلقوا ثم أمر بهم فأدركوا وحبسوا ثم قيل لهم (أَيَّتُهَا الْعِيرُ) هى الإبل التى عليها الأحمال لأنها تعير أى تذهب وتجيء والمراد أصحاب العير (إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ) كناية عن سرقتهم أياه من أبيه (قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ) هو الصاع (وَلِمَن جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ) يقوله المؤذن يريد وأنا بحمل البعير كفيل

أؤديه إلى من جاء به وأراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (قَالُوا تَاللَّهِ) قسم فيه معنى التعجب مما أضيف إليهم (لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ) استشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وأمانتهم حيث دخلوا وأفواه رواحلهم مشدودة لئلا تتناول زرعا أو طعاما لأحد من أهل السوق ولأنهم ردوا بضاعتهم التى وجدوها فى رحالهم (وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ) وما كنا نوصف قط بالسرقة (قَالُوا فَمَا جَزَآؤُهُ) الضمير للصواع أى فما جزاء سرقته (إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قَالُوا جَزَآؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ) أى جزاء سرقته أخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب أن يسترق سنة فلذلك استفتوا فى جزائه وقولهم (فَهُوَ جَزَآؤُهُ) تقرير للحكم أى فأخذ السارق نفسه هو جزاؤه لاغير أوجزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هى خبره (كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّٰلِمِينَ) أى السراق بالاسترقاق (فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ) فبدأ بتفتيش أوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفى التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما أظن هذا أخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى تنظر فى رحله فإنه أطيب لنفسك وأنفسنا (ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا) أى الصواع (مِن وِعَآءِ أَخِيهِ) ذكر ضمير الصواع مرات ثم أنثه لأن التأنيث يرجع إلى السقاية أولأن الصواع يذكر ويؤنث الكاف فى (كَذَٰلِكَ) فى محل النصب أى مثل ذلك الكيد العظيم (كِدْنَا لِيُوسُفَ) يعنى علمناه إياه (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ) تفسير للكيد وبيان له لأن الحكم فى دين الملك أى فى سيرته للسارق أن يغرم مثلى ما أخذ لا أن يستعبد (إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ) أى ما كان ليأخذه إلا بمشيئة الله وإرادته فيه (نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ) بالتنوين كوفى (مَّن نَّشَآءُ) أى فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه (وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ) فوقه أرفع درجة منه فى علمه أوفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عزوجل (قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ) أرادوا يوسف قيل دخل كنيسة فأخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كان فى المنزل دجاجة فأعطاها السائل وقيل كانت منطقة لإبراهيم عليه السلام يتوارثها أكابر ولده فورثها إسحق ثم وقعت إلى ابنته وكانت أكبر أولاده فحضنت يوسف وهى عمته بعد وفاة أمه وكانت لا تصبر عنه فلما شب أراد يعقوب أن ينزعه منها فعمدت إلى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة إسحق فانظروا من أخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت إنه لى سلم أفعل

به ماشئت نخلاه يعقوب عندها حتى ماتت وروى أنهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نــكس إخوته رءوسهم حياء وأقبلوا عليــه وقالوا له فضحتنا وسودت وجوهنا يابنى راحيل مايزال لنا منكم بلاء متى أخذت هــذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لايزال منكم عليهم بلاء ذهبتم بأخى فأهلكتموه ووضع هــــذا الصواع فى رحلى الذى وضع البضاعة فى رحالــكم (فَأَسَرَّهَا) أى مقالتهم إنه سرق كأنه لم يسمعها (يُوسُفُ فِى نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا) تمييز أى أنتم شر منزلة فى السرق لأنكم سرقتم أخاكم يوسف من أبيه (وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ) تقولون أو تــكذبون (قَالُوا يَاأَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا) فى السن وفى القدر (فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ) أبدله على وجه الاسترهان أو الاستعباد فإن أباه يتسلى به عن أخيه المفقود (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) إلينا فأتم إحسانك أو من عادتك الإحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (قَالَ مَعَاذَ اللهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ) أى نعوذ بالله معاذا من أن نأخذ فأضيف المصدر إلى المفعول به وحذف من (إِنَّآ إِذًا لَّظَالِمُونَ) إذاً جواب لهم وجزاء لأن المعنى إن أخذنا بدله ظلمنا وهذا لأنه وجب على قضية فتواكم أخــذ من وجد الصاع فى رحله واستعباده فلو أخذنا غيره كان ذلك ظلماً فى مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم أنه ظلم (فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا) يئسوا وزيادة السين والتاء للمبالغة كما مر فى استعصم (مِنْهُ) من يوسف وإجابته إياهم (خَلَصُوا) انفردوا عن الناس خالصين لايخالطهم سواهم (نَجِيًّا) ذوى نجوى أو فوجا نجيا أى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا أو تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وإفاضتهم فيه بجد واهتمام كأنهم فى أنفسهم صورة التناجى وحقيقته فالنجىّ يكون بمعنى المناجى كالسمير بمعنى المسامر وبمعنى المصدر الذى هو التناجى وكان تناجيهم فى تدبير أمرهم على أى صفة يذهبون وماذا يقولون لأبيهم فى شأن أخيهم (قَالَ كَبِيرُهُمْ) فى السن وهو روبيل أو فى العقل والرأى وهو يهوذا أو رئيسهم وهو شمعون (أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ اللهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ) ماصلة أى ومن قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف ولم تحفظوا عهد أبيكم أو مصدرية ومحل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه وقع من قبل تفريطكم فى يوسف (فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ) فلن أفارق أرض مصر (حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِى أَبِى) فى الانصراف إليــه (أَوْ يَحْكُمَ اللهُ لِى)

بالخروج منها أو بالموت أو بقتالهم (وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ) لأنه لايحكم إلا بالعدل (ارْجِعُوٓا إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) وقرئ سرّق أى نسب إلى السرقة (وَمَا شَهِدْنَآ) عليه بالسرقة (إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا) من سرقته وتيقنا إذ الصواع استخرج من وعائه (وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ) وما علمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الموثق (وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِى كُنَّا فِيهَا) يعنى مصر أى أرسل إلى أهلها فاسألهم عن كنه القصة (وَالْعِيرَ الَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا) وأصحاب العير وكانوا قوماً من كنعان من جيران يعقوب عليه السلام (وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ) فى قولنا فرجعوا إلى أبيهم وقالوا له ماقال لهم أخوهم (قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا) أردتموه وإلا فمن أدرى ذلك الرجل أن السارق يسترق لولا فتواكم وتعليمكم (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا) بيوسف وأخيه وكبيرهم (إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ) بحالى فى الحزن والأسف (الْحَكِيمُ) الذى لم يبتلنى بذلك إلا لحكمة (وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ) وأعرض عنهم كراهة لما جاءوا به (وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ) أضاف الأسف وهو أشد الحزن والحسرة إلى نفسه والألف بدل من ياء الإضافة والتجانس بين الأسف ويوسف غير متكلف ونحوه اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم. وهم ينهون عنه وينأون عنه ويحسبون أنهم يحسنون صنعا. من سبأ بنبا. وإنما تأسف دون أخيه وكبيرهم لتمادى أسفه على يوسف دون الآخرين وفيه دليل على أن الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا (وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ) إذ أكثر الاستعبار ومحقت العبرة سواد العين وقلبته إلى بياض كدر وقيل قد عمى بصره وقيل كان قد يدرك إدراكا ضعيفا (مِنَ الْحُزْنِ) لأن الحزن سبب البكاء الذى حدث منه البياض فكأنه حدث من الحزن قيل ماجفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف إلى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الأرض أكرم على الله من يعقوب ويجوز للنبي عليه السلام أن يبلغ به الجزع ذلك المبلغ لأن الإنسان مجبول على أن لايملك نفسه عند الحزن فلذلك حمد صبره ولقد بكى رسول الله ﷺ على ولده إبراهيم ، وقال : «القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وإنا عليك يا إبراهيم لمحزونون » وإنما المذموم الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب (فَهُوَ كَظِيمٌ) مملوء من الغيظ على أولاده ولا يظهر مايسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله إذ نادى وهو مكظوم من كظم السقاء إذا شده على ملئه (قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا) أى لاتفتأ

فحذف حرف النفى لأنه لايلتبس إذ لو كان إثباتاً لم يكن بد من اللام والنون ومعنى لاتفتأ لاتزال (تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا) مشفيا على الهلاك مرضا (أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِيَ إِلَى اللَّهِ) البث أصعب الهم الذى لايصبر عليه صاحبه فيبثه إلى الناس أى ينشره أى لاأشكو إلى أحد منكم ومن غيركم إنما أشكو إلى ربى داعياً له وملتجئاً إليه فخلونى وشكايتى وروى أنه أوحى إلى يعقوب إنما وجدت عليكم لأنكم ذبحتم شاة فوقف ببابكم مسكين فلم تطعموه وإن أحب خلقى إلىّ الأنبياء ثم المساكين فاصنع طعاماً وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) وأعلم من رحمته أنه يأتينى بالفرج من حيث لاأحتسب ، وروى أنه رأى ملك الموت فى منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال : لا والله هو حى فاطلبه وعلمه هذا الدعاء ياذا المعروف الدائم الذى لاينقطع معروفه أبداً ولايحصيه غيرك فرج عنى (يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وهو تفعل من الإحساس وهو المعرفة (وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ) ولا تقنطوا من رحمة الله وفرجه (إِنَّهُ) إن الأمر والشأن (لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) لأن من آمن يعلم أنه متقلب فى رحمة الله ونعمته وأما الكافر فلايعرف رحمة الله ولاتقلبه فى نعمته فييأس من رحمته فخرجوا من عند أبيهم راجعين إلى مصر (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ) على يوسف (قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ) الهزال من الشدة والجوع (وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقاراً لها من أزجيته إذا دفعته وطردته قيل كانت دراهم زيوفا لاتؤخذ إلا بوضيعة وقيل كانت صوفا وسمنا (فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ) الذى هو حقنا (وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا) وتفضل علينا بالمسامحة والإغماض عن رداءة البضاعة أوزدنا على حقنا أوهب لنا أخانا (إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ) ولما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا إليه وطلبوا منه أن يتصدق عليهم ارفضت عيناه ولم يتمالك أن عرفهم نفسه حيث قال (قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ) أى هل علمتم قبح مافعلتم بيوسف (وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ) لاتعلمون قبحه أو إذ أنتم فى حد السفه والطيش وفعلهم بأخيه تعريضهم إياه للغم بإفراده عن أخيه لأبيه وأمه وإيذاؤهم له بأنواع الأذى (قَالُوا أَئِنَّكَ) بهمزتين كوفى وشامى (لَأَنتَ يُوسُفُ) اللام لام الابتداء وأنت مبتدأ ويوسف خبره والجملة

خبر إن (قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِي) وإنما ذكر أخاه وهم قد سألوه عن نفسه لأنه كان فى ذكر أخيه بيان لما سألوه عنه (قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَآ) بالألفة بعد الفرقة وذكر نعمة الله بالسلامة والكرامة ولم يبدأ بالملامة (إِنَّهُ مَن يَتَّقِ) الفحشاء (وَيَصْبِرْ) عن المعاصى وعلى الطاعة (فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ) أى أجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين وقيل من يتق مولاه ويصبر على بلواه لايضيع أجره فى دنياه وعقباه (قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ ءاثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا) اختارك وفضلك علينا بالعلم والحلم والتقوى والصبر والحسن (وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ) وإن شأننا وحالنا أنا كنا خاطئين متعمدين للإثم لم نتق ولم نصبر لاجرم أن الله أعزك بالملك وأذلنا بالتمسكن بين يديك (قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ) لاتعيير عليكم (الْيَوْمَ) متعلق بالتثريب أو بيغفر والمعنى لاأثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الأيام ثم ابتدأ فقال (يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ) فدعا لهم بمغفرة مافرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر لك على لفظ الماضى والمضارع أو اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله وروى أن رسول الله ﷺ أخذ بعضادتى باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش «ماترونني فاعلا بكم» قالوا نظن خيرا أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت فقال «أقول ماقال أخى يوسف لاتثريب عليكم اليوم» وروى أن أباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس إذا أتيت رسول الله فاتل عليه قال لاتثريب عليكم اليوم ففعل فقال رسول الله ﷺ « غفر الله لك ولمن علمك» ويروى أن اخوته لما عرفوه أرسلوا إليه أنك تدعونا إلى طعامك بكرة وعشياً ونحن نستحي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف إن أهل مصر وإن ملكت فيهم فإنهم ينظرون إلى بالعين الأولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما مابلغ ولقد شرفت الآن بكم حيث علم الناس أنى من حفدة ابراهيم (وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) أى إذا رحمتكم وأنا الفقير القتور فما ظنكم بالغنى الغفور ثم سألهم عن حال أبيه فقالوا إنه عمى من كثرة البكاء قال (اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة أمره جبريل أن يرسله إليه فإن فيه ريح الجنة لايقع على مبتلى ولا سقيم إلا عوفى (فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا) يصر بصيراً تقول جاء البناء محكما أى صار أو يأت إلى وهو بصير قال يهوذا أنا أحمل قميص الشفاء كما ذهبت بقميص الجفاء وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر إلى كنعان

وبينهمامسيرة ثمانين فرسخا (وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ) لينعموا بآثار ملكى كما اغتموا بأخبار هلكى (وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ) خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا إذا انفصل منه وجاوز حيطانه (قَالَ أَبُوهُمْ) لولد ولده ومن حوله من قومه (إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ) أوجده الله ريح القميص حين أقبل من مسيرة ثمانية أيام (لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ) التفنيد النسبة إلى الفند وهو الخرف وإنكار العقل من هرم يقال شيخ مفند والمعنى لولا تفنيدكم إياى لصدقتمونى (قَالُوا) أى أسباطه (تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ) لفى ذهابك عن الصواب قديما فى إفراط محبتك ليوسف أو فى خطئك القديم من حب يوسف وكان عندهم أنه قد مات (فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ) أى يهوذا (أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ) طرح البشير القميص على وجه يعقوب أو ألقاه يعقوب (فَارْتَدَّ) فرجع (بَصِيرًا) يقال رده فارتد وارتده إذا ارتجعه (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ) يعنى قوله إنى لأجد ريح يوسف أو قوله ولا تيأسوا من روح الله وقوله (إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول أو وقع عليه والمراد قوله إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله وأعلم من الله مالا تعلمون وروى أنه سأل البشير كيف يوسف قال هو ملك مصر فقال ماأصنع بالملك على أى دين تركته قال على دين الإسلام قال الآن تمت النعمة (قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ) أى سل الله مغفرة ما ارتكبنا فى حقك وحق ابنك إنا تبنا واعترفنا بخطايانا (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أخر الاستغفار إلى وقت السحر أو إلى ليلة الجمعة أو ليتعرف حالهم فى صدق التوبة أو إلى أن يسأل يوسف هل عفا عنهم ثم إن يوسف وجه إلى أبيه جهازا ومائتى راحلة ليتجهز إليه بمن معه فلما بلغ قريباً من مصر خرج يوسف والملك فى أربعة آلاف من الجند والعظماء وأهل مصر بأجمعهم فتلقوا يعقوب وهو يمشى يتوكأ على يهوذا (فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ) ضم إليه (أَبَوَيْهِ) واعتنقهما قيل كانت أمه باقية وقيل ماتت وتزوج أبوه خالته والخالة أم كما أن العم أب ومنه قوله وإله آبائك إبراهيم واسمعيل واسحق ومعنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر أنه حين استقبلهم أنزلهم فى مضرب خيمة أو قصر كان له ثمة فدخلوا عليه وضم إليه أبويه (وَقَالَ) لهم بعد ذلك (ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ) من ملوكها وكانوا لايدخلونها إلا بجواز أو من القحط وروى

أنه لما لقيه قال يعقوب عليه السلام: السلام عليك يامذهب الأحزان وقال له يوسف ياأبت بكيت على حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت أن يسلب دينك فيحال بينى وبينك وقيل إن يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجال ونساء وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى ألف (وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا) قيل لما دخلوا مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا إليه أكرم أبويه فرفعهما على السرير وخروا له يعنى الإخوة الأحدعشر والأبوين سجدا وكانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد وقال الزجاج سنة التعظيم فى ذلك الوقت أن يسجد للمعظم وقيل ما كانت إلا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا يأباه وقيل وخروا لأجل يوسف سجدا لله شكرا وفيه نبوة أيضا واختلف فى استنبائهم (وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا) أى الرؤيا (رَبِّى حَقًّا) أى صادقة وكان بين الرؤيا وبين التأويل أربعون سنة أو ثمانون أو ست وثلاثون أو ثنتان وعشرون (وَقَدْ أَحْسَنَ بِى) يقال أحسن إليه وبه وكذلك أساء إليه وبه (إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ السِّجْنِ) ولم يذكر الجب لقوله لا تثريب عليكم اليوم (وَجَآءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ) من البادية لأنهم كانوا أصحاب مواش ينتقلون فى المياه والمناجع (مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ) أى أفسد بيننا وأغرى (إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ) أى لطيف التدبير (إِنَّهُۥ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ) بتأخير الآمال إلى الآجال أو حكم بالائتلاف بعد الاختلاف (رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ الْمُلْكِ) ملك مصر (وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) تفسير كتب الله أو تعبير الرؤيا ومن فيهما للتبعيض إذ لم يؤت إلا بعض ملك الدنيا وبعض التأويل (فَاطِرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) انتصابه على النداء (أَنتَ وَلِىِّۦ فِى الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أنت الذى تتولانى بالنعمة فى الدارين وتوصل الملك الفانى بالملك الباقى (تَوَفَّنِى مُسْلِمًا) طلب الوفاة على حال الإسلام كقول يعقوب لولده ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون وعن الضحاك مخلصا وعن التسترى مسلما إليك أمرى وفى عصمة الأنبياء إنما دعا به يوسف ليقتدى به قومه ومن بعده ممن ليس بمأمون العاقبة لأن ظواهر الأنبياء لنظر الأمم إليهم (وَأَلْحِقْنِى بِالصَّٰلِحِينَ) من آبائى أو على العموم روى أن يوسف

أخذ بيد يعقوب فطاف به فى خزائنه فأدخله خزائن الذهب والفضة وخزائن الثياب وخزائن السلاح حتى أدخله خزانة القراطيس قال يابنى ماأعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت إلى على ثمان مراحل فقال أمرنى جبريل قال أو ما تسأله قال أنت أبسط إليـه منى فاسأله فقال جبريل : الله أمرنى بذلك لقولك وأخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتنى وروى أن يعقوب أقام معه أربعاً وعشرين سنة ثم مات وأوصى أن يدفنه بالشأم إلى جنب أبيه إسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد إلى مصر وعاش بعد أبيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم أمره طلبت نفسه الملك الدائم فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيباً طاهراً فتخاصم أهل مصر وتشاحوا فى دفنه كل يحب أن يدفن فى محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا أن يعملوا له صندوقاً من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه فى النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل إلى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا حتى نقل موسى عليه السلام بعد أربعمائة سنة تابوته إلى بيت المقدس وولد له افرائيم وميشا وولد لإفرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعـده مصر ولم تزل بنو إسرائيل تحت أيديهم على بقايا دين يوسف وآبائه (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماسبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله ﷺ وهو مبتدأ (مِنْ أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) خبران (وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ) لدى بنى يعقوب (إِذْ أَجْمَعُوٓا أَمْرَهُمْ) عزموا على ماهموا به من إلقاء يوسف فى البئر (وَهُمْ يَمْكُرُونَ) بيوسف ويبغون له الغوائل والمعنى أن هذا النبأ غيب لم يحصل لك إلا من جهة الوحى لأنك لم تحضر بنى يعقوب حين اتفقوا على إلقاء أخيهم فى البئر (وَمَآ أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ) أراد العموم أو أهل مكة أى وماهم بمؤمنين ولو اجتهدت كل الاجتهاد على إيمانهم (وَمَا تَسْئَلُهُمْ عَلَيْهِ) على التبليغ أو على القرآن (مِنْ أَجْرٍ) جعل (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ) ما هو إلا موعظة (لِّلْعَالَمِينَ) وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا) على الآيات أو على الأرض ويشاهدونها (وَهُمْ عَنْهَا) عن الآيات (مُعْرِضُونَ) لايعتبرون بها والمراد مايرون من آثار الأمم الهالكة وغير ذلك من العبر (وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ) أى ومايؤمن أكثرهم فى إقراره بالله وبأنه خلقه وخلق السماوات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الوثن

الجمهور على أنها نزلت فى المشركين لأنهم مقرون بالله خالقهم ورازقهم وإذا حزبهم أمر شديد دعوا الله ومع ذلك يشركون به غيره ومن جملة الشرك مايقوله القدرية من إثبات قدرة التخليق للعبد، والتوحيد المحض مايقوله أهل السنة وهو أنه لاخالق إلا الله (أَفَأَمِنُوٓا۟ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ) عقوبة تغشاهم وتشملهم (مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ) القيامة (بَغْتَةً) حال أى فجأة (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بإتيانها (قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ) هذه السبيل التى هى الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلى والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ) أى أدعو إلى دينه مع حجة واضحة غير عمياء (أَنَا۠) تأكيد للمستتر فى أدعو (وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى) عطف عليه أى أدعو إلى سبيل الله أنا ويدعو إليه من اتبعنى أو أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبر مقدم ومن اتبعنى عطف على أنا يخبر ابتداء بأنه ومن اتبعه على حجة وبرهان لاعلى هوى (وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ) وأنزهه عن الشركاء (وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ) مع الله غيره (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا) لاملائكة لأنهم كانوا يقولون لوشاء ربنا لأنزل ملائكة أو ليست فيهم امرأة (نُّوحِىٓ) بالنون حفص (إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ) لأنهم أعلم وأحلم وأهل البوادى فيهم الجهل والجفاء (أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ) أى ولدار الساعة الآخرة (خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟) الشرك وآمنوا به (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) وبالياء مكى وأبو عمرو وحمزة وعلى (حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ) يئسوا من إيمان القوم (وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا۟) ـ كذّبوا ـ وأيقن الرسل أن قومهم كذبوهم وبالتخفيف كوفى أى وظن المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوا أى أخلفوا أو وظن المرسل إليهم أنهم كذبوا من جهة الرسل أى كذبتهم الرسل فى أنهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه (جَآءَهُمْ نَصْرُنَا) للانبياء والمؤمنين بهم فجأة من غير احتساب (فَنُجِّىَ) بنون واحدة وتشديد الجيم وفتح الياء شامى وعاصم على لفظ الماضى المبنى للمفعول والقائم مقام الفاعل من . الباقون فنجى بنونين ثانيتهما ساكنة مخفاه للجيم بعدها وإسكان الياء (مَن نَّشَآءُ) أى النبى ومن آمن به (وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا) عذابنا (عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ) الكافرين (لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ) أى فى قصص الأنبياء وأممهم أوفى قصة يوسف وإخوته (عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ) حيث نقل من غاية الحب، إلى غيابة الجب، ومن الحصير، إلى السرير، فصارت عاقبة الصبر سلامة وكرامة، ونهاية المكر وخامة وندامة (مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ) ماكان القرآن حديثاً مفترى كما زعم الكفار (وَلَٰكِن

تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ) ولكن تصديق الكتب التى تقدمته (وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ) يحتاج إليه فى الدين لأنه القانون الذى تستند إليه السنة والإجماع والقياس (وَهُدًى) من الضلال (وَرَحْمَةً) من العذاب (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بالله وأنبيائه وما نصب بعد لكن معطوف على خبر كان * عن رسول الله ﷺ «علموا أرقاءكم سورة يوسف فأيما عبد تلاها وعلمها أهله وما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت وأعطاه القوة أن لا يحسد مسلماً» قال الشيخ أبو منصور رحمه الله فى ذكر قصة يوسف عليه السلام وإخوته تصبير لرسول الله ﷺ على أذى قريش كأنه يقول إن إخوة يوسف مع موافقتهم إياه فى الدين ومع الأخوة عملوا بيوسف ما عملوا من الكيد والمكر وصبر على ذلك فأنت مع مخالفتهم إياك فى الدين أحرى أن تصبر على أذاهم وقال وهب : إن الله تعالى لم ينزل كتابا إلا وفيه سورة يوسف عليه السلام تامة كما هى فى القرآن العظيم والله أعلم .

﴿سورة الرعد مكية، وهى ثلاث وأربعون آية كوفى ، وخمس وأربعون آية شامى﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(الٓمٓر) أنا الله أعلم وأرى عن ابن عباس رضى الله عنهما (تِلْكَ) إشارة إلى آيات السورة (ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ) أريد بالكتاب السورة أى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة فى بابها (وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) أى القرآن كله (ٱلْحَقُّ) خبر والذى (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ) فيقولون تقوله محمد ثم ذكر ما يوجب الإيمان فقال (ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ) أى خلقها مرفوعة لا أن تكون موضوعة فرفعها والله مبتدأ والخبر الذى رفع السموات (بِغَيْرِ عَمَدٍ) حال وهو جمع عماد أو عمود (تَرَوْنَهَا) الضمير يعود إلى السموات أى ترونها كذلك فلا حاجة إلى البيان أو إلى عمد فيكون فى موضع جر على أنه صفة لعمد أى بغير عمد مرئية (ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ) استولى بالاقتدار ونفوذ السلطان (وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ) لمنافع عباده ومصالح بلاده (كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) وهو انقضاء الدنيا (يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ) أمر ملكوته وربوبيته (يُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ) يبين آياته فى كتبه المنزلة

(لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ) لعلكم توقنون بأن هذا الدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع إليه (وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ) بسطها (وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت (وَأَنْهَـٰرًا) جارية (وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ) أى الأسود والأبيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما أشبه ذلك (يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ) يلبسه مكانه فيصير أسود مظلما بعد ما كان أبيض منيرا. يغشّى حمزة وعلى وأبو بكر (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيعلمون أن لها صانعا عليما حكيما قادرا (وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَـٰوِرَٰتٌ) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة إلى سبخة وكريمة إلى زهيدة وصلبة إلى رخوة وذلك دليل على قادر مدبر مريد موقع لأفعاله على وجه دون وجه (وَجَنَّـٰتٌ) معطوفة على قطع (مِّنْ أَعْنَـٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ) بالرفع مكى وبصرى وحفص عطف على قطع. غيرهم بالجر بالعطف على أعناب، والصنوان جمع صنو وهى النخلة لها رأسان وأصلها واحد وعن حفص بضم الصاد وهما لغتان (يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ) وبالياء عاصم وشامى (وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ) وبالياء حمزة وعلى (فِى ٱلْأُكُلِ) فى الثمر وبسكون الكاف نافع ومكى (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) عن الحسن مثل اختلاف القلوب فى آثارها وأنوارها وأسرارها باختلاف القطع فى أنهارها وأزهارها وثمارها (وَإِن تَعْجَبْ) يا محمد من قولهم فى إنكار البعث (فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ) خبر ومبتدأ أى فقولهم حقيق بأن يتعجب منه لأن من قدر على إنشاء ماعدد عليك كانت الإعادة أهون شىء عليه وأيسره فكان إنكارهم أعجوبة من الأعاجيب (أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ) فى محل الرفع بدل من قولهم. قرأ عاصم وحمزة كل واحد بهمزتين (أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ) أولئك الكافرون المتمادون فى كفرهم (وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ) وصف لهم بالاصرار أو من جملة الوعيد (وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ) دل تكرار أولئك على تعظيم الأمر (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ) بالنقمة قبل العافية وذلك أنهم سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاء منهم بإنذاره (وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ) أى عقوبات أمثالهم من المكذبين فمالهم لم يعتبروا بها فلا يستهزئوا، والمثلة العقوبة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة. وجزاء سيئة سيئة مثلها (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ) أى مع ظلمهم

أنفسهم بالذنوب ومحله الحال أى ظالمين لأنفسهم قال السدى يعنى المؤمنين وهى أرجى آية فى كتاب الله حيث ذكر المغفرة مع الظلم وهو بدون التوبة فإن التوبة تزيلها وترفعها (وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ) على الكافرين أو هما جميعا فى المؤمنين لكنه معلق بالمشيئة فيهما أى يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِ) لم يعتدوا بالآيات المنزلة على رسول الله ﷺ عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية وإحياء الموتى فقيل لرسول الله ﷺ (إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ) إنما أنت رجل أرسلت منذرا مخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك إلا الإتيان بما يصح به أنك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة بأى آية كانت والآيات كلها سواء فى حصول صحة الدعوى بها (وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ) من الأنبياء يهديهم إلى الدين ويدعوهم إلى الله بآية خص بها لا بما يريدون ويتحكمون (اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ) ما فى هذه المواضع الثلاثة موصولة أى يعلم ما تحمله من الولد على أى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك وما تغيضه الأرحام أى ويعلم ما تنقصه يقال غاض الما وغضته أنا وما تزداده والمراد عدد الولد فإنها تشتمل على واحد واثنين وثلاثة وأربعة أو جسد الولد فإنه يكون تاما ومخدجا أو مدة الولادة فإنها تكون أقل من تسعة أشهر وأزيد عليها إلى سنتين عندنا وإلى أربع عند الشافعى وإلى خمس عند مالك أو مصدرية أى يعلم حمل كل أنثى ويعلم غيض الأرحام وازديادها (وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ) بقدر وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه لقوله: إنا كل شىء خلقناه بقدر (عَٰلِمُ الْغَيْبِ) ما غاب عن الخلق (وَالشَّهَٰدَةِ) ما شاهدوه (الْكَبِيرُ) العظيم الشأن الذى كل شىء دونه (الْمُتَعَالِ) المستعلى على كل شىء بقدرته أو الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها وبالياء فى الحالين مكى (سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ) أى فى علمه (وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِالَّيْلِ) متوار (وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ) ذاهب فى سربه أى فى طريقه ووجهه يقال سرب فى الأرض سروبا. وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف أو على مستخف غير أن من فى معنى الاثنين والضمير فى (لَهُ) مردود على من كأنه قيل لمن أسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (مُعَقِّبَٰتٌ) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه والأصل معتقبات فأدغمت التاء فى القاف

أوهو مفعلات من عقبه إذا جاء على عقبه لأن بعضهم يعقب بعضا أو لأنهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ) أى قدامه ووراءه (يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ) هما صفتان جميعا وليس من أمر الله بصلة للحفظ كأنه قيل له معقبات من أمر الله أو يحفظونه من أجل أمر الله أى من أجل أن الله تعالى أمرهم بحفظه أويحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب بدعائهم له(إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ) من العافية والنعمة (حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) من الحال الجميلة بكثرة المعاصى (وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا) عذابا (فَلَا مَرَدَّ لَهُ) فلايدفعه شيء (وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) من دون الله ممن يلى أمرهم ويدفع عنهم (هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا) انتصبا على الحال من البرق كأنه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع أومن المخاطبين أى خائفين وطامعين والمعنى يخاف من وقوع الصواعق عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال أبو الطيب :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى   يرجّى الحيا منه وتخشى الصواعق

أو يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن له بيت يكف ومن البلاد مالا ينتفع أهله بالمطر كأهل مصر ويطمع فيه من له نفع فيه (وَيُنشِئُ السَّحَابَ) هو اسم جنس والواحدة سحابة (الثِّقَالَ) بالماء وهو جمع ثقيلة، تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال (وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ) قيل يسبح سامعو الرعد من العباد الراجين للمطر أى يصيحون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي ﷺ أنه قال «الرعد ملك موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب» والصوت الذى يسمع زجره السحاب حتى ينتهي إلى حيث أمر (وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ) ويسبح الملائكة من هيبته وإجلاله (وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ) الصاعقة: نار تسقط من السماء لما ذكر علمه النافذ فى كل شيء واستواء الظاهر والخفى عنده ومادل على قدرته الباهرة ووحدانيته قال (وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ) يعنى الذين كذبوا رسول الله ﷺ يجادلون فى الله حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث وإعادة الخلائق بقولهم: من يحيي العظام وهى رميم. ويردون الواحدانية باتخاذ الشركاء ويجعلونه بعض الأجسام بقولهم الملائكة بنات الله. أوالواو للحال أى فيصيب بها من يشاء فى حال جدالهم وذلك أن أربد أخا لبيد بن ربيعة العامرى قال لرسول الله ﷺ حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين

لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت فى بيت سلولية وأرسل على أربد صاعقة فقتله أخبرنى عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ) أى المماحلة وهى شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا إذا تكلف لاستعماله الحيلة واجتهد فيه، ومحل بفلان إذا كاده وسعى به إلى السلطان والمعنى أنه شديد المكر والكيد لأعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ) أضيفت إلى الحق الذى هو ضد الباطل للدلالة على أن الدعوة ملابسة للحق وأنها بمعزل من الباطل والمعنى أن الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة ويعطى الداعى سؤله فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بأنه يوجه إليه الدعاء لما فى دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدى دعاؤه واتصال شديد المحال وله دعوة الحق بما قبله على قصة أربد ظاهر لأن إصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله ﷺ عليه وعلى صاحبه بقوله «اللهم اخسفهما بما شئت» فأجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق وعلى الأول وعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله ﷺ بحلول محاله بهم وإجابة دعوة رسول الله ﷺ فيهم إن دعا عليهم (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (مِن دُونِهِ) من دون الله (لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ) من طلباتهم (إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ) الاستثناء من المصدر أى من الاستجابة التى دل عليها لا يستجيبون لأن الفعل بحروفه يدل على المصدر وبصيغته على الزمان وبالضرورة على المكان والحال فجاز استثناء كل منها من الفعل فصار التقدير لا يستجيبون استجابة إلا استجابة كاستجابة باسط كفيه إلى الماء أى كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته إليه ولا يقدر أن يجيب دعاءه ويبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع إجابتهم ولا يقدر على نفعهم. واللام فى ليبلغ متعلق بباسط كفيه (وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ) وما الماء ببالغ فاه (وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) فى ضياع لا منفعة فيه لأنهم إن دعوا الله لم يجبهم وإن دعوا الأصنام لم تستطع إجابتهم (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) سجود تعبد وانقياد (طَوْعًا) حال يعنى الملائكة والمؤمنين (وَكَرْهًا) يعنى المنافقين والكافرين فى حال الشدة والضيق (وَظِلَالُهُم) معطوف على من جمع ظل (بِالْغُدُوِّ) جمع غداة كقنى وقناة (وَالْآصَالِ) جمع أصل جمع أصيل قيل ظل كل

شيء يسجد لله بالغدو والآصال وظل الكافر يسجد كرها وهو كاره وظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع (قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ) حكاية لاعترافهم لأنه إذا قال لهم من رب السموات والأرض لم يكن لهم بد من أن يقولوا: الله، دليله قراءة ابن مسعود وأبي قالوا الله أو هو تلقين أي فإن لم يجيبوا فلقنهم فإنه لا جواب إلا هذا (قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) أبعد أن علمتموه رب السموات والأرض اتخذتم من دونه آلهة (لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا) لايستطيعون لأنفسهم أن ينفعوها أو يدفعوا ضرراً عنها فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ) أي الكافر والمؤمن أو من لايبصر شيئاً ومن لايخفى عليه شيء (أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَٰتُ وَالنُّورُ) ملل الكفر والإيمان. يستوى كوفى غير حفص (أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) بل أجعلوا ومعنى الهمزة الإنكار (خَلَقُوا كَخَلْقِهِ) خلقوا مثل خلقه وهو صفة لشركاء أي أنهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فَتَشَٰبَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ) فاشتبه عليهم مخلوق الله بمخلوق الشركاء حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لايقدرون على مايقدر عليه الخلق فضلا أن يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قُلِ اللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ) أي خالق الأجسام والأعراض لاخالق غير الله ولا يستقيم أن يكون له شريك فى الخلق فلا يكون له شريك فى العبادة ، ومن قال إن الله لم يخلق أفعال الخلق وهم خلقوها فتشابه الخلق على قولهم (وَهُوَ الْوَٰحِدُ) المتوحد بالربوبية (الْقَهَّٰرُ) لايغالب وما عداه مربوب ومقهور (أَنزَلَ) أي الواحد القهار وهو الله سبحانه (مِنَ السَّمَاءِ) من السحاب (مَاءً) مطراً (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ) جمع واد وهو الموضع الذي يسيل فيه الماء بكثرة وإنما نكر لأن المطر لايأتى إلا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الأرض دون بعض (بِقَدَرِهَا) بمقدارها الذي علم الله أنه نافع للممطور عليهم غير ضار (فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ) أي رفع (زَبَدًا) هو ماعلا على وجه الماء من الرغوة والمعنى علاه زبد (رَّابِيًا) منتفخا مرتفعا على وجه السيل (وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ) بالياء كوفى غير أبي بكر ومن لابتداء الغاية أي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء أو للتبعيض أي وبعضه زبد (فِي النَّارِ) حال من الضمير فى عليه أي ومما توقدون عليه ثابتا

فى النار (ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ) مبتغين حلية فهو مصدر فى موضع الحال من الضمير فى توقدون (أَوْ مَتَاعٍ) من الحديد والنحاس والرصاص يتخذ منهـا الأوانى وما يتمتع به فى الحضر والسفر وهو معطوف على حلية أى زينة من الذهب والفضة (زَبَدٌ) خبث وهو مبتدأ (مِّثْلُهُ) نعت له ومما توقدون خبر له أى لهذه الفلزّات إذا أغليت زبد مثل زبد الماء (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ) أى مثل الحق والباطل (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً) حال أى متلاشيا وهو ما تقذفه القدر عند الغليان والبحر عند الطغيان والجفء الرمى وجفأت الرجل صرعته (وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ) من الماء والحلى والأوانى (فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) فيثبت الماء فى العيون والآبار والحبوب والثمار وكذلك الجواهر تبقى فى الأرض مدة طويلة (كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ) ليظهر الحق من الباطل وقيل هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بأنواع المنافع وبالفلز الذى ينتفعون به فى صوغ الحلى منه واتخاذ الأوانى والآلات المختلفات وذلك ما كث فى الأرض باق بقاء ظاهراً يثبت الماء فى منافعه وكذلك الجواهر تبقى أزمنة متطاولة وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله ووشك زواله بزبد السيل الذى يرمى به وبزبد الفلز الذى يطفو فوقه إذا أذيب قال الجمهور وهذا مثل ضربه الله تعالى للقرآن والقلوب والحق والباطل فالماء القرآن نزل لحياة الجنان كالماء للأبدان والأودية للقلوب ومعنى بقدرها بقدر سعة القلب وضيقه والزبد هواجس النفس ووساوس الشيطان والماء الصافى المنتفع به مثل الحق فكما يذهب الزبد باطلا ويبقى صفو الماء كذلك تذهب هواجس النفس ووساوس الشيطان ويبقى الحق كما هو وأما حلية الذهب والفضة فمثل للأحوال السنية والأخلاق الزكية وأما متاع الحديد والنحاس والرصاص فمثل للأعمال الممدة بالإخلاص المعدة للخلاص فإن الأعمال جالبة للثواب دافعة للعقاب كما أن تلك الجواهر بعضها أداة النفع للكسب وبعضها آلة الدفع فى الحرب وأما الزبد فالرياء والخلل والملل والكسل واللام فى (لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا) أى أجابوا متعلقة بيضرب أى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا (لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ) وهى صفة لمصدر استجابوا أى استجابوا الاستجابة الحسنى (وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ) أى وللكافرين الذين لم يستجيبوا أى هما مثلا الفريقين وقوله (لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ) كلام مبتدأ فى ذكر

ما أعد لغير المستجيبين أى لو ملكوا أموال الدنيا وملكوا معها مثلها لبذلوه ليدفعوا عن أنفسهم عذاب الله والوجه أن الكلام قد تم على الأمثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهى الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما فى حيزه (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ) المناقشة فيه فى الحديث «من نوقش الحساب عذب» (وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ) ومرجعهم بعد المحاسبة النار (وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ) المكان المهد والمذموم محذوف أى جهنم، دخلت همزة الإنكار على الفاء فى (أَفَمَن يَعْلَمُ) لإنكار أن تقع شبهة ما بعد ما ضرب من المثل فى أن حال من علم (أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب وهو المراد بقوله (كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ) كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والإبريز (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ) أى الذين عملوا على قضايا عقولهم فنظروا واستبصروا (ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ) مبتدأ والخبر أولئك لهم عقبى الدار كقوله والذين ينقضون عهد الله... أولئك لهم اللعنة، وقيل هو صفة لأولى الألباب والأول أوجه وعهد الله ما عقدوه على أنفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى (وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ) ما أوثقوه على أنفسهم وقبلوه من الإيمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ) من الأرحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله ﷺ وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الإيمان إنما المؤمنون إخوة بالإحسان إليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم وإفشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم ومنه مراعاة حق الأصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر (وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ) أى وعيده كله (وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ) خصوصاً فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا (وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والأموال ومشاق التكاليف (ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ) لا ليقال ما أصبره وأحمله للنوازل وأوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب فى الجزع (وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ) داوموا على إقامتها (وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ) أى من الحلال وإن كان الحرام رزقاً عندنا (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) يتناول النوافل لأنها فى السر أفضل والفرائض لأن المجاهرة بها أفضل نفياً للتهمة (وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ) ويدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم أو إذا حرموا أعطوا

وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا وإذا أذنبوا تابوا وإذا هربوا أنابوا وإذا رأوا منكراً أمروا بتغييره فهذه ثمانية أعمال تشير إلى ثمانية أبواب الجنة (أُوْلَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ) عاقبة الدنيا وهى الجنة لأنها التى أرادها الله أن تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جَنَّٰتُ عَدْنٍ) بدل من عقبى الدار (يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ) أى آمن (مِنْ ءابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ) وقرئ صلُح والفتح أفصح ومن فى محل الرفع بالعطف على الضمير فى يدخلونها وساغ ذلك وإن لم يؤكد لأن ضمير المفعول صار فاصلا وأجاز الزجاج أن يكون مفعولا معه ووصفهم بالصلاح ليعلم أن الأنساب لاتنفع بنفسها والمراد أبوا كل واحد منهم فكأنه قيل من آبائهم وأمهاتهم (وَالْمَلَٰئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ) فى قدر كل يوم وليلة ثلاث مرات بالهدايا وبشارات الرضا (سَلَٰمٌ عَلَيْكُم) فى موضع الحال إذ المعنى قائلين سلام عليكم أو مسلمين (بِمَا صَبَرْتُمْ) متعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم أى هذا الثواب بسبب صبركم عن الشهوات أو على أمر الله أو بسلام أى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم والأول أوجه (فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ) الجنات (وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَٰقِهِ) من بعد ماأوثقوه به من الاعتراف والقبول (وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ) بالكفر والظلم (أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ) الإبعاد من الرحمة (وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ) يحتمل أن يراد سوء عاقبة الدنيا لأنه فى مقابلة عقبى الدار وأن يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ) أى ويضيق لمن يشاء والمعنى الله وحده هو يبسط الرزق ويقدر دون غيره (وَفَرِحُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) بما بسط لهم من الدنيا فرح بطر وأشر لا فرح سرور بفضل الله وإنعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يؤجروا بنعيم الآخرة (وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فِى الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ) وخفى عليهم أن نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس إلا شيئاً نزرا يتمتع به كعجلة الراكب وهو مايتعجله من تميرات أو شربة سويق (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءايَةٌ مِّن رَّبِّهِ) أى الآية المقترحة (قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ) باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات (وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ) ويرشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه (الَّذِينَ ءامَنُوا) هم الذين أو محله النصب بدل من مَن (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم) تسكن (بِذِكْرِ اللَّهِ) على الدوم أو بالقرآن أو بوعده (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) بسبب ذكره تطمئن قلوب

المؤمنين (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ) مبتدأ (طُوبَىٰ لَهُمْ) خبره وهو مصدر من طاب كبشرى ومعنى طوبى لك أصبت خيراً وطيباً ومحلها النصب أو الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة ما قبلها كموقن والقراءة فى (وَحُسْنُ مَـَٔابٍ) مرجع. بالرفع والنصب تدل على محليها (كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ) مثل ذلك الإرسال أرسلناك إرسالا له شأن وفضل على سائر الإرسالات ثم فسر كيف أرسله فقال (فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ) أى أرسلناك فى أمة قد تقدمتها أمم كثيرة فهى آخر الأمم وأنت خاتم الانبياء (لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ الَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى أوحينا إليك (وَهُمْ يَكْفُرُونَ) وحال هؤلاء انهم يكفرون (بِالرَّحْمَٰنِ) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شىء (قُلْ هُوَ رَبِّى) ورب كل شىء (لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ) أى هو ربى الواحد المتعالى عن الشركاء (عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ) فى نصرتى عليكم (وَإِلَيْهِ مَتَابِ) مرجعى فيثيبنى على مصابرتكم. متابى وعقابى ومآبى فى الحالين يعقوب (وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ) عن مقارها (أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الإنذار والتخويف فجواب لو محذوف أو معناه ولو أن قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الأرض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله: ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة. الآية (بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا) بل لله القدرة على كل شىء وهو قادر على الآيات التى اقترحوها (أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ الَّذِينَ ءَامَنُوٓا) أفلم يعلم وهى لغة قوم من النخع وقيل إنما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لأن اليائس عن الشىء عالم بأنه لا يكون كما استعمل النسيان فى معنى الترك لتضمن ذلك، دليله قراءة على رضى الله عنه أفلم يتبين وقيل إنما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوى السنات وهذه والله فرية مافيها مرية (أَن لَّوْ يَشَآءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا) من كفرهم وسوء أعمالهم (قَارِعَةٌ) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم فى كل وقت من صنوف البلايا والمصائب فى نفوسهم وأولادهم وأموالهم (أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ) أو تحل القارعة قريبا منهم فيفزعون ويتطاير عليهم شررها ويتعدى إليهم شرورها (حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ اللَّهِ) أى موتهم

أو القيامة أو ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله من العداوة والتكذيب قارعة لأن جيش رسول الله يغير حول مكة ويختطف منهم أوتحل أنت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك يوم الحديبية حتى يأتي وعد الله أى فتح مكة (إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ) أى لاخلف فى موعده (وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) الإملاء الإمهال وأن يترك ملاوة من الزمان فى خفض وأمن (ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ) وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله استهزاء به وتسلية له (أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ) احتجاج عليهم فى إشراكهم بالله يعنى أفالله الذى هو رقيب (عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ) صالحة أو طالحة (بِمَا كَسَبَتْ) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ثم استأنف فقال (وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ) أى الأصنام (قُلْ سَمُّوهُمْ) أى سموهم له من هم ونبئوه بأسمائهم ثم قال (أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ) على أم المنقطعة أى بل أتنبؤنه بشركاء لايعلمهم فى الأرض وهو العالم بما فى السموات والأرض فإذا لم يعلمهم علم أنهم ليسوا بشىء والمراد نفى أن يكون له شركاء (أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ) بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بأفواههم . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها (بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ) كيدهم للإسلام بشركهم (وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ) عن سبيل الله بضم الصاد كوفى وبفتحها غيرهم ومعناه وصدوا المسلمين عن سبيل الله (وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) من أحد يقدر على هدايته (لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بالقتل والأسر وأنواع المحن (وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ) أشد لدوامه (وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ) من حافظ من عذابه (مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ) صفتها التى هى فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف أى فيما يتلى عليكم مثل الجنة أو الخبر (تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) كما تقول صفة زيد أسمر (أُكُلُهَا دَائِمٌ) ثمرها دائم الوجود لاينقطع (وَظِلُّهَا) دائم لاينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا) أى الجنة الموصوفة عقبى تقواهم يعنى منتهى أمرهم (وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) يريد من أسلم من اليهود كابن سلام ونحوه ومن النصارى بأرض الحبشة (يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ) أى ومن أحزابهم وهم كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ

بالمداوة ككعب بن الأشرف وأصحابه والسيد والعاقب وأشياعهما (مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ) لأنهم كانوا لاينكرون الأقاصيص وبعض الأحكام والمعانى مما هو ثابت فى كتبهم وكانو ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وغير ذلك مما حرفوه وبدلوه من الشرائع (قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِ) هو جواب للمنكرين أى قل إنما أمرت فيما أنزل إلى بأن أعبد الله ولاأشرك به فإنكاركم له إنكار لعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون مع إدعائكم وجوب عبادة الله وأن لا يشرك به (إِلَيْهِ أَدْعُوا) خصوصاً لا أدعو إلى غيره (وَإِلَيْهِ) لا إلى غيره (مَئَابِ) مرجعى وأنتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لإنكاركم (وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ) ومثل ذلك الإنزال أنزلناه مأموراً فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة إليه وإلى دينه والإنذار بدار الجزاء (حُكْمًا عَرَبِيًّا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال كانوا يدعون رسول الله ﷺ إلى أمور يشاركهم فيها فقيل (وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ) أى بعد ثبوت العلم بالحجج القاطعة والبراهين الساطعة (مَالَكَ مِنَ اللهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ) أى لاينصرك ناصر ولا يقيك منه واق وهذا من باب التهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين وأن لايزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة وإلا فكان رسول الله ﷺ من شدة الثبات بمكان وكانوا يعيبونه بالزواج والولاد ويقترحون عليه الآيات وينكرون النسخ فنزل (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً) نساءاً وأولاداً (وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللهِ) أى ليس فى وسعه إتيان الآيات على مايقترحه قومه وإنما ذلك إلى الله (لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ) لكل وقت حكم يكتب على العباد أى يفرض عليهم على ماتقتضيه حكمته (يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَآءُ) ينسخ مايشاء نسخه (وَيُثْبِتُ) بدله مايشاء أو يتركه غير منسوخ أو يمحو من ديوان الحفظة مايشاء ويثبت غيره أو يمحو كفر التائبين ويثبت إيمانهم أو يميت من حان أجله وعكسه ويثبّت مدنى وشامى وحمزة وعلى (وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَـٰبِ) أى أصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لأن كل كائن مكتوب فيه (وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ) وكيفما دارت الحال أريناك مصارعهم وماوعدناهم من إنزال العذاب عليهم أو توفيناك قبل ذلك (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَـٰغُ) فما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة فحسب (وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ) وعلينا حسابهم وجزاؤهم على أعمالهم لاعليك

فلا يهمنك إعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) أرض الكفرة (نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد فى دار الإسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة، والمعنى عليك البلاغ الذى حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ماوعدناك من النصرة والظفر (وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ) لاراد لحكمه والمعقب الذى يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذى يعقبه أى يقفيه أى بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يقفى غريمه بالاقتضاء والطلب والمعنى أنه حكم للإسلام بالغلبة والإقبال وعلى الكفر بالإدبار والانتكاس، ومحل لامعقب لحكمه النصب على الحال كأنه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءنى زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة له تريد حاسرا (وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) فعما قليل يحاسبهم فى الآخرة بعد عذاب الدنيا (وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى كفار الأمم الخالية بأنبيائهم والمكر إرادة المكروه فى خفية ثم جعل مكرهم كلا مكر بالإضافة إلى مكره فقال (فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا) ثم فسر ذلك بقوله (يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ) يعنى العاقبة المحمودة لأن من علم ما تكسب كل نفس وأعد لها جزاءها فهو المكر كله لأنه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم فى غفلة عما يراد بهم الكافر. على إراد الجنس حجازى وأبو عمرو (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا) المراد بهم كعب بن الأشرف ورؤساء اليهود قالوا: لست مرسلا ولهذا قال عطاء هى مكية إلا هذه الآية (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) بما أظهر من الأدلة على رسالتى والباء دخلت على الفاعل وشهيدا تمييز (وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) قيل هو الله عز وجل، والكتاب: اللوح المحفوظ دليله قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب أى ومن لدنه علم الكتاب لأن علم من علمه من فضله ولطفه، وقيل ومن هو من علماء أهل الكتاب الذين أسلموا لأنهم يشهدون بنعته فى كتبهم وقال ابن سلام: فىّ نزلت هذه الآية وقيل هو جبريل عليه السلام ومن فى موضع الجر بالعطف على لفظ الله أو فى موضع الرفع بالعطف على محل الجار والمجرور إذ التقدير كفى الله وعلم الكتاب يرتفع بالمقدر فى الظرف فيكون فاعلا لأن الظرف صلة لمن ومن هنا بمعنى الذى والتقدير من ثبت عنده علم الكتاب وهذا لأن الظرف إذا وقع صلة يعمل عمل الفعل نحو مررت

بالذى فى الدار أخوه فأخوه فاعل كما تقول بالذى استقر فى الدار أخوه وفى القراءة بكسر ميم من يرتفع العلم بالابتداء .

﴿سورة إبراهيم عليه السلام، مكية: اثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓر كِتَـٰبٌ) هو خبر مبتدأ محذوف أى هذا كتاب يعنى السورة والجملة التى هى (أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ) فى موضع الرفع صفة للنكرة (لِتُخْرِجَ النَّاسَ) بدعائك إياهم (مِنَ الظُّلُمَـٰتِ إِلَى النُّورِ) من الضلالة إلى الهدى (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) بتيسيره وتسهيله مستعار من الإذن الذى هو تسهيل الحجاب وذلك ما يمنحهم من التوفيق (إِلَىٰ صِرَٰطِ) بدل من النور بتكرير العامل (الْعَزِيزِ) الغالب بالانتقام (الْحَمِيدِ) المحمود على الإنعام (اللهِ) بالرفع مدنى وشامى على هو الله وبالجر غيرهما على أنه عطف بيان للعزيز الحميد (الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ) خلقا وملكا ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان توعد الكافرين بالويل وهو نقيض الوأل وهو النجاة وهو اسم معنى كالهلاك فقال (وَوَيْلٌ لِّلْكَـٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) وهو مبتدأ وخبر، وصفة (الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ) يختارون ويؤثرون (الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللهِ) عن دينه (وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا) يطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا والأصل ويبغون لها فحذف الجار وأوصل الفعل. الذين مبتدأ خبره (أُولَـٰئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ بَعِيدٍ) عن الحق ووصف الضلال بالبعد من الإسناد المجازى والبعد فى الحقيقة للضال لأنه هو الذى يتباعد عن طريق الحق فوصف به فعله كما تقول جد جده، أو مجرور صفة للكافرين أو منصوب على الذم أو مرفوع على أعنى الذين أو هم الذين (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ) إلا متكلما بلغتهم (لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) ماهو مبعوث به وله فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولون له: لم نفهم ماخوطبنا به فإن قلت إن رسولنا ﷺ بعث إلى الناس جميعا بقوله قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا بل إلى الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فإن لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة قلت لا يخلو ما إن ينزل بجميع الألسنة أو بواحد منها فلا

حاجة إلى نزوله بجميع الألسنة لأن الترجمة تنوب عن ذلك وتكفى التطويل فتعين أن ينزل بلسان واحد وكان لسان قومه أولى بالتعيين لأنهم أقرب إليه ولأنه أبعد من التحريف والتبديل (فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَآءُ) من آثر سبب الضلالة (وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ) من آثر سبب الاهتداء (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فلا يغالب على مشيئته (الْحَكِيمُ) فلا يخذل إلا أهل الخذلان (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ) التسع (أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ) بأن أخرج أو أى أخرج لأن الإرسال فيه معنى القول كأنه قيل أرسلناه وقلنا له أخرج قومك (مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّىٰمِ اللَّهِ) وأنذرهم بوقائعه التى وقعت على الأمم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه أيام العرب لحروبها وملاحمها أو بأيام الإنعام حيث ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ) على البلايا (شَكُورٍ) على العطايا كأنه قال لكل مؤمن إذ الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ) إذ ظرف للنعمة بمعنى الإنعام أى إنعامه عليكم ذلك الوقت أو بدل اشتمال من نعمة الله أى اذكروا وقت إنجائكم (وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ) ذكر فى البقرة يذبحون وفى الأعراف يقتلون بلا واو وهنا مع الواو والحاصل أن التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيراً للعذاب وبياناً له وحيث أثبت الواو جعل التذبيح من حيث إنه زاد على جنس العذاب كأنه جنس آخر (وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) الإشارة إلى العذاب والبلاء المحنة أو إلى الإنجاء والبلاء النعمة. ونبلوكم بالشر والخير فتنة (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ) أى آذن ونظير تأذن وآذن توعد وأوعد ولابد فى تفعل من زيادة معنى ليس فى أفعل كأنه قيل وإذ آذن ربكم إيذانا بليغا تنتفى عنده الشكوك والشبه وهو من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على نعمة الله عليكم كأنه قيل وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذن ربكم والمعنى وإذ تأذن ربكم فقال (لَئِن شَكَرْتُمْ) يابنى اسرائيل ما خولتكم من نعمة الإنجاء وغيرها (لَأَزِيدَنَّكُمْ) نعمة إلى نعمة فالشكر قيد الموجود وصيد المفقود وقيل إذا سمعت النعمة نغمة الشكر تأهبت للمزيد وقال ابن عباس رضى الله عنهما : لئن شكرتم بالجد فى الطاعة لأزيدنكم بالجد فى المثوبة (وَلَئِن كَفَرْتُمْ) ما أنعمت به عليكم

(إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) لمن كفر نعمتي أما فى الدنيا فسلب النعم وأما فى العقبى فتوالى النقم (وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ) يابنى اسرائيل (وَمَن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا) والناس كلهم (فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ) عن شكركم (حَمِيدٌ) وإن لم يحمده الحامدون وأنتم ضررتم أنفسكم حيث حرمتموها الخير الذي لابد لكم منه (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ) من كلام موسى لقومه أو ابتداء خطاب لأهل عصر محمد عليه السلام (وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ) جملة من مبتدأ وخبر وقعت اعتراضاً أو عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم إلا الله اعتراض والمعنى أنهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم إلا الله وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون وروى أنه عليه السلام قال عند نزول هذه الآية كذب النسابون (جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ) بالمعجزات (فَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ) الضميران يعودان إلى الكفرة اى أخذوا أناملهم بأسنانهم تعجباً أو عضوا عليها تغيظاً أو الثانى يعود إلى الأنبياء اى رد القوم أيديهم فى أفواه الرسل كيلا يتكلموا بما أرسلوا به (وَقَالُوٓا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ) من الإيمان بالله والتوحيد (مُرِيبٍ) موقع فى الريبة (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى اللَّهِ شَكٌّ) أدخلت همزة الإنكار على الظرف لأن الكلام ليس فى الشك إنما هو فى المشكوك فيه وأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة وهو جواب قولهم وإنا لفى شك (فَاطِرِ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ) إلى الإيمان (لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ) إذا آمنتم ولم تجىء مع من إلا فى خطاب الكافرين كقوله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال فى خطاب المؤمنين: هل أدلكم على تجارة إلى أن قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يعرف بالاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين فى الميعاد (وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) إلى وقت قد سماه وبين مقداره (قَالُوٓا) اى القوم (إِنْ أَنتُمْ) ما أنتم (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا) لافضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا (تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا) يعنى الأصنام (فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات وإنما أرادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) تسليم

لقولهم إنهم بشر مثلهم (وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ) بالإيمان والنبوة كما من علينا (وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ) جواب لقولهم فأتونا بسلطان مبين والمعنى أن الإتيان بالآية التى قد اقترحتموها ليس إلينا ولا فى استطاعتنا وإنما هو أمر يتعلق بمشيئة الله تعالى (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ) أمر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به أنفسهم قصدا أوليا كأنهم قالوا ومن حقنا أن نتوكل على الله فى الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وإيذائكم ألا ترى إلى قوله (وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ) معناه وأى عذر لنا فى أن لانتوكل عليه (وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا) وقد فعل بنا مايوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل منا سبيله الذى يجب عليه سلوكه فى الدين قال أبو تراب: التوكل طرح البدن فى العبودية وتعلق القلب بالربوبية والشكر عند العطاء والصبر عند البلاء (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا) جواب قسم مضمر أى حلفوا على الصبر على أذاهم وأن لايمسكوا عن دعائهم (وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ) أى فليثبت المتوكلون على توكلهم حتى لا يكون تكرارا (وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ) سُبْلنا لرسْلهم أبو عمرو (لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ) من ديارنا (أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا) أى ليكونن أحد الأمرين إخراجكم أو عودكم وحلفوا على ذلك والعود بمعنى الصيرورة وهو كثير فى كلام العرب أو خاطبوا به كل رسول ومن آمن معه فغلبوا فى الخطاب الجماعة على الواحد (فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ) القول مضمر أو أجرى الإيحاء مجرى القول لأنه ضرب منه (وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ) أى أرض الظالمين وديارهم. فى الحديث «من آذى جاره ورثه الله داره» (ذَٰلِكَ) الاهلاك والاسكان أى ذلك الأمر حق (لِمَنْ خَافَ مَقَامِى) موقفى وهو موقف الحساب أو المقام مقحم أو خاف قيامى عليه بالعلم كقوله أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت والمعنى أن ذلك حق للمتقين (وَخَافَ وَعِيدِ) عذابى وبالياء يعقوب (وَٱسْتَفْتَحُوا۟) واستنصروا الله على أعدائهم وهو معطوف على أوحى إليهم (وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ) وخسر كل متكبر بطر (عَنِيدٍ) مجانب للحق. معناه فنصروا وظفروا وأفلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل الضمير للكفار ومعناه واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بأنهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل

جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (مِن وَرَآئِهِ) من بين يديه (جَهَنَّمُ) وهذا وصف حاله وهو فى الدنيا لأنه مرصد لجهنم فكأنها بين يديه وهو على شفيرها أو وصف حاله فى الآخرة حيث يبعث ويوقف (وَيُسْقَىٰ) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها مايلقى ويسقى (مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ) مايسيل من جلود أهل النار، وصديد عطف بيان لماء لأنه مبهم فبين بقوله صديد (يَتَجَرَّعُهُ) يشربه جرعة جرعة (وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ) ولايقارب أن يسيغه فكيف تكون الإساغة كقوله: لم يكد يراها أى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ) أى أسباب الموت من كل جهة أو من كل مكان من جسده وهذا تفظيع لما يصيبه من الآلام أى لو كان ثمة موت لكان كل واحد منها مهلكا (وَمَاهُوَ بِمَيِّتٍ) لأنه لو مات لاستراح (وَمِن وَرَآئِهِ) ومن بين يديه (عَذَابٌ غَلِيظٌ) أى فى كل وقت يستقبله يتلقى عذاباً أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الأنفاس وحبسها فى الأجساد (مَّثَلُ الَّذِينَ) مبتدأ محذوف الخبر أى فيما يتلى عليكم مثل الذين (كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ) والمثل مستعار للصفة التى فيها غرابة وقوله (أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ) جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل أعمالهم كرماد (اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ) الرياح مدنى (فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح كقولك. يوم ماطر، وأعمال الكفرة المكارم التى كانت لهم من صلة الأرحام وعتق الرقاب وفداء الأسرى وعقر الإبل للأضياف وغير ذلك شبهها فى حبوطها لبنائها على غير أساس وهو الإيمان بالله تعالى برماد طيرته الريح العاصف (لاَّ يَقْدِرُونَ) يوم القيامة (مِمَّا كَسَبُوا) من أعمالهم (عَلَىٰ شَىْءٍ) أى لايرون له أثراً من ثواب كما لايقدر من الرماد المطير فى الريح على شىء (ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَٰلُ الْبَعِيدُ) إشارة إلى بعد ضلالهم عن طريق الحق أو عن الثواب (أَلَمْ تَرَ) الم تعلم الخطاب لكل أحد (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) خالق مضافاً حمزة وعلى (بِالْحَقِّ) بالحكمة والأمر العظيم ولم يخلقها عبثاً (إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) أى هو قادر على أن يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقاً آخر على شكلهم أو على خلاف شكلهم اعلاما بأنه قادر على إعدام الموجود وإيجاد المعدوم (وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) بمتعذر (وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا) ويبرزون يوم القيامة وإنما جىء به بلفظ الماضى لأن ما أخبر به عز وجل لصدقه كأنه قد كان

ووجد . ونحوه ونادى أصحاب الجنة، ونادى أصحاب النار، وغير ذلك، ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شيء حتى يبرز له أنهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون أن ذلك خاف على الله فإذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه (فَقَالَ الضُّعَفَٰٓؤُا) فى الرأى وهم السفلة والأتباع وكتب الضعفاء بواو قبل الهمزة على لفظ من يفخم الألف قبل الهمزة فيميلها إلى الواو (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) وهم السادة والرؤساء الذين استغووهم وصدوهم عن الاستماع إلى الأنبياء وأتباعهم (إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا) تابعين. جمع تابع على تبع كخادم وخدم وغائب وغيب أوذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا (فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ) فهل تقدرون على دفع شيء مما نحن فيه ومن الأولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل فهل أنتم مغنون عنا بعض الشيء الذى هو عذاب الله أوهما للتبعيض أى فهل أنتم مغنون عنا بعض شيء هو بعض عذاب الله ولما كان قول الضعفاء توبيخا لهم وعتابا على استغوائهم لأنهم علموا أنهم لا يقدرون على الإغناء عنهم (قَالُوا) لهم مجيبين معتذرين (لَوْ هَدَىٰنَا اللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ) أى لوهدانا الله إلى الإيمان فى الدنيا لهديناكم إليه أو لوهدانا الله طريق النجاة من العذاب لهديناكم أى لأغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وأم للتسوية روى أنهم يقولون فى النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم الجزع فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلا ينفعهم الصبر ثم يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا واتصاله بما قبله من حيث إن عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا لهم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا يريدون أنفسهم وإياهم لاجتماعهم فى عقاب الضلالة التى كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة فى الجزع كما لا فائدة فى الصبر (مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ) منجى ومهرب جزعنا أم صبرنا ويجوز أن يكون هذا من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا (وَقَالَ الشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ) حكم بالجنة والنار لأهليهما وفرغ من الحساب ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وروى أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا على منبر من نار فيقول لأهل النار (إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ) وهو البعث والجزاء على الأعمال

فوفى لكم بما وعدكم (وَوَعَدتُّكُمْ) بأن لا بعث ولا حساب ولا جزاء (فَأَخْلَفْتُكُمْ) كذبتكم (وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ) من تسلط واقتدار (إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ) لكنى دعوتكم إلى الضلالة بوسوستى وتزيينى والاستثناء منقطع لأن الدعاء ليس من جنس السلطان (فَاسْتَجَبْتُمْ لِي) فأسرعتم إجابتى (فَلَا تَلُومُونِي) لأن من تجرد للعداوة لا يلام إذا دعا إلى أمر قبيح مع أن الرحمن قد قال لكم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة (وَلُومُوٓا أَنفُسَكُم) حيث اتبعتمونى بلا حجة ولا برهان وقول المعتزلة هذا دليل على أن الإنسان هو الذى يختار الشقاوة أو السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله إلا التمكين ولا من الشيطان إلا التزيين باطل لقوله لو هدانا الله أى إلى الإيمان لهدينا كم كامر (مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ) لا ينجى بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والإصراخ الإغاثة بمصرخىِّ حمزة اتباعا للخاء غيره بفتح الياء لئلا تجتمع الكسرة والياءان بعد كسرتين وهو جمع مصرخ فالياء الأولى ياء الجمع والثانية ضمير المتكلم (إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ) وبالياء بصرى وما مصدرية (مِن قَبْلُ) متعلق بأشركتمونى أى كفرت اليوم بإشراككم إياى مع الله من قبل هذا اليوم أى فى الدنيا كقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره بإشراكهم إياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أو من قبل متعلق بكفرت وما موصولة أى كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذى أشركتمونيه وهو الله عزوجل تقول أشركنى فلان أى جعلنى له شريكا ومعنى إشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الأوثان وهذا آخر قول الشيطان وقوله (إِنَّ الظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) قول الله عز وجل وقيل هو من تمام كلام إبليس وإنما حكى الله عز وجل ما سيقوله فى ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين (وَأُدْخِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا) عطف على برزوا (بِإِذْنِ رَبِّهِمْ) متعلق بأدخل أى أدخلتهم الملائكة الجنة بإذن الله وأمره (تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ) هو تسليم بعضهم على بعض فى الجنة أو تسليم الملائكة عليهم (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا) أى وصفه وبينه (كَلِمَةً طَيِّبَةً)

نصب بمضمر أى جعل كلمة طيبة (كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا نحو شرف الأمير زيداً كساه حلة وحمله على فرس أو انتصب مثلا وكلمة بضرب أى ضرب كلمة طيبة مثلا يعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على أنها خبر مبتدأ محذوف أى هى كشجرة طيبة (أَصْلُهَا ثَابِتٌ) أى فى الأرض ضارب بعروقه فيها (وَفَرْعُهَا) وأعلاها ورأسها (فِي السَّمَاءِ) والكلمة الطيبة كلمة التوحيد أصلها تصديق بالجنان وفرعها اقرار باللسان وأ كلها عمل الاركان وكما أن الشجرة شجرة وإن لم تكن حاملا فالمؤمن مؤمن وإن لم يكن عاملا ولكن الأشجار لاتراد إلا للثمار فما أقوات النار إلا من الأشجار إذا اعتادت الإخفار فى عهد الاثمار والشجرة كل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين ونحو ذلك والجمهور على أنها النخلة فعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم إن الله تعالى ضرب مثل المؤمن شجرة فأخبرونى ماهى فوقع الناس فى شجر البوادى وكنت صبياً فوقع فى قلبى أنها النخلة فهبت رسول الله ﷺ أن أقولها وأنا أصغر القوم فقال رسول الله ﷺ «ألا إنها النخلة» فقال عمر يابنى لو كنت قلتها لكانت أحب إلى من حمر النعم (تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ) تعطى ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (بِإِذْنِ رَبِّهَا) بتيسير خالقها وتكوينه (وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) لأن فى ضرب الأمثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعانى (وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ) هى كلمة الكفر (كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ) هى كل شجرة لايطيب ثمرها وفى الحديث أنها شجرة الحنظل (اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الْأَرْضِ) استؤصلت جثتها وحقيقة الاجتثاث أخذ الجثة كلها وهو فى مقابلة أصلها ثابت (مَالَهَا مِن قَرَارٍ) أى استقرار يقال قر الشىء قراراً كقولك ثبت ثبوتا شبه بها القول الذى لايعضد بحجة فهو داحض غير ثابت (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا) أى يديمهم عليه (بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ) هو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله (فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا) حتى إذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم أصحاب الأخدود وغير ذلك (وَفِي الْآخِرَةِ) الجمهور على أن المراد به فى القبر بتلقين الجواب وتمكين الصواب فعن البراء أن رسول الله ﷺ ذكر قبض روح المؤمن فقال «ثم تعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره فيقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبيى محمد ﷺ فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين

آمنوا بالقول الثابت ثم يقول الملكان عشت سعيداً ومت حميداً نم نومة العروس» (وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّٰلِمِينَ) فلا يثبتهم على القول الثابت فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم أول شىء وهم فى الآخرة أضل وأزل (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَآءُ) فلا اعتراض عليه فى تثبيت المؤمنين وإضلال الظالمين (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ) أى شكر نعمة الله (كُفْرًا) لأن شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر إلى الكفر وبدلوه تبديلا وهم أهل مكة أكرمهم بمحمد عليه السلام فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر (وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ) الذين تابعوهم على الكفر (دَارَ الْبَوَارِ) دار الهلاك (جَهَنَّمَ) عطف بيان (يَصْلَوْنَهَا) يدخلونها (وَبِئْسَ الْقَرَارُ) وبئس المقر جهنم (وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا) أمثالا فى العبادة أو فى التسمية (لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ) وبفتح الياء مكى وأبو عمرو (قُلْ تَمَتَّعُوا) فى الدنيا والمراد به الخذلان والتخلية وقال ذو النون التمتع أن يقضى العبد ما استطاع من شهوته (فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ) مرجعكم إليها (قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) خصهم بالإضافة إليه تشريفاً وبسكون الياء شامى وحمزة وعلى والأعشى (يُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ) القول محذوف لأن قل تقتضى مقولا وهو أقيموا وتقديره قل لهم أقيموا الصلاة وأنفقو يقيموا الصلاة وينفقوا وقيل إنه أمر وهو المقول والتقدير ليقيموا ولينفقوا فحذف اللام لدلالة قل عليه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز (سِرًّا وَعَلَانِيَةً) انتصبا على الحال أى ذوى سر وعلانية يعنى مسرين ومعلنين أو على الظرف أى وقتى سر وعلانية أو على المصدر أى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى إخفاء التطوع وإعلان الواجب (مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ) أى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا مخالة والخلال المخالة وإنما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله. بفتحهما مكى وبصرى والباقون بالرفع والتنوين (اللَّهُ) مبتدأ (الَّذِي خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ) خبره (وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً) من السحاب مطرا (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ) من الثمرات بيان للرزق أى أخرج به رزقاً هو ثمرات أو من الثمرات مفعول أخرج ورزقاً حال من المفعول (وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَٰرَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ) دائبين وهو حال من الشمس والقمر أى يدأبان فى سيرهما وإنارتهما ودرئهما الظلمات وإصلاحهما

مايصلحان من الأرض والأبدان والنبات (وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيلَ وَالنَّهَارَ) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وَءَاتَـٰكُم مِّن كُلِّ مَاسَأَلْتُمُوهُ) من للتبعيض أى آتاكم بعض جميع ماسألتموه أو وآتاكم من كل شىء سألتموه ومالم تسألوه فاموصولة والجملة صفة لها وحذفت الجملة الثانية لأن الباقى يدل على المحذوف كقوله سرابيل تقيكم الحر. من كلٍّ عن أبى عمرو وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال أى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه أوما موصولة أى وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم إليه فكأنكم سألتموه أوطلبتموه بلسان الحال (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَاتُحْصُوهَآ) لاتطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا إذا أرادوا أن يعدوها على الإجمال وأما التفصيل فلا يعلمه إلا الله (إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لَظَلُومٌ) بظلم النعمة باغفال شكرها (كَفَّارٌ) شديد الكفران لها أوظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع والإنسان للجنس فيتناول الإخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ) واذكر إذ قال إبراهيم (رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ) أى البلد الحرام (ءَامِنًا) ذا أمن والفرق بين هذه وبين مافى البقرة أنه قد سأل فيها أن يجعله من جملة البلدان التى يأمن أهلها وفى الثانى أن يخرجه من صفة الخوف إلى الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (وَاجْنُبْنِى) وبعدنى أى ثبتنى وأدمنى على اجتناب عبادتها كما قال واجعلنا مسلمين لك أى ثبتنا على الاسلام (وَبَنِىَّ) أراد بنيه من صلبه (أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ) من أن نعبد الأصنام (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ) جعلن مضلات على طريق التسبيب لأن الناس ضلوا بسببهن فكأنهن أضللنهم (فَمَن تَبِعَنِى) على ملتى وكان حنيفاً مسلما مثلى (فَإِنَّهُ مِنِّى) أى هو بعضى لفرط اختصاصه بى (وَمَنْ عَصَانِى) فيما دون الشرك (فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) أو ومن عصانى عصيان شرك فإنك غفور رحيم إن تاب وآمن (رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى) بعض أولادى وهم إسمعيل ومن ولد منه (بِوَادٍ) هو واد مكة (غَيْرِ ذِى زَرْعٍ) لا يكون فيه شىء من زرع قط (عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) هو بيت الله سمى به لأن الله تعالى حرم التعرض له والتهاون به وجعل ماحوله حرما لمكانه أو لأنه لم يزل ممنعاً يهابه كل جبار أو لأنه محترم عظيم الحرمة لايحل انتهاكها أو لأنه حرم على الطوفان أى منع منه كما سمى عتيقا لأنه أعتق منه (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ) اللام متعلقة بأسكنت أى ما أسكنتهم بهذا الوادى البلقع إلا

ليقيموا الصلاة عنـد بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك (فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ) أفئدة من أفئدة الناس ومن للتبعيض لما روى عن مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم عليه فارس والروم والترك والهند أو للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبي فكأنه قيل أفئدة ناس ونـكرت المضاف إليه فى هذا التمثيل لتنكير أفئدة لأنها فى الآية نـكرة ليتناول بعض الأفئدة (تَهْوِيَ إِلَيْهِمْ) تسرع إليهم من البلاد الشاسعة وتطير نحوهم شوقاً (وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ) مع سكناهم واديا مافيه شىء منها بأن تجلب إليهم من البلاد الشاسعة (لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) النعمة فى أن يرزقوا أنواع الثمرات فى واد ليس فيه شجر ولا ماء (رَبَّنَا) النداء المـكرر دليل التضرع والالتجا إلى الله (إِنَّكَ تَعْلَمُ مَانُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ) تعلم السر كما تعلم العلن (وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) من كلام الله عز وجل تصديقاً لابراهيم عليه السلام أو من كلام إبراهيم ومن للاستغراق كأنه قيل وما يخفى على الله شىء ما (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ) على بمعنى مع وهو فى موضع الحال أى وهب لى وأنا كبير (إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ) روى أن إسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحق وهو ابن مائة وثنتى عشرة سنة وروى أنه ولد له إسمعيل لأربع وستين وإسحق لتسعين وإنما ذكر حال الـكبر لأن المنة بهبة الولد فيها أعظم لأنها حال وقوع اليأس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب اليأس من أجل النعم ولأن الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ) مجيب الدعاء من قولك سمع الملك كلام فلان إذا تلقاه بالاجابة والقبول ومنه سمع الله لمن حمده وكان قد دعا ربه وسأله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر الله ما أكرمه به من إجابته وإضافة السميع إلى الدعاء من إضافة الصفة إلى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا فى جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا رحيم أباه (رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي) وبعض ذريتى عطفا على المنصوب فى اجعلنى وإنما بعض لأنه علم بأعلام الله أنه يكون فى ذريته كفار، عن ابن عباس رضى الله عنهما لايزال من ولد إبراهيم ناس على الفطرة إلى أن تقوم الساعة (رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ) بالياء فى الوصل والوقف مكى، وافقه أبو عمرو وحمزة فى الوصل الباقون بلاياء أى استجب دعائى أو عبادتى وأعتزلـكم وماتدعون من دون الله (رَبَّنَا اغْفِرْ لِي

(وَلِوَالِدَيَّ) أى آدم وحواء أوقاله قبل النهى واليأس عن إيمان أبويه (وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ) أى يثبت أو أسند إلى الحساب قيام أهله اسنادا مجازيا مثل واسأل القرية (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ) تسلية للمظلوم وتهديد للظالم والخطاب لغير الرسول عليه السلام وإن كان للرسول فالمراد تثبيته عليه السلام على ماكان عليه من أنه لايحسب الله غافلا كقوله: ولاتكونن من المشركين، ولا تدع مع الله إلها آخر وكما جاء فى الأمر يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله وقيل المراد به الإيذان بأنه عالم بما يفعل الظالمون لايخفى عليه منه شىء وأنه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم (إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ) أى عقوبتهم (لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) أى أبصارهم لاتقر فى أماكنها من هول ماترى (مُهْطِعِينَ) مسرعين إلى الداعى (مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ) رافعيها (لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ) لا يرجع إليهم نظرهم فينظروا إلى أنفسهم (وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ) صفر من الخير لاتعى شيئا من الخوف والهواء الخلاء الذى لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل: قلب فلان هواء إذا كان جبانا لاقوة فى قلبه ولا جراءة وقيل: جوف لاعقول لهم (وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ) أى يوم القيامة ويوم مفعول ثان لأنذر لاظرف إذ الانذار لا يكون فى ذلك اليوم (فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) أى الكفار (رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ) أى ردنا إلى الدنيا وأمهلنا إلى أمد وحد من الزمان قريب نتدارك مافرطنا فيه من إجابة دعوتك واتباع رسلك فيقال لهم (أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ) أى حلفتم فى الدنيا أنكم إذا متم لاتزالون عن تلك الحالة ولا تنتقلون إلى دار أخرى يعنى كفرتم بالبعث كقوله وأقسموا بالله جهد إيمانهم لايبعث الله من يموت ومالكم جواب القسم وإنما جاء بلفظ الخطاب لقوله أقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا من زوال أو أريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل أو يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى فإنهم يسألون يومئذ أن يؤخرهم ربهم إلى أجل قريب. يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه (وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر لأن السكنى من السكون وهو اللبث والأصل تعديته بفى نحو قر فى الدار وأقام فيها ولكنه لما نقل إلى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها ويجوز أن يكون سكنوا من السكون

أى قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم فى الظلم والفساد لايحدثونها بما لقى الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا ويرتدعوا (وَتَبَيَّنَ لَكُمْ) بالأخبار أو المشاهدة وفاعل تبين مضمر دل عليه الكلام أى تبين لكم حالهم و (كَيْفَ) ليس بفاعل لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله وإنما نصب كيف بقوله (فَعَلْنَا بِهِمْ) أى أهلكناهم وانتقمنا منهم (وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ) أى صفات ما فعلوا وما فعل بهم وهى فى الغرابة كالأمثال المضروبة لكل ظالم (وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ) أى مكرهم العظيم الذى استفرغوا فيه جهدهم وهو مافعلوه من تأييد الكفر وبطلان الإسلام (وَعِندَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ) وهو مضاف إلى الفاعل كالأول والمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو أعظم منه أو إلى المفعول أى عند الله مكرهم الذى يمكرهم به وهو عذابهم الذى يأتيهم من حيث لا يشعرون (وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ) بكسر اللام الأولى ونصب الثانية والتقدير وإن وقع مكرهم لزوال أمر النبي ﷺ فعبر عن النبي عليه السلام بالجبال لعظم شأنه وكان تامة وإن نافية واللام مؤكدة لها كقوله وما كان الله ليعذبهم والمعنى ومحال أن تزول الجبال بمكرهم على أن الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لأنها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا دليله قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وبفتح اللام الأولى ورفع الثانية علىّ، أى وإن كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقطع عن أمكانها فإن مخففة من إن واللام مؤكدة (فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ) يعنى قوله إنا لننصر رسلنا كتب الله لأغلبن أنا ورسلي . مخلف مفعول ثان لتحسبن وأضاف مخلف إلى وعده وهو المفعول الثانى له والأول رسله والتقدير مخلف رسله وعده وإنما قدم المفعول الثانى على الأول ليعلم أنه لايخلف الوعد أصلا كقوله إن الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن أنه إذا لم يخلف وعده أحدا فكيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) غالب لا يماكر (ذُو انتِقَامٍ) لأوليائه من أعدائه وانتصاب (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَٰوٰتُ) على الظرف للانتقام أو على إضمار اذكر والمعنى يوم تبدل هذه الأرض التى تعرفونها أرضا أخرى غيرهذه المعروفة وتبدل السماوات غير السماوات وإنما حذف لدلالة ما قبله عليه والتبديل التغيير وقد

يكون فى الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير وفى الأوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما إذا أذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل إلى شكل واختلف فى تبديل الأرض والسماوات فقيل تبدل أوصافها وتسير عن الأرض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى تلك الأرض وإنما تغير. وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها أبوابا وقيل تخلق بدلها أرض وسماوات أخر وعن ابن مسعود رضى الله عنه يحشر الناس على أرض بيضاء لم يخطىء عليها أحد خطيئة وعن على رضى الله عنه تبدل أرضا من فضة وسماوات من ذهب (وَبَرَزُوا) وخرجوا من قبورهم (لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لأن الملك إذا كان لواحد غلاب لا يغالب فلا مستغاث لأحد إلى غيره كان الأمر فى غاية الشدة (وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (مُقَرَّنِينَ) قرن بعضهم مع بعض أو مع الشياطين أو قرنت أيديهم إلى أرجلهم مغللين (فِي الْأَصْفَادِ) متعلق بمقرنين أى يقرنون فى الأصفاد أو غير متعلق به والمعنى مقرنين مصفدين، والأصفاد القيود أو الأغلال (سَرَابِيلُهُم) قمصهم (مِّن قَطِرَانٍ) هو مايتحلب من شجر يسمى الأبهل فيطبخ فيهنأ به الإبل الجربى فيحرق الجرب بحدته وحره ومن شأنه أن يسرع فيه اشتعال النار وهو أسود اللون منتن الريح فيطلى به جلود أهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل ليجتمع عليهم لذع القطران وحرقته وإسراع النار فى جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على أن التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله أو أوعد به فى الآخرة فبينه وبين مانشاهد من جنسه مالا يقادر قدره وكأنه ماعندنا منه إلا الأسامى والمسميات ثمة نعوذ بالله من سخطه وعذابه من قطرآن زيد عن يعقوب نحاس مذاب بلغ حره إناه (وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) تعلوها باشتعالها وخص الوجه لأنه أعز موضع فى ظاهر البدن كالقلب فى باطنه ولذا قال تطلع على الأفئدة (لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ) أى يفعل بالمجرمين مايفعل ليجزى كل نفس مجرمة ما كسبت أو كل نفس من مجرمة أو مطيعة لأنه إذا عاقب المجرمين لإجرامهم علم أنه يثيب المؤمنين بطاعتهم (إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) يحاسب جميع العباد فى أسرع من لمح البصر (هَٰذَا) أى ماوصفه فى قوله ولا تحسبن إلى قوله سريع الحساب (بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ) كفاية فى التذكير والموعظة (وَلِيُنذَرُوا

بِهِۦ) بهذا البلاغ وهو معطوف على محذوف أى لينصحوا ولينذروا (وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ) لأنهم إذا خافوا ما أنذروا به دعتهم المخافة إلى النظر حتى يتوصلوا إلى التوحيد لأن الخشية أم الخير كله (وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا ٱلْأَلْبَٰبِ) ذوو العقول .

﴿ سورة الحجر تسع وتسعون آية مكية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ) تلك إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل فى كونه كتابا وأى قرآن مبين كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال وللغرابة فى البيان (رُّبَمَا) بالتخفيف مدنى وعاصم وبالتشديد غيرهما وما هى الكافة لأنها حرف يجر مابعده ويختص بالاسم النكرة فإذا كفت وقع بعدها الفعل الماضى والاسم وإنما جاز (يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا) لأن المترقب فى إخبار الله تعالى بمنزلة الماضى المقطوع به فى تحققه فكأنه قيل ربما ود وودادتهم تكون عند النزع أو يوم القيامة إذا عاينوا حالهم وحال المسلمين أو إذا رأوا المسلمين يخرجون من النار فيتمنى الكافر لو كان مسلما كذا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما (لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ) حكاية ودادتهم وإنما جيء بها على لفظ الغيبة لأنهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا وإنما قلل برب لأن أهوال القيامة تشغلهم عن التمنى فإذا أفاقوا من سكرات العذاب ودوا لو كانوا مسلمين وقول من قال إن رب يعنى بها الكثرة سهو لأنه ضد مايعرفه أهل اللغة لأنها وضعت للتقليل (ذَرْهُمْ) أمر إهانة أى اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهى عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا) بدنياهم (وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ) ويشغلهم أملهم وأمانيهم عن الإيمان (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) سوء صنيعهم وفيه تنبيه على أن إيثار التلذذ والتنعم وما يؤدى إليه طول الأمل ليس من أخلاق المؤمنين (وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ) ولها كتاب جملة واقعة صفة لقرية والقياس أن لا يتوسط الواو بينهما كما فى وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون وإنما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف إذ الصفة ملتصقة بالموصوف

بلا واو فجيء بالواو تأكيدا لذلك والوجه أن تكون هذه الجملة حالا لقرية لكونها فى حكم الموصوفة كأنه قيل وما أهلكنا قرية من القرى لا وصفا وقوله كتاب معلوم أى مكتوب معلوم وهو أجلها الذى كتب فى اللوح المحفوظ وبين ألا ترى إلى قوله (مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) فى موضع كتابها (وَمَا يَسْتَئْخِرُونَ) أى عنه وحذف لأنه معلوم وأنث الأمة أولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى (وَقَالُوا) أى الكفار (يَـٰأَيُّهَا الَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ) أى القرآن (إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ) يعنون محمدا عليه السلام وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه إلى الجنون والتعكيس فى كلامهم للاستهزاء والتهكم سائغ ومنه فبشرهم بعذاب أليم. إنك لأنت الحليم الرشيد والمعنى إنك لتقول قول المجانين حيث تدعى أن الله نزل عليك الذكر (لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَـٰئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّـٰدِقِينَ) لو ركبت مع لا وما لامتناع الشىء لوجود غيره أو للتحضيض وهل ركبت مع لا للتحضيض فحسب والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك إن كنت صادقا (مَا نُنَزِّلُ الْمَلَـٰئِكَةَ) كوفى غير أبى بكر، تُنَزَّل الملائكة أبو بكر تَنَزَّل الملائكة أى تتنزل غيرهم (إِلَّا بِالْحَقِّ) إلا تنزيلا ملتبسا بالحكمة (وَمَا كَانُوا إِذًا مُّنظَرِينَ) إذا جواب لهم وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين إذا وما أخر عذابهم (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ) للقرآن (وَإِنَّا لَهُ لَحَـٰفِظُونَ) وهو رد لإنكارهم واستهزائهم فى قولهم ياأيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك قال إنا نحن فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع وأنه هو الذى نزله محفوظا من الشياطين وهو حافظه فى كل وقت من الزيادة والنقصان والتحريف والتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فوقع التحريف ولم يكل القرآن إلى غير حفظه وقد جعل قوله وإنا له لحافظون دليلا على أنه منزل من عنده آية إذ لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه أو الضمير فى له لرسول الله ﷺ كقوله والله يعصمك (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ الْأَوَّلِينَ) أى ولقد أرسلنا من قبلك رسلا فى الفرق الأولين، والشيعة: الفرقة إذا اتفقوا على مذهب وطريقة (وَمَا يَأْتِيهِم) حكاية

حال ماضية لأن مالا تدخل على المضارع إلا وهو فى معنى الحال ولا على ماض إلا وهو قريب من الحال (مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) يعزى نبيه عليه السلام (كَذَٰلِكَ) نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ) أى كما سلكنا الكفر أو الاستهزاء فى شيع الأولين نسلكه أى الكفر أو الاستهزاء فى قلوب المجرمين من أمتك من اختار ذلك يقال سلكت الخيط فى الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها وهو حجة على المعتزلة فى الأصلح وخلق الأفعال (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ) بالله أو بالذكر وهو حال (وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) مضت طريقتهم التى سنها الله فى إهلاكهم حين كذبوا رسله وهو وعيد لأهل مكة على تكذيبهم (وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ) ولو أظهرنا لهم أوضح آية وهو فتح باب من السماء (فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ) يصعدون (لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) حيرت أو حبست من الإبصار من السكر أو من السكر، سكرت مكى أى حبست كما يحبس النهر من الجرى والمعنى أن هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم فى العناد أن لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه إليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شىء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا (بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ) قد سحرنا محمد بذلك أو الضمير للملائكة أى لو أريناهم الملائكة يصعدون فى السماء عيانا لقالوا ذلك وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال إنما ليدل على أنهم يبتون القول بأن ذلك ليس إلا تسكيرا للأبصار (وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ) خلقنا فيها (بُرُوجًا) نجوما أو قصورا فيها الحرس أو منازل للنجوم (وَزَيَّنَّاهَا) أى السماء (لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا) أى السماء (مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ) ملعون أو مرمى بالنجوم (إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ) أى المسموع ومن فى محل النصب على الاستثناء (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) نجم ينقض فيعود (مُّبِينٌ) ظاهر للمبصرين قيل كانوا لا يحجبون عن السماوات كلها فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات فلما ولد محمد ﷺ منعوا من السماوات كلها (وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا) بسطناها من تحت الكعبة، والجمهور على أنه تعالى مدها على وجه الماء (وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ) فى الأرض جبالا ثوابت (وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا تصلح فيه زيادة ولا نقصان أوله وزن وقدر فى أبواب المنفعة والنعمة أو ما يوزن كالزعفران والذهب والفضة والنحاس

والحديد وغيرها وخص ما يوزن لانتهاء الكيل إلى الوزن (وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا) فى الأرض (مَعَايِشَ) ما يعاش به من المطاعم جمع معيشة وهى بياء صريحة بخلاف الخبائث ونحوها فإن تصريح الياء فيها خطأ (وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ) من فى محل النصب بالعطف على معايش أو على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين أوجعلنا لكم فيها معايش ولمن لستم له برازقين وأراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يظنون أنهم يرزقونهم ويخطئون فإن الله هو الرزاق يرزقهم وإياهم ويدخل فيه الأنعام والدواب ونحوذلك ولايجوز أن يكون محل من جرا بالعطف على الضمير المجرور فى لكم لأنه لايعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار (وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ) ذكر الخزائن تمثيل والمعنى ومامن شىء ينتفع به العباد إلا ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه والإنعام به ومانعطيه إلا بمقدار معلوم فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ) جمع لاقحة أى وأرسلنا الرياح حوامل بالسحاب لأنها تحمل السحاب فى جوفها كأنها لاقحة بها من لقحت الناقة حملت وضدها العقيم. الريح حمزة (فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ) فجعلناه لكم سقيا (وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ) نفى عنهم ماأثبته لنفسه فى قوله: وإن من شىء إلاعندنا خزائنه كأنه قال نحن الخازنون للماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وإنزاله منها وما أنتم عليه بقادرين دلالة عظيمة على قدرته وعجزهم (وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ) أى نحيي بالإيجاد ونميت بالإفناء أونميت عند انقضاء الآجال ونحيي لجزاء الأعمال على التقديم والتأخير إذالواو للجمع المطلق (وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ) الباقون بعد هلاك الخلق كلهم وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لأنه يبقى بعدفنائه (وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ) من تقدم ولادة وموتا ومن تأخر أو من خرج من أصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد أو من تقدم فى الإسلام أو فى الطاعة أو فى صف الجماعة أو فى صف الحرب ومن تأخر (وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ) أى هو وحده يقدر على حشرهم ويحيط بحصرهم (إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) باهر الحكمة واسع العلم (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ) أى آدم (مِن صَلْصَالٍ) طين يابس غير مطبوخ (مِّنْ حَمَإٍ) صفة لصلصال أى خلقه من صلصال كائن من حمإ أى طين أسود متغير (مَّسْنُونٍ) مصور

وفى الأول كان ترابا فعجن بالماء فصار طينا فمكث فصار حمأ فخلص فصار سلالة فصور ويبس فصار صلصالا فلا تناقض (وَالْجَانَّ) أبا الجن كآدم للناس أو هو إبليس وهو منصوب بفعل مضمر يفسره (خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ) من قبل آدم (مِن نَّارِ السَّمُومِ) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ) واذكر وقت قوله (لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ) أتممت خلقته وهيأتها لنفخ الروح فيها (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى) وجعلت فيه الروح وأحييته وليس ثمة نفخ وإنما هو تمثيل والإضافة للتخصيص (فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ) هو أمر من وقع يقع أى اسقطوا على الأرض يعنى اسجدوا له ودخل الفاء لأنه جواب إذا وهو دليل على أنه يجوز تقدم الأمر عن وقت الفعل (فَسَجَدَ الْمَلَٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فالملائكة جمع عام محتمل للتخصيص فقطع باب التخصيص بقوله كلهم وذكر الكل احتمل تأويل التفرق فقطعه بقوله أجمعون (إِلَّآ إِبْلِيسَ) ظاهر الإستثناء يدل على أنه كان من الملائكة لأن المستثنى يكون من جنس المستثنى منه وعن الحسن أن الاستثناء منقطع ولم يكن هو من الملائكة قلنا غير المأمور لا يصير بالترك ملعونا وقال فى الكشاف كان بينهم مأمورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم إلا هندا (أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ) امتنع أن يكون معهم وأبى استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل أبى ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن إبليس أبى (قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ) حرف الجر مع أن محذوف تقديره مالك فى أن لا تكون مع الساجدين أى أى غرض لك فى إبائك السجود (قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ) اللام لتأكيد النفى أى لا يصح منى أن أسجد (لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا) من السماء أو من الجنة أو من جملة الملائكة (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود من رحمة الله ومعناه ملعون لأن اللعنة هو الطرد من الرحمة والإبعاد منها (وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ) ضرب يوم الدين حدا للعنة لأنه أبعد غاية يضربها الناس فى كلامهم والمراد به إنك مذموم مدعو عليك باللعنة فى السماوات والأرض إلى يوم الدين من غير أن تعذب فإذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه (قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ) فأخرنى (إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) يوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة وقيل إنما سأل الإنظار إلى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لأنه لا يموت يوم البعث أحد فلم يجب إلى ذلك وأنظر إلى آخر أيام التكليف (قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى) الباء للقسم ومامصدرية وجواب القسم لأزينن لهم ومعنى أقسم بإغوائك إياى (لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ) المعاصى ونحوه قوله بماأغويتنى لأزينن لهم. فبعزتك لأغوينهم فى أنه اقسام إلا أن أحدهما اقسام بصفه الذات والثانى بصفة الفعل وقد فرق الفقهاء بينهما فقال العراقيون الحلف بصفة الذات كالقدرة والعظمة والعزة يمين والحلف بصفة الفعل كالرحمة والسخط ليس بيمين والأصح أن الأيمان مبنية على العرف فماتعارف الناس الحلف به يكون يمينا ومالا فلاوالآية حجة على المعتزلة فى خلق الأفعال. وحملهم على التسبيب عدول عن الظاهر (فِى الْأَرْضِ) فى الدنيا التى هى دار الغرور وأراد إنى أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الأكل من الشجرة وهو فى السماء فأنا على التزيين لأولاده فى الأرض أقدر (وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) وبكسر اللام بصرى ومكى وشامى استثنى المخلصين لأنه علم أن كيده لايعمل فيهم ولايقبلونه منه (قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) أى هذا طريق حق علىّ أن أراعيه وهو أن لا يكون لك سلطان على عبادى إلا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقيل معنى على إلى. علىٌّ يعقوب من علو الشرف والفضل (وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ) الضمير للغاوين (لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ) من أتباع إبليس (جُزْءٌ مَّقْسُومٌ) نصيب معلوم مفرز قيل أبواب النار أطباقها وأدراكها فأعلاها للموحدين يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون والثانى لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع للمنافقين (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ) وبضم العين مدنى وبصرى وحفص. المتقى على الإطلاق من يتقى مايجب اتقاؤه مما نهى عنه وقال فى الشرح إن دخل أهل الكبائر فى قوله لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم فالمراد بالمتقين الذين اتقوا الكبائر وإلا فالمراد به الذين اتقوا الشرك (ادْخُلُوهَا) أى يقال لهم ادخلوها (بِسَلَٰمٍ) حال أى سالمين أو مسلماً

عليكم تسلم عليكم الملائكة (ءامِنِينَ) من الخروج منهما والآفات فيها وهو حال أخرى (وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ) وهو الحقد الكامن فى القلب أى إن كان لأحدهم غل فى الدنيا على آخر نزع الله ذلك فى الجنة من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن على رضى الله عنه : أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم وقيل معناه طهر الله قلوبهم من أن يتحاسدوا على الدرجات فى الجنة ونزع منها كل غل وألقى فيها التوادد والتحابب (إِخْوَانًا) حال (عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ) كذلك قيل تدور بهم الأسرة حيثما داروا فيكونون فى جميع أحوالهم متقابلين يرى بعضهم بعضاً (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ) فى الجنة تعب (وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ) فتمام النعمة بالخلود، ولما أتم ذكر الوعد والوعيد أتبعه (نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ) تقريراً لما ذكر وتمكينا له فى النفوس قال عليه السلام «لو يعلم العبد قدر عفو الله لما تورع عن حرام ولو يعلم قدر عذابه لبخع نفسه فى العبادة ولما أقدم على ذنب» وعطف (وَنَبِّئْهُمْ) وأخبر أمتك. عطفه على نبىء عبادى ليتخذوا ما أحل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده أن عذابه هو العذاب الأليم (عَن ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ) أى أضيافه وهو جبريل عليه السلام مع أحد عشر ملكا والضيف يجىء واحدا وجمعا لأنه مصدر ضافه (إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا) أى نسلم عليك سلاما أو سلمنا سلاما (قَالَ) أى إبراهيم (إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ) خائفون لامتناعهم من الأكل أو لدخولهم بغير إذن وبغير وقت (قَالُوا لَا تَوْجَلْ) لا تخف (إِنَّا نُبَشِّرُكَ) استئناف فى معنى التعليل للنهى عن الوجل أى إنك مبشر آمن فلا توجل. وبالتخفيف وفتح النون حمزة (بِغُلَامٍ عَلِيمٍ) هو إسحق لقوله فى سورة هود فبشرناها بإسحق (قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ) أى أبشرتمونى مع مس الكبر بأن يولد لى أى أن الولادة أمر مستنكر عادة مع الكبر (فَبِمَ تُبَشِّرُونَ) هى ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كأنه قيل فبأى أعجوبة تبشرون ، وبكسر النون والتشديد مكى والأصل تبشروننى فأدغم نون الجمع فى نون العماد ثم حذفت الياء وبقيت الكسرة دليلا عليها. تبشرون بالتخفيف نافع والأصل تبشروننى فحذفت الياء اجتزاء بالكسرة وحذف نون الجمع لاجتماع النونين، والباقون بفتح النون وحذف المفعول والنون نون الجمع (قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ) باليقين الذى لا لبس فيه (فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ)

من الآيسين من ذلك (قَالَ) إبراهيم (وَمَن يَقْنَطُ) وبكسر النون بصرى وعلى (مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ) إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا الكافرون كقوله: إنه لاييأس من روح الله إلاالقوم الكافرون أى لم أستنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعاداً له فى العادة التى أجراها (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ) فما شأنكم (أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ) أى قوم لوط (إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ) يريد أهله المؤمنين والاستثناء منقطع لأن القوم موصوفون بالإجرام والمستثنى ليس كذلك أومتصل فيكون استثناء من الضمير فى مجرمين كأنه قيل إلى قوم قدأجرموا كلهم إلا آل لوط وحدهم والمعنى يختلف باختلاف الاستثناءين لأن آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الإرسال يعنى أنهم أرسلوا إلى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا إلى آل لوط أصلا ومعنى إرسالهم إلى القوم المجرمين كإرسال السهم إلى المرمى فى أنه فى معنى التعذيب والاهلاك كأنه قيل إنا أهلكنا قوماً مجرمين ولكن آل لوط أنجيناهم وأمافى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال يعنى أن الملائكة أرسلوا إليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء وإذا انقطع الاستثناء جرى (إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ) مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لأن المعنى لكن آل لوط منجون وإذا اتصل كان كلاما مستأنفا كأن ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا إنا لمنجوهم (إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ) مستثنى من الضمير المجرور فى لمنجوهم وليس باستثناء من الاستثناء لأن الاستثناء من الاستثناء إنما يكون فيما اتحد الحكم فيه بأن يقول أهلكناهم إلا آل لوط إلاامرأته وهنا قداختلف الحكمان لأن إلا آل لوط متعلق بأرسلنا أو بمجرمين وإلا امرأته متعلق بمنجوهم فكيف يكون استثناء من استثناء. لمنجوهم بالتخفيف حمزة وعلى (قَدَّرْنَآ) وبالتخفيف أبو بكر (إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَـٰبِرِينَ) الباقين فى العذاب قيل لولم تكن اللام فى خبرها لوجب فتح إن لأنه مع اسمه وخبره مفعول قدرنا ولكنه كقوله ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ولم يقولوا قدر الله لقربهم كما يقول خاصة الملك أمرنا بكذا والآمر هو الملك (فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ) أى لاأعرفكم أى ليس عليكم زى السفر ولا أنتم من أهل الحضر فأخاف أن تطرقونى بشر (قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَـٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ) أى ماجئناك بما تنكرنا لأجله بل جئناك بما فيه سرورك وتشفيك

من أعدائك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه أى يشكون ويكذبونك (وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ) باليقين من عذابهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) فى الإخبار بنزوله بهم (فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ) فى آخر الليل أو بعد مايمضى شىء صالح من الليل (وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ) وسر خلفهم لتكون مطلعا عليهم وعلى أحوالهم (وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ) لئلا يروا ماينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم أو جعل النهى عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التوانى والتوقف لأن من يلتفت لابد له فى ذلك من أدنى وقفة (وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ) حيث أمركم الله بالمضى إليه وهو الشام أومصر (وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ) عدى قضينا بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا كأنه قيل وأوحينا إليه مقضياً مبتوتاً وفسر ذلك الأمر بقوله (أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ) وفى إبهامه وتفسيره تفخيم للأمر ودابرهم آخرهم أى يستأصلون عن آخرهم حتى لايبقى منهم أحد (مُّصْبِحِينَ) وقت دخولهم فى الصبح وهو حال من هؤلاء (وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ) سدوم التى ضرب بقاضيها المثل فى الجور (يَسْتَبْشِرُونَ) بالملائكة طمعاً منهم فى ركوب الفاحشة (قَالَ) لوط (إِنَّ هَٰؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ) بفضيحة ضيفى لأن من أساء إلى ضيفى فقد أساء إلىّ (وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ) أى ولا تذلونى بإذلال ضيفى من الخزى وهو الهوان. وبالياء فيهما يعقوب (قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ) عن أن تجير منهم أحداً أو تدفع عنهم فإنهم كانوا يتعرضون لكل أحد وكان عليه السلام يقوم بالنهى عن المنكر والحجز بينهم وبين التعرض له فأوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن من المخرجين أو عن ضيافة الغرباء (قَالَ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي) فانكحوهن وكان نكاح المؤمنات من الكفار جائزا ولا تتعرضوا لهم (إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) إن كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما أحل الله دون ماحرم فقالت الملائكة للوط عليه السلام (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ) أى فى غوايتهم التى أذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطإ الذى هم عليه وبين الصواب الذى تشير به عليهم من ترك البنين إلى البنات (يَعْمَهُونَ) يتحيرون فيكيف يقبلون قولك ويصغون إلى نصيحتك أو الخطاب لرسول الله ﷺ وهو قسم بحياته وما أقسم بحياة أحد قط تعظيما له والعُمر والعَمر واحد وهو البقاء إلا أنهم خصوا القسم بالمفتوح إيثارا للأخف لكثرة دور الحلف على ألسنتهم ولذا حذفوا الخبر وتقديره لعمرك قسمى (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ)

صيحة جبريل عليه السلام (مُشْرِقِينَ) داخلين فى الشروق وهو بزوغ الشمس (فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا) رفعها جبريل عليه السلام إلى السماء ثم قلبها والضمير لقرى قوم لوط (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ) للمتفرسين المتأملين كأنهم يعرفون باطن الشىء بسمة ظاهرة (وَإِنَّهَا) وإن هذه القرى يعنى آثارها (لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ) ثابت يسلكه الناس لم يندرس بعد. وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) لأنهم المنتفعون بذلك (وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ) وإن الأمر والشأن كان أصحاب الأيكة أى الغيضة (لَظَٰلِمِينَ) لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام (فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فأهلكناهم لما كذبوا شعيباً (وَإِنَّهُمَا) يعنى قرى قوم لوط والأيكة (لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ) لبطريق واضح والإمام اسم ما يؤتم به فسمى به الطريق ومطمر البناء لأنهما مما يؤتم به (وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ) هم ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام المرسلين يعنى بتكذيبهم صالحاً لأن كل رسول كان يدعو إلى الإيمان بالرسل جميعاً فمن كذب واحدا منهم فكأنما كذبهم جميعاً أو أراد صالحاً ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون فى ابن الزبير وأصحابه (وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) أى أعرضوا عنها ولم يؤمنوا بها (وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) أى ينقبون فى الجبال بيوتاً أو يبنون من الحجارة (ءَامِنِينَ) لوثاقة البيوت واستحكامها من أن تنهدم ومن نقب اللصوص والأعداء أو آمنين من عذاب الله يحسبون أن الجبال تحميهم منه (فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ) العذاب (مُصْبِحِينَ) فى اليوم الرابع وقت الصبح (فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ) من بناء البيوت الوثيقة واقتناء الأموال النفيسة (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ) إلا خلقا ملتبسا بالحق لا باطلا وعبثا أو بسبب العدل والإنصاف يوم الجزاء على الأعمال (وَإِنَّ السَّاعَةَ) أى القيامة لتوقعها كل ساعة (لَأَتِيَةٌ) وإن الله ينتقم لك فيها من أعدائك ويجازيك وإياهم على حسناتك وسيئاتهم فإنه ما خلق السموات والأرض وما بينهما إلا لذلك (فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ) فاعرض عنهم إعراضا جميلا بحلم وإغضاء قيل هو منسوخ بآية السيف وإن أريد به المخالفة فلا يكون منسوخا (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّٰقُ) الذى خلقك وخلقهم (الْعَلِيمُ)

بحالك وحالهم فلا يخفى عليه مايجرى بينكم وهو يحكم بينكم (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ سَبْعاً) أى سبع آيات وهى الفاتحة أو سبع سور وهى الطوال واختلف فى السابعة فقيل الأنفال وبراءة لأنهما فى حكم سورة بدليل عدم التسمية بينهما وقيل سورة يونس أو أسباع القرآن (مِّنَ ٱلْمَثَانِى) هى من التثنية وهى التكرير لأن الفاتحة مما يتكرر فى الصلاة أو من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله والواحدة مثناة أو مثنية صفة للآية وأما السور والأسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد ولما فيها من الثناء كأنها تثنى على الله وإذا جعلت السبع مثانى فمن للتبيين وإذا جعلت القرآن مثانى فمن للتبعيض (وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ) هذا ليس بعطف الشيء على نفسه لأنه إذا أريد بالسبع الفاتحة أو الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لأنه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل دليله قوله بما أوحينا إليك هذا القرآن يعنى سورة يوسف وإذا أريد به الأسباع فالمعنى ولقد آتيناك مايقال له السبع المثانى والقرآن العظيم أى الجامع لهذين النعتين وهو التثنية أو الثناء والعظم ثم قال لرسوله (لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ) أى لاتطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (إِلَىٰ مَامَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجاً مِّنْهُمْ) أصنافا من الكفار كاليهود والنصارى والمجوس يعنى قد أوتيت النعمة العظمى التى كل نعمة وإن عظمت فهى إليها حقيرة وهى القرآن العظيم فعليك أن تستغنى به ولا تمدن عينيك إلى متاع الدنيا وفى الحديث «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» وحديث أبى بكر «من أوتى القرآن فرأى أن أحداً أوتى من الدنيا أفضل مما أوتى فقد صغر عظيما وعظم صغيراً» (وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ) أى لاتتمن أموالهم ولا تحزن عليهم أنهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الإسلام والمسلمون (وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ) وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وطب نفساً عن إيمان الاغنياء (وَقُلْ) لهم (إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ) أنذركم ببيان وبرهان أن عذاب الله نازل بكم (كَمَآ أَنزَلْنَا) متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك مثل ما أنزلنا (عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ) وهم أهل الكتاب (ٱلَّذِينَ جَعَلُوا ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ) أجزاء جمع عضة وأصلها عضوة فعلة من عضى الشاة إذا جعلها أعضاء حيث قالوا بعنادهم بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل وبعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه إلى حق وباطل وعضوه وقيل كانوا يستهزئون به فيقول بعضهم سورة البقرة لى ويقول الآخر سورة آل عمران لى أو أريد بالقرآن ما يقرءونه من كتبهم

وقد اقتسموه فاليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى أقرت ببعض الإنجيل وكذبت ببعض ويجوز أن يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوباً بالنذير أى أنذر المعضين الذين يجزّئون القرآن إلى سحر وشعر وأساطير مثل ما أنزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الإيمان برسول الله ﷺ يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فإنه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فأهلكهم الله. ولا تمدن عينيك على الوجه الأول اعتراض بينهما لأنه لما كان ذلك تسلية لرسول الله ﷺ عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدار لمعنى التسلية من النهى عن الالتفات إلى دنياهم والتأسف على كفرهم ومن الأمر بأن يقبل بكليته على المؤمنين (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أقسم بذاته وربوبيته ليسألن يوم القيامة واحداً واحداً من هؤلاء المقتسمين عما قالوه فى رسول الله ﷺ أو فى القرآن أو فى كتب الله (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ) فاجهر به وأظهره يقال صدع بالحجة إذا تكلم بها جهاراً من الصديع وهو الفجر أو فاصدع فافرق بين الحق والباطل من الصدع فى الزجاجة وهو الإبانة بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله : * أمرتك الخير فافعل ما أمرت به *

(وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ) هو أمر استهانة بهم (إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ) الجمهور على أنها نزلت فى خمسة نفر كانوا يبالغون فى إيذاء رسول الله ﷺ والاستهزاء به فأهلكهم الله وهم الوليد بن المغيرة مر بنبّال فتعلق بثوبه سهم فأصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات، والعاص ابن وائل دخل فى أخمصه شوكة فانتفخت رجله فمات، والأسود بن عبد المطلب عمى، والأسود ابن عبد يغوث جعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات، والحارث بن قيس امتخط قيحا ومات (الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً ءاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة أمرهم يوم القيامة (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ) فيك أو فى القرآن أو فى الله (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ) فافزع فيما نابك إلى الله والفزع إلى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم (وَاعْبُدْ رَبَّكَ) ودم على عبادة ربك (حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ) أى الموت يعنى مادمت حيا فاشتغل بالعبادة وكان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة .

﴿ سورة النحل مكية ، وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

كانوا يستعجلون ماوعدوا من قيام الساعة ونزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ) أى هو بمنزلة الآتى الواقع وإن كان منتظراً لقرب وقوعه (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) تبرأ جل وعز عن أن يكون له شريك وعن إشراكهم، فما موصولة أو مصدرية واتصال هـذا باستعجالهم من حيث إن استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك (يُنَزِّلُ الْمَلَـٰئِكَةَ) وبالتخفيف مكي وأبوعمرو (بِالرُّوحِ) بالوحى أو بالقرآن لأن كلا منهما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد أو يحيى القلوب الميتة بالجهل (مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوٓا) أن مفسرة لأن تنزيل الملائكة بالوحى فيه معنى القول ومعنى أنذروا (أَنَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا فَاتَّقُونِ) أعلموا بأن الأمر ذلك من نذرت بكذا إذا علمته والمعنى أعلموا الناس قولى لا إله إلا أنا فاتقون فخافون. وبالياء يعقوب، ثم دل على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر مما لا يقدر عليـه غيره من خلق السموات والأرض وهو قوله (خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ) وبالتاء فى الموضعين حمزة وعلى، وخلق الإنسان وما يكون منه وهو قوله (خَلَقَ الْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) أى فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح لخصومه مبين لحجته بعدما كان نطفة لا حس به ولا حركة أو فإذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيى العظام وهى رميم وهو وصف للإنسان بالوقاحة والتمادى فى كفران النعمة وخلق مالا بد منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وحمل أثقاله وسائر حاجاته وهو قوله (وَالْأَنْعَـٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ) هى الأزواج الثمانية وأكثر مايقع على الإبل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه منازل أو بالعطف على الإنسان أى خلق الإنسان والأنعام ثم قال خلقها لكم أى ماخلقها إلا لكم ياجنس الإنسان (فِيهَا دِفْءٌ) هو اسم مايدفأ به من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر (وَمَنَـٰفِعُ) وهى نسلها ودرها (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) قدم الظرف وهو يؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها لأن الأكل منها هو الأصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم وأما الأكل من غيرها كالدجاج

والبط وصيد البر والبحر فكفير المتدبه وكالجارى مجرى التفكه (وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ) تردونها من مراعيها إلى مراحها بالعشى (وَحِينَ تَسْرَحُونَ) ترسلونها بالغداة إلى مسارحها من الله تعالى بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشى لأن الرعيان إذا روحوها بالعشى وسرحوها بالغداة تزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية وفرحت أربابها وأكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس وإنما قدمت الإراحة على التسريح لأن الجمال فى الإراحة أظهر إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع (وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ) أحمالكم (إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ) وبفتح الشين أبو جعفر وهما لغتان فى معنى المشقة وقيل المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقا وحقيقته راجعة إلى الشق الذى هو الصدع وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما ينال من الجهد والمعنى وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه لو لم تخلق الإبل إلا بجهد ومشقة فضلا أن تحملوا أثقالكم على ظهوركم أو معناه لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس وقيل أثقالكم أبدانكم ومنه الثقلان للجن والإنس ومنه وأخرجت الأرض أثقالها أى بنى آدم (إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً) عطف على الأنعام أى وخلق هذه للركوب والزينة وقد احتج أبو حنيفة رحمه الله على حرمة أكل لحم الخيل بأنه علل خلقها للركوب والزينة ولم يذكر الأكل بعدما ذكره فى الأنعام ومنفعة الأكل أقوى والآية سيقت لبيان النعمة ولا يليق بالحكيم أن يذكر فى مواضع المنة أدنى النعمتين ويترك أعلاهما وانتصاب زينة على المفعول له عطفا على محل لتركبوها وخلق مالا تعلمون من أصناف خلائقه وهو قوله (وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) ومن هذا وصفه يتعالى عن أن يشرك به غيره (وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) المراد به الجنس ولذا قال (وَمِنْهَا جَائِرٌ) والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد أى مستقيم كأنه يقصد الوجه الذى يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق عليه كقوله إن علينا للهدى وليس ذلك للوجوب إذ لا يجب على الله شىء ولكن يفعل ذلك تفضلا وقيل معناه وإلى الله وقال الزجاج معناه وعلى الله تبيين الطريق الواضح المستقيم والدعاء إليه بالحجج ومنها جائر أى من السبيل مائل عن الاستقامة (وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ) أراد هداية اللطف بالتوفيق والإنعام بعد

الهدى العام (هُوَ الَّذِى أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ) لكم متعلق بأنزل أو خبر لشراب وهو مايشرب (وَمِنْهُ شَجَرٌ) يعنى الشجر الذى ترعاه المواشى (فِيهِ تُسِيمُونَ) من سامت الماشية إذا رعت فهى سائمة وأسامها صاحبها وهو من السومة وهى العلامة لأنها تؤثر بالرعى علامات فى الأرض (يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ) ولم يقل كل الثمرات لأن كلها لا تكون إلا فى الجنة وإنما أنبت فى الأرض بعض من كلها للتذكرة (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته والآية الدلالة الواضحة (وَسَخَّرَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌ بِأَمْرِهِ) بنصب الكل علىّ وجعل النجوم مسخرات والنجوم مسخرات فقط حفص والشمسُ والقمرُ والنجومُ مسخرات شامى على الابتداء والخبر (إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) جمع الآية وذكر العقل لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى الْأَرْضِ) معطوف على الليل والنهار أى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك (مُخْتَلِفًا) حال (أَلْوَٰنُهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ) يتعظون (وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك ووصفه بالطراوة لأن الفساد يسرع إليه فيؤكل سريعا طريا خيفة الفساد وإنما لايحنث بأكله إذاحلف لا يأكل لحما لأن مبنى الإيمان على العرف ومن قال لغلامه اشتر بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالإنكار (وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً) هى اللؤلؤ والمرجان (تَلْبَسُونَهَا) المراد بلبسهم لبس نسائهم ولكنهن إنما يتزين بها من أجلهم فكأنها زينتهم ولباسهم (وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ) جوارى تجرى جريا وتشق الماء شقا والمخر شق الماء بحيزومها (فِيهِ) فى البحر (وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) هوعطف على محذوف أى لتعتبروا ولتبتغوا وابتغاء الفضل التجارة (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ماأنعم عليكم به(وَأَلْقَىٰ فِى الْأَرْضِ رَوَٰسِىَ) جبالا ثوابت (أَن تَمِيدَ بِكُمْ) كراهية أن تميل بكم وتضطرب او لئلا تميد بكم لكن حذف المضاف أكثر قيل خلق الله الأرض فجعلت تميد فقالت الملائكة ماهى بمقر أحد على ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وَأَنْهَٰرًا) وجعل فيها أنهارا لأن ألقى فيه معنى جعل (وَسُبُلًا) طرقا (لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) إلى مقاصدكم أو إلى توحيد

وبكم (وَعَلَٰمَٰتٍ) هى معالم الطرق وكل مايستدل به السابلة من جبل وغير ذلك (وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ) المراد بالنجم الجنس أو هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدى فإن قلت وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كأنه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فن المراد بهم قلت كأنه أراد قريشا فلهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم ولهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر أوجب عليهم والاعتبار ألزم لهم فخصصوا (أَفَمَن يَخْلُقُ) أى الله تعالى (كَمَن لَّا يَخْلُقُ) أى الأصنام وجىء بمن الذى هو لأولى العلم لزعمهم حيث سموها آلهة وعبدوها فأجروها مجرى أولى العلم أو لأن المعنى أن من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولى العلم فكيف بمالا علم عنده وإنما لم يقل أفمن لا يخلق كمن يخلق مع اقتضاء المقام بظاهره إياه لكونه إلزاما للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيها بالله لأنهم حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له فقد جعلوا الله من جنس المخلوقات وشبيها بها فأنكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق وهو حجة على المعتزلة فى خلق الأفعال (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) فتعرفون فساد ماأنتم عليه (وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا) لاتضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم فضلا أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر وإنما اتبع ذلك ما عدد من نعمه تنبيها على أن ماوراءها لا ينحصر ولا يعد (إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ) يتجاوز عن تقصيركم فى أداء شكر النعمة ولايقطعها عنكم لتفريطكم (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) من أقوالكم وأفعالكم وهو وعيد (وَالَّذِينَ يَدْعُونَ) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (مِن دُونِ اللَّهِ) وبالتاء غير عاصم (لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ) أى هم أموات (غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) نفى عنهم خصائص الإلهية بنفى كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث وأثبت لهم صفات الخلق بأنهم مخلوقون أموات جاهلون بالبعث، ومعنى أموات غير أحياء أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات أى غير جائز عليها الموت وأمرهم بالعكس من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين أى لايشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وأن آلهتهم لايعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء أعمالهم منهم على عبادتهم وفيه دلالة على أنه لابد من البعث (إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) أى ثبت بما مر أن الإلهية لاتكون لغير الله وأن معبودكم

واحد (فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ) للوحدانية (وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ) عنها وعن الإقرار بها (لَا جَرَمَ) حقا (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) أى سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ) عن التوحيد يعنى المشركين (وَإِذَا قِيلَ لَهُم) لهؤلاء الكفار (مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) ماذا منصوب بأنزل أى أى شىء أنزل ربكم أو مرفوع على الابتداء أى أى شىء أنزله ربكم وأساطير خبر مبتدأ محذوف قيل هو قول المقتسمين الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أساطير الأولين أى أحاديث الأولين وأباطيلهم واحدتها أسطورة وإذا رأوا أصحاب رسول الله ﷺ يخبرونهم بصدقه وأنه نبى فهم الذين قالوا خيراً (لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم) أى قالوا ذلك إضلالا للناس فحملوا أوزار ضلالهم كاملة وبعض أوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الإضلال لأن المضل والضال شريكان واللام للتعليل (بِغَيْرِ عِلْمٍ) حال من المفعول أي يضلون من لايعلم أنهم ضلال (أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ) محل ما رفع (قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم مِّنَ الْقَوَاعِدِ) أى من جهة القواعد وهى الأساطين وهذا تمثيل يعنى أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا بها رسل الله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمدوه بالأساطين فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت فسقط عليهم السقف وماتوا وهلكوا، والجمهور على أن المراد به نمرود بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا فأتى الله أى أمره بالاستئصال (فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون (ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ) يذلهم بعذاب الخزى سوى ماعذبوا به فى الدنيا (وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ) على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (الَّذِينَ كُنتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شأنهم تشاقونِ نافع أى تشاقوننى فيهم لأن مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله (قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) أى الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم فلا يلتفتون إليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم أو هم الملائكة (إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ) الفضيحة (وَالسُّوءَ)

العذاب (عَلَى الْكَـٰفِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ) وبالياء حمزة وكذا مابعده (ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ) بالكفر بالله (فَأَلْقَوُا السَّلَمَ) أى الصلح والاستسلام أى أخبتوا وجاءوا بخلاف ماكانوا عليه فى الدنيا من الشقاق وقالوا (مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ) وجحدوا ماوجد منهم من الكفران والعداوة فرد عليهم أولو العلم وقالوا (بَلَىٰٓ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضاً من الشماتة وكذلك (فَادْخُلُوٓا أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم (وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا) وإنما نصب هذا ورفع أساطير لأن التقدير هنا أنزل خيراً فأطبقوا الجواب على السؤال وثمة التقدير هو أساطير الأولين فعدلوا بالجواب عن السؤال (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا) أى آمنوا وعملوا الصالحات أو قالوا لا إله إلا الله (حَسَنَةٌ) بالرفع أى ثواب وأمن وغنيمة وهو بدل من خيراً حكاية لقول الذين اتقوا أى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيراً ثم حكاه أو هو كلام مستأنف عدة للقائلين وجعل قولهم من جملة إحسانهم (وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ) أى لهم فى الآخرة ماهو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره (جَنَّـٰتُ عَدْنٍ) خبر لمبتدأ محذوف أو هو المخصوص بالمدح (يَدْخُلُونَهَا) حال (تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَـٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّـٰهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ طَيِّبِينَ) طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر لأنه فى مقابلة ظالمى أنفسهم (يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ) قيل إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك، فقال: السلام عليك ياولى الله، الله يقرأ عليك السلام، ويبشره بالجنة ويقال لهم فى الآخرة (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) بعملكم (هَلْ يَنظُرُونَ) ما ينتظر هؤلاء الكفار (إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَـٰئِكَةُ) لقبض أرواحهم. وبالياء على وحمزة (أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ) أى العذاب المستأصل أو القيامة (كَذَٰلِكَ) مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ) بتدميرهم (وَلَـٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) حيث فعلوا ما استحقوا به التدمير (فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا) جزاء سيئات أعمالهم (وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ) وأحاط بهم جزاء استهزائهم (وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا)

هـــذا كلام صدر منهم استهزاء ولو قالوه اعتقاداً لـكان صواباً (وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ) يعنى البحيرة والسائبة ونحوها (كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) أى كذبوا الرسل وحرموا الحلال وقالوا مثل قولهم استهزاء (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) إلا أن يبلغوا الحق ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ) بأن وحدوه (وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ) الشيطان يعنى طاعته (فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ) لاختيارهم الهدى (وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَٰلَةُ) أى لزمته لاختياره إياها (فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ) حيث أهلكهم الله وأخلى ديارهم عنهم ثم ذكر عنـاد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمـانهم وأعلمه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة فقال (إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ) بفتح الياء وكسر الدال كوفى الباقون بضم الياء وفتح الدال والوجه فيه أن من يضل مبتدأ ولا يهدى خبره (وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ) يمنعونهم من جريان حكم الله عليهم ويدفعون عنهم عذابه الذى أعد لهم (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ) معطوف على وقال الذين أشركوا (لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ) هو إثبات لـما بعـد النفى أى بلى يبعثهم (وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا) وهو مصدر مؤكد لـما دل عليه بلى لأن يبعث موعد من الله وبين أن الوفاء بهذا الوعد حق (وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) أن وعده حق أو أنهم يبعثون (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ) متعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو يشمل المؤمنين والـكافرين (الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ) هـو الحق (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ) فى قولهم لا يبعث الله من يموت (إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ) أى فهو يكون وبالنصب شامى وعلى، على جواب. كن قولنا مبتدأ وأن نقول خبره وكن فيكون من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود أى إذا أردنا وجود شىء فليس إلا أن نقول له احدث فهو يحدث بلا توقف وهذه عبارة عن سرعة الإيجاد تبين أن مراداً لا يمتنع عليه وأن وجوده عند إرادته غير متوقف كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى أن إيجاد كل مقدور على الله بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من بعض المقدورات (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ) فى حقه ولو جهه

(مِن بَعْدِ مَاظُلِمُوا) هم رسول الله وأصحابه ظلمهم أهل مكة ففروا بدينهم إلى الله منهم من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر إلى المدينة (لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) صفة للمصدر أى تبوئة حسنة أولنبوئنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم أهلها ونصروهم (وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ) الوقف لازم عليه لأن جواب (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) محذوف والضمير للكفار أى لوعلموا ذلك لرغبوا فى الدين أو للمهاجرين أى لو كانوا يعلمون لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الَّذِينَ صَبَرُوا) أى هم الذين صبروا أو أعنى الذين صبروا وكلاهما مدح أى صبروا على مفارقة الوطن الذى هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رءوسهم وعلى المجاهدة وبذل الأرواح فى سبيل الله (وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) أى يفوضون الأمر إلى ربهم ويرضون بما أصابهم فى دين الله. ولما قالت قريش الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً نزل (وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ) -يوحى إليهم- على ألسنة الملائكة. نوحى حفص (فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) أهل الكتاب ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً وقيل للكتاب الذكر لأنه موعظة وتنبيه للغافلين (إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ) أى بالمعجزات والكتب والباء يتعلق برجالا صفة له أى رجالا ملتبسين بالبيناب أو بأرسلنا مضمراً كأنه قيل بم أرسل الرسل فقيل بالبينات أو بيوحى أى يوحى إليهم بالبينات أو بلا تعلمون، وقوله فاسئلوا أهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة وقوله (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ) القرآن (لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَانُزِّلَ إِلَيْهِمْ) فى الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا به وأوعدوا (وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) فى تنبيهاته فينتبهوا (أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ) أى المكرات السيئات وهم أهل مكة وما مكروا به رسول الله عليه السلام (أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ) كما فعل بمن تقدمهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) أى بغتة (أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم (فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ) متخوفين وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم العذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لايشعرون (فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم والمعنى أنه إذا لم يأخذكم مع مافيكم فإنما رأفته تقيكم ورحمته تحميكم (أَوَلَمْ يَرَوْا) وبالتاء حمزة وعلى وأبو

بكر (إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ) ما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ) أى يرجع من موضع إلى موضع. وبالتاء بصرى (عَنِ الْيَمِينِ) أى الأيمان (وَالشَّمَائِلِ) جمع شمال (سُجَّدًا لِلَّهِ) حال من الظلال. عن مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء (وَهُمْ دَاخِرُونَ) صاغرون وهو حال من الضمير فى ظلاله لأنه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو والنون لأن الدخور من أوصاف العقلاء أو لأن فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى أو لم يروا إلى ما خلق الله من الأجرام التى لها ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها أى ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله تعالى غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والأجرام فى أنفسها داخرة أيضاً صاغرة منقادة لأفعال الله فيها غير ممتنعة (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ) من بيان لما فى السموات وما فى الأرض جميعاً على أن فى السموات خلقاً يدبون فيها كما تدب الأناسى فى الأرض أو بيان لما فى الأرض وحده والمراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله (وَالْمَلَائِكَةُ) ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم قيل المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقيادهم لإرادة الله ومعنى الانقياد يجمعهما فلم يختلفا فلذا جاز أن يعبر عنهما بلفظ واحد وجيء بما إذ هو صالح للعقلاء وغيرهم ولو جيء بمن لتناول العقلاء خاصة (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُم) هو حال من الضمير فى لا يستكبرون أى لا يستكبرون خائفين (مِّن فَوْقِهِمْ) إن علقته بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم وإن علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم غالبا لهم قاهراً كقوله وهو القاهر فوق عباده (وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) وفيه دليل على أن الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهى وأنهم بين الخوف والرجاء (وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ) فإن قلت إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص فأما رجل ورجلان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة إلى أن يقال رجل واحد ورجلان اثنان قلت الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فإذا أريدت الدلالة على أن المعنى به منهما هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد إليه والعناية به ألا ترى أنك لو قلت إنما هو إله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل

أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية (فَإِيَّاىَ فَارْهَبُونِ) نقل الكلام عن الغيبة إلى التكلم وهو من طريقة الالتفات وهوأبلغ فى الترغيب من قوله فإياى فارهبوا . فارهبونى يعقوب (وَلَهُ مَا فِى السَّمٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ) أى الطاعة (وَاصِبًا) واجبا ثابتا لأن كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه وهو حال عمل فيه الظرف أو وله الجزاء دائما يعنى الثواب والعقاب (أَفَغَيْرَ اللهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ) وأى شىء اتصل بكم من نعمة عافية وغنى وخصب (فَمِنَ اللهِ) فهو من الله (ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ) المرض والفقر والجدب (فَإِلَيْهِ تَجْئَرُونَ) فما تتضرعون إلا إليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة (ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) الخطاب فى وما بكم من نعمة إن كان عاما فالمراد بالفريق الكفرة وإن كان الخطاب للمشركين فقوله منكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال فإذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد (لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَٰهُمْ) من نعمة الكشف عنهم كأنهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة ثم أوعدهم فقال (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ) هو عدول إلى الخطاب على التهديد (وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ) أى لآلهتهم ومعنى لايعلمون أنهم يسمونها آلهة ويعتقدون فيها أنها تضروتنفع وتشفع عندالله وليس كذلك لأنها جماد لاتضر ولا تنفع أو الضمير فى لا يعلمون للآلهة أى لأشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر أجعلوا لها نصيبا فى أنعامهم وزروعهم أم لاوكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا إليهم (تَاللهِ لَتُسْئَلُنَّ) وعيد (عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ) من أنها آلهة وأنها أهل للتقرب إليها (وَيَجْعَلُونَ لِلهِ الْبَنَٰتِ) كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سُبْحَٰنَهُ) تنزيه لذاته من نسبة الولد إليه أوتعجب من قولهم (وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ) يعنى البنين ويجوز فى ما الرفع على الابتداء ولهم الخبر والنصب على العطف على البنات، وسبحانه اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه أى وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا) أى صار فظل وأمسى وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره

مغتما مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وَهُوَ كَظِيمٌ) مملوء حنقا على المرأة (يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِ) يستخفى منهم من أجل سوء المبشر به ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر (أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ) أيمسك مابشر به على هون وذل (أَمْ يَدُسُّهُ فِى التُّرَابِ) أم يئده (أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ) حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف (لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ) صفة السوء وهى الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث، ووأدهن خشية الإملاق (وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب فى تنفيذ ما أراد (الْحَكِيمُ) فى إمهال العباد (وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم) بكفرهم ومعاصيهم (مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا) على الأرض (مِن دَآبَّةٍ) قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين عن أبى هريرة رضى الله عنه إن الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود رضى الله عنه كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم وعن ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك يدب (وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى أجل كل أحد أو وقت تقتضيه الحكمة أو القيامة (فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ) ما يكرهونه لأنفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها (وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ) مع ذلك أى ويقولون الكذب (أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ) عند الله وهى الجنة إن كان البعث حقا كقوله ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى وأن لهم الحسنى بدل من الكذب (لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ) مفرِطون نافع مفرِّطون أبو جعفر فالمفتوح بمعنى مقدمون إلى النار معجلون إليها من أفرطت فلانا وفرطته فى طلب الماء إذا قدمته أو منسيون متروكون من أفرطت فلانا خلفى إذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الإفراط فى المعاصى والمشدد من التفريط فى الطاعات أى التقصير فيها (تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ) أى أرسلنا رسلا إلى من تقدمك من الأمم (فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ) من الكفر والتكذيب بالرسل (فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ) أى قرينهم فى الدنيا تولى إضلالهم بالغرور أو الضمير لمشركى قريش أى زين للكفار قبلهم أعمالهم فهو ولى هؤلاء لأنهم منهم أو هو على حذف

المضاف أى فهو ولى أمثالهم اليوم (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى القيامة (وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ) القرآن (إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ) للناس (الَّذِى اخْتَلَفُوا فِيهِ) هو البعث لأنه كان فيهم من يؤمن به (وَهُدًى وَرَحْمَةً) معطوفان على محل لتبين إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما لأنهما فعلا الذى أنزل الكتاب ودخلت اللام على لتبيين لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل (لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ) سماع انصاف وتدبر لأن من لم يسمع بقلبه فكأنه لا يسمع (وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِ) وبفتح النون نافع وشامى وأبو بكر. قال الزجاج سقيته وأسقيته بمعنى واحد ذكر سيبويه الأنعام فى الأسماء المفردة الواردة على أفعال ولذا رجع الضمير إليه مفردا وأما فى بطونها فى سورة المؤمنين فلأن معناه الجمع وهو استئناف كأنه قيل كيف العبرة فقال نسقيكم مما فى بطونه (مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا) أى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ لا يبغى أحدهما عليه بلون ولاطعم ولارائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر فى كرشها طبخته فكان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها فتجرى الدم فى العروق واللبن فى الضروع ويبقى الفرث فى الكرش ثم ينحدر وفى ذلك عبرة لمن اعتبر وسئل شقيق عن الإخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ) سهل المرور فى الحلق ويقال لم يغص أحد باللبن قط ومن الأولى للتبعيض لأن اللبن بعض مافى بطونها والثانية لابتداء الغاية ويتعلق (وَمِن ثَمَرَٰتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَٰبِ) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا) بيان وكشف عن كنه الإسقاء أو تتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد والضمير فى منه يرجع إلى المضاف المحذوف الذى هو العصير، والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا ثم فيه وجهان أحدهما أن الآية سابقة على تحريم الخمر فتكون منسوخة وثانيهما أن يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند أبى حنيفة وأبى يوسف رحمهما

الله إلى حد السكر ويحتجان بهذه الآية وبقوله عليه السلام «الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب» وبأخبار جمة (وَرِزْقًا حَسَنًا) هو الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ) وألهم (أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا) هي أن المفسرة لأن الإيحاء فيه معنى القول قال الزجاج واحد النحل نحلة كنخل ونخلة والتأنيث باعتبار هذا ومن في من الجبال (وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ) يرفعون من سقوف البيت أو ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التى تعسل فيها للتبعيض لأنها لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل مايعرش والضمير فى يعرشون للناس وبضم الراء شامى وأبوبكر (ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ) أى ابنى البيوت ثم كلى كل ثمرة تشتهينها فإذا أكلتها (فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ) فادخلى الطرق التى ألهمك وأفهمك فى عمل العسل أو إذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى إلى بيوتك راجعة سبل ربك لا تضلين فيها (ذُلُلًا) جمع ذلول وهى حال من السبل لأن الله تعالى ذللها وسهلها أو من الضمير فى فاسلكى أى وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة (يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ) يريد العسل لأنه مما يشرب تلقيه من فيها (مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ) منه أبيض وأصفر وأحمر من الشباب والكهول والشيب أو على ألوان أغذيتها (فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ) لأنه من جملة الأدوية النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل. وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض كما أن كل دواء كذلك وتنكيره لتعظيم الشفاء الذى فيه أو لأن فيه بعض الشفاء لأن النكرة فى الإثبات تخص وشكا رجل استطلاق بطن أخيه فقال عليه السلام «اسقه عسلا» فجاء وقال زاده شرا فقال عليه السلام «صدق الله وكذب بطن أخيك اسقه عسلا» فسقاه فصح وعن ابن مسعود رضى الله عنه العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع الروافض أن المراد بالنحل علىّ وقومه وعن بعضهم أن رجلا قال عند المهدى إنما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) فى عجيب أمرها فيعلمون أن الله أودعها علما بذلك وفطنها كما أعطى أولى العقول عقولهم (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ) بقبض أرواحكم من

أبدانكم (وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ) إلى أخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة أو ثمانون أو تسعون (لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا) لينسى ما يعلم أو لئلا يعلم زيادة علم على علمه (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بحكم التحويل إلى الأرذل من الأكمل أو إلى الإفناء من الإحياء (قَدِيرٌ) على تبديل ما يشاء كما يشاء من الأشياء (وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ) أى جعلكم متفاوتين فى الرزق فرزقكم أفضل ممارزق مماليككم وهم بشر مثلكم (فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا) فى الرزق يعنى الملاك (بِرَادِّي) بمعطى (رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) فكان ينبغى أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا فى الملبس والمطعم (فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ) جملة اسمية وقعت فى موضع جملة فعلية فى موضع النصب لأنه جواب النفى بالفاء وتقديره فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ماملكت أيمانهم فيستووا مع عبيدهم فى الرزق وهو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم أنتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدى لى شركاء (أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ) وبالتاء أبو بكر فجعل ذلك من جملة جحود النعمة (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) أى من جنسكم(وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً) جمع حافد وهو الذى يحفد أى يسرع فى الطاعة والخدمة ومنه قول القانت * وإليك نسعى ونحفد * واختلف فيه فقيل هم الأختان على البنات وقيل أولاد الأولاد والمعنى وجعل لكم حفدة أى خدما يحفدون فى مصالحكم ويعينونكم (وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) أى بعضها لأن كل الطيبات فى الجنة وطيبات الدنيا أنموذج منها (أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ) هو مايعتقدونه من منفعة الأصنام وشفاعتها (وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ) أى الإسلام (هُمْ يَكْفُرُونَ) أو الباطل الشيطان والنعمة محمد ﷺ أو الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرها ونعمة الله ماأحل لهم (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا) أى الصنم وهو جماد لايملك أن يرزق شيئا فالرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى مايرزق فإن أردت المصدر نصبت به شيئا أى لايملك أن يرزق شيئا وإن أردت المرزوق كان شيئا بدلا منه أى قليلا ومن السماوات والأرض صلة للرزق إن كان مصدرا أى لا يرزق من السماوات مطرا ولامن الأرض نباتا، وصفة إن كان اسما لما يرزق والضمير فى(وَلَا يَسْتَطِيعُونَ) لما لأنه فى

معنى الآلهة بعد ماقال لايملك على اللفظ والمعنى لايملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم (فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ) فلا تجعلوا لله مثلا فإنه لامثل له أى فلا تجعلوا له شركاء (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ) أنه لامثل له من الخلق (وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك أو إن الله يعلم كيف يضرب الأمثال وأنتم لا تعلمون ذلك والوجه الأول ثم ضرب المثل فقال (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا) هو بدل من مثلا (مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا) مصدران فى موضع الحال أى مثلكم فى إشراككم بالله الأوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه ماشاء وقيد بالمملوك ليميزه من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً إذ هما من عباد الله وبلا يقدر على شيء ليمتاز من المكاتب والمأذون فهما يقدران على التصرف ومن موصوفة أى وحرا رزقناه ليطابق عبدا أو موصولة (هَلْ يَسْتَوُونَ) جمع الضمير لإرادة الجمع أى لايستوى القبيلان (الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) بأن الحمد والعبادة لله ثم زاد فى البيان فقال (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ) الأبكم الذى ولد أخرس فلا يفهم ولا يفهم (وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ) أى ثقل وعيال على من يلى أمره ويعوله (أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ) حيثما يرسله ويصرفه فى مطلب حاجة أو كفاية مهم لم ينفع ولم يأت بنجح (هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) أى ومن هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع رشد وديانة فهو يأمر الناس بالعدل والخير (وَهُوَ) فى نفسه (عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) على سيرة صالحة ودين قويم وهذا مثل ثان ضربه لنفسه ولما يفيض على عباده من آثار رحمته ونعمته وللأصنام التى هى أموات لاتضر ولا تنفع (وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى يختص به علم ماغاب فيهما عن العباد وخفى عليهم علمه أو أراد بغيب السموات والأرض يوم القيامة على أن علمه غائب عن أهل السموات والارض لم يطلع عليه أحد منهم (وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ) فى قرب كونها وسرعة قيامها (إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ) كرجع طرف وإنما ضرب به المثل لانه لايعرف زمان أقل منه (أَوْ هُوَ) أى الامر (أَقْرَبُ) وليس هذا لشك المخاطب ولكن المعنى كونوا فى كونها على هذا الاعتبار وقيل بل هو أقرب

(إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل على قدرته بما بعده فقال (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ) وبكسر الالف وفتح الميم على اتباعاً لكسرة النون وبكسرهما حمزة والهاء مزيدة فى أمهات للتوكيد كما زيدت فى أراق فقيل أهراق وشذت زيادتها فى الواحدة (لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا) حال أى غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذى خلقكم فى البطون (وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) أى وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذى ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والأفئدة فى فؤاد كالأغربة فى غراب وهو من جموع القلة التى جرت مجرى جموع الكثرة لعدم السماع فى غيرها (أَلَمْ يَرَوْا) وبالتاء شامى وحمزة (إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ) مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية لذلك (فِي جَوِّ السَّمَاءِ) هو الهواء المتباعد من الأرض فى سمت العلو (مَا يُمْسِكُهُنَّ) فى قبضهن وبسطهن ووقوفهن (إِلَّا اللَّهُ) بقدرته وفيه نفى لما يصوره الوهم من خاصية القوى الطبيعية (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بأن الخلق لاغنى به عن الخالق (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا) هو فعل بمعنى مفعول أى مايسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف (وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا) هى قباب الأدم (تَسْتَخِفُّونَهَا) ترونها خفيفة المحمل فى الضرب والنقض والنقل (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ) بسكون العين كوفى وشامى وبفتح العين غيرهم والظعن بفتح العين وسكونها الارتحال (وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ) قراركم فى منازلكم والمعنى أنها خفيفة عليكم فى أوقات السفر والحضر على أن اليوم بمعنى الوقت (وَمِنْ أَصْوَافِهَا) أى أصواف الضأن (وَأَوْبَارِهَا) وأوبار الإبل (وَأَشْعَارِهَا) وأشعار المعز (أَثَاثًا) متاع البيت (وَمَتَاعًا) وشيئاً ينتفع به (إِلَىٰ حِينٍ) مدة من الزمان (وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَالًا) كالأشجار والسقوف (وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا) جمع كن وهو ماسترك من كهف أوغار (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن (تَقِيكُمُ الْحَرَّ) وهى تقى البرد أيضاً إلا أنه اكتفى بأحد الضدين ولأن الوقاية من الحر أهم عندهم لكون البرد يسيرا محتملا (وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) ودروعا من الحديد ترد عنكم سلاح عدوكم فى قتالكم ، والبأس : شدة الحرب

والسربال عام يقع على ما كان من حديد أو غيره (كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ) أى تنظرون فى نعمته الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له (فَإِن تَوَلَّوْا) أعرضوا عن الإسلام (فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ) أى فلا تبعة عليك فى ذلك لأن الذى عليك هو التبليغ الظاهر وقد فعلت (يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ) التى عددناها بأقوالهم فإنهم يقولون إنها من الله (ثُمَّ يُنكِرُونَهَا) بأفعالهم حيث عبدوا غير المنعم أو فى الشدة ثم فى الرخاء (وَأَكْثَرُهُمُ الْكَٰفِرُونَ) أى الجاحدون غير المعترفين أو نعمة الله نبوة محمد ﷺ كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم وثم يدل على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة لأن حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر (وَيَوْمَ) انتصابه باذكر (نَبْعَثُ) نحشر (مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) نبياً يشهد لهم وعليهم بالتصديق والتكذيب والإيمان والكفر (ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا) فى الاعتذار والمعنى لاحجة لهم فدل بترك الإذن على أن لاحجة لهم ولا عذر (وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) ولاهم يسترضون أى لايقال لهم أرضوا ربكم لأن الآخرة ليست بدار عمل ومعنى ثم أنهم يمنون أى يبتلون بعد شهادة الأنبياء عليهم السلام بما هو أطم وأغلب منها وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا إدلاء بحجة (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ) أى العذاب بعد الدخول (وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون قبله (وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ) أوثانهم التى عبدوها (قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا) أى آلهتنا التى جعلناها شركاء (الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِن دُونِكَ) أى نعبد (فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ) أى أجابوهم بالتكذيب لأنها كانت جمادا لاتعرف من عبدها ويحتمل أنهم كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله عن الشرك (وَأَلْقَوْا) يعنى الذين ظلموا (إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ) القاء السلم الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار فى الدنيا (وَضَلَّ عَنْهُم) وبطل عنهم (مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) من أن لله شركاء وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرءوا منهم (الَّذِينَ كَفَرُوا) فى أنفسهم (وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وحملوا غيرهم على الكفر (زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ) أى عذاباً بكفرهم وعذابا بصدهم عن سبيل الله (بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ) بكونهم مفسدين الناس بالصد (وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي

كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ) يعنى نبيهم لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم (وَجِئْنَا بِكَ) يامحمد (شَهِيداً عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ) على أمتك (وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَٰبَ تِبْيَٰناً) بليغاً (لِّكُلِّ شَىْءٍ) من أمور الدين أما فى الأحكام المنصوصة فظاهر وكذا فيما ثبت بالسنة أو بالإجماع أو بقول الصحابة أو بالقياس لأن مرجع الكل إلى الكتاب حيث أمرنا فيه باتباع رسوله عليه السلام وطاعته بقوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وحثنا على الإجماع فيه بقوله : ويتبع غيرسبيل المؤمنين. وقد رضى رسول الله ﷺ لأمته باتباع أصحابه بقوله «أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» وقد اجتهدوا وقاسوا ووطّئوا طرق الاجتهاد والقياس مع أنه أمرنا به بقوله فاعتبروا ياأولى الأبصار فكانت السنة والاجماع وقول الصحابى والقياس مستندة إلى تبيان الكتاب فتبين أنه كان تبيانا لكل شىء (وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ) ودلالة إلى الحق ورحمة لهم وبشارة لهم بالجنة (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ) بالتسوية فى الحقوق فيما بينكم وترك الظلم وإيصال كل ذى حق إلى حقه (وَالْإِحْسَٰنِ) إلى من أساء إليكم أوهما الفرض والندب لأن الفرض لابد من أن يقع فيه تفريط فيجبره الندب (وَإِيتَآئِ ذِى الْقُرْبَىٰ) وإعطاء ذى القرابة وهو صلة الرحم (وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَآءِ) عن الذنوب المفرطة فى القبح (وَالْمُنكَرِ) ماتنكره العقول (وَالْبَغْىِ) طلب التطاول بالظلم والكبر (يَعِظُكُمْ) حال أو مستأنف (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) تتعظون بمواعظ الله وهذه الآية سبب إسلام عثمان بن مظعون فإنه قال ما كنت أسلمت إلا حياء منه عليه السلام لكثرة ماكان يعرض على الإسلام ولم يستقر الإيمان فى قلبى حتى نزلت هذه الآية وأنا عنده فاستقر الإيمان فى قلبى فقرأتها على الوليد بن المغيرة فقال والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وما هو بقول البشر وقال أبو جهل إن إلٰهه ليأمر بمكارم الأخلاق وهى أجمع آية فى القرآن للخير والشر ولهذا يقرؤها كل خطيب على المنبر فى آخر كل خطبة لتكون عظة جامعة لكل مأمور ومنهى (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ) هى البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله (وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَٰنَ) أيمان البيعة (بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) بعد توثيقها باسم الله وأكد ووكد لغتان فصيحتان والأصل الواو والهمزة بدل منها (وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً) شاهداً ورقيبا لأن الكفيل مراع لحال المكفول به

مهيمن عليه (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ) من البر والحنث فيجازيكم به (وَلَا تَكُونُوا) فى نقض الأيمان (كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ) كالمرأة التى أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته (أَنكَاثًا) جمع نكث وهو ماينكث فتله قيل هى ريطة وكانت حمقاء تغزل هى وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ) حال كأنكاثا (دَخَلًا) أحد مفعولى تتخذ أى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بَيْنَكُمْ) أى مفسدة وخيانة (أَن تَكُونَ أُمَّةٌ) بسبب أن تكون أمة يعنى جماعة قريش (هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ) هى أزيد عدداً وأوفر مالا من أمة من جماعة المؤمنين. هى أربى مبتدأ وخبر، فى موضع الرفع صفة لأمة وأمة فاعل تكون وهى تامة وهى ليست بفصل لوقوعها بين نكرتين (إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ) الضمير للمصدر أى إنما يختبركم بكونهم أربى لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما وكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقلة المؤمنين وفقرهم (وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ) إذا جازاكم على أعمالكم بالثواب والعقاب وفيه تحذير عن مخالفة ملة الاسلام (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) حنيفة مسلمة (وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ) من علم منه اختيار الضلالة (وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ) من علم منه اختيار الهداية (وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) يوم القيامة فتجزون به (وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ) كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيداً عليهم وإظهارا لعظمه (فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا) فتزل أقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها عليها وإنما وحدت القدم ونكرت لاستعظام أن تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد أن تثبت عليه فكيف بأقدام كثيرة (وَتَذُوقُوا السُّوءَ) فى الدنيا (بِمَا صَدَدتُّمْ) بصدودكم (عَن سَبِيلِ اللَّهِ) وخروجكم عن الدين أو بصدكم غيركم لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها (وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (وَلَا تَشْتَرُوا) ولا تستبدلوا (بِعَهْدِ اللَّهِ) وبيعة رسول الله ﷺ (ثَمَنًا قَلِيلًا) عرضا من الدنيا يسيرا كأن قوما ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد أن ينقضوا مابايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبتهم الله (إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ)

من ثواب الآخرة (هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ مَا عِندَكُمْ) من أعراض الدنيا (يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ) من خزائن رحمته (بَاقٍ) لا ينفد (وَلَنَجْزِيَنَّ) وبالنون مكي وعاصم (الَّذِينَ صَبَرُوا) على أذى المشركين ومشاق الإسلام (أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ) من مبهم يتناول النوعين إلا أن ظاهره للذكور فبين بقوله من ذكر أو أنثى ليعم الموعد النوعين (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) شرط الإيمان لأن أعمال الكفار غير معتد بها وهو يدل على أن العمل ليس من الإيمان (فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً) أى فى الدنيا لقوله (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك أن المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان أو معسرا يعيش عيشا طيبا إن كان موسرا فظاهر وإن كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله تعالى وأما الفاجر فأمره بالعكس إن كان معسرا فظاهر وإن كان موسرا فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه وقيل الحياة الطيبة القناعة أوحلاوة الطاعة أوالمعرفة بالله وصدق المقام مع الله وصدق الوقوف على أمر الله والإعراض عما سوى الله (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ) فإذا أردت قراءة القرآن (فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ) فعبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل لأنها سبب له والفاء للتعقيب إذ القراءة المصدرة بالاستعاذة من العمل الصالح المذكور (مِنَ الشَّيْطَانِ) يعنى إبليس (الرَّجِيمِ) المطرود أو الملعون. قال ابن مسعود رضى الله عنه قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى «قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أقرأنيه جبريل عليه السلام» (إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ) لإبليس (سُلْطَانٌ) تسلط وولاية (عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فالمؤمن المتوكل لا يقبل منه وساوسه (إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ) يتخذونه وليا ويتبعون وساوسه (وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ) الضمير يعود إلى ربهم أو إلى الشيطان أى بسببه (وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ) تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لحكمة رآها وهو معنى قوله (وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ) وبالتخفيف مكى وأبو عمرو (قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ) هو جواب إذا. وقوله والله أعلم بما ينزل اعتراض كانوا يقولون إن محمدا يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا فيأتيهم بما هو أهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الأشق بالأهون والأهون

بالأشق (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ) الحكمة فى ذلك (قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ) أى جبريل عليه السلام أضيف إلى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد والمقدس المطهر من المآثم (مِن رَّبِّكَ) من عنده وأمره (بِالْحَقِّ) حال أى نزله ملتبسا بالحكمة (لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا) ليبلوهم بالنسخ حتى إذاقالوا فيه هوالحق من ربنا والحكمة لأنه حكيم لايفعل إلا ماهو حكمةوصواب، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب (وَهُدًى وَبُشْرَىٰ) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وإرشادا وبشارة (لِلْمُسْلِمِينَ) وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ) أرادوا به غلاما كان لحويطب قدأسلم وحسن إسلامه، اسمه عائش أويعيش وكان صاحب كتب أو هو جبر غلام رومى لعامر بن الحضرمى أو عبدان: جبر، ويسار كانا يقرآن التوراة والإنجيل فكان رسول الله ﷺ يسمع مايقرآن أوسلمان الفارسى (لِّسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ) وبفتح الياء والحاء حمزة وعلى (أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ) أى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أعجمى غير بين وهذا القرآن لسان عربى مبين ذوبيان وفصاحة ردا لقولهم وإبطالا لطعنهم وهذه الجملة أعنى لسان الذى يلحدون إليه أعجمى لامحل لها لأنها مستأنفة جواب لقولهم واللسان اللغة ويقال ألحد القبر ولحده وهوملحد وملحود إذاأمال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل إمالة عن الاستقامة فقالوا ألحد فلان فى قوله وألحد فى دينه ومنه الملحد لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) أى القرآن (لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ) ماداموا مختارين الكفر (وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فى الآخرة على كفرهم (إِنَّمَا يَفْتَرِى الْكَذِبَ) على الله (الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ) أى إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يترقب عقابا عليه وهو رد لقولهم إنما أنت مفتر (وَأُولَٰئِكَ) إشارة إلى الذين لا يؤمنون أى وأولئك (هُمُ الْكَٰذِبُونَ) على الحقيقة الكاملون فى الكذب لأن تكذيب آيات الله أعظم الكذب أو وأولئك هم الكاذبون فى قولهم إنما أنت مفتر جوزوا أن يكون (مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَٰنِهِ) شرطا مبتدأ وحذف جوابه لأن جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَٰنِ) ساكن به (وَلَٰكِن

مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً) أى طاب به نفسا واعتقده (فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) وأن يكون بدلا من الذين لا يؤمنون بآيات الله على أن يجعل وأولئك هم الكاذبون اعتراضا بين البدل والمبدل منه والمعنى إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله وأن يكون بدلا من المبتدأ الذى هو أولئك أى ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون أو من الخبر الذى هو الكاذبون أى وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه وأن ينتصب على الذم روى أن ناسا من أهل مكة فتنوا فارتدوا وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان منهم عمار وأما أبواه ياسر وسمية فقد قتلا وهما أول قتيلين فى الإسلام فقيل لرسول الله ﷺ إن عمارا كفر فقال « كلا إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه » فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكى فجعل رسول الله ﷺ يمسح عينيه وقال « مالك إن عادوا لك فعد لهم بما قلت » وما فعل أبو عمار أفضل لأن فى الصبر على القتل إعزازا للإسلام (ذَٰلِكَ) إشارة إلى الوعيد وهو لحوق الغضب والعذاب العظيم (بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا) آثروا (الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ) أى بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة (وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَٰفِرِينَ) ماداموا مختارين للكفر (أُوْلَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ) فلا يتدبرون ولا يصغون إلى المواعظ ولا يبصرون طريق الرشاد (وَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْغَٰفِلُونَ) أى الكاملون فى الغفلة لأن الغفلة عن تدبر العواقب هى غاية الغفلة ومنتهاها (لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى الْآخِرَةِ هُمُ الْخَٰسِرُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ) ثم يدل على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك (لِلَّذِينَ هَاجَرُوا) من مكة أى أنه لهم لا عليهم يعنى أنه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محميا منفوعا غير مضرور (مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا) بالعذاب والإكراه على الكفر فتنوا شامى أى بعد ماعذبوا المؤمنين ثم أسلموا (ثُمَّ جَٰهَدُوا) المشركين بعد الهجرة (وَصَبَرُوا) على الجهاد (إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) من بعد هذه الأفعال وهى الهجرة والجهاد والصبر (لَغَفُورٌ) لهم لما كان منهم من التكلم بكلمة الكفر تقية (رَّحِيمٌ) لا يعذبهم على ما قالوا فى حالة الإكراه (يَوْمَ تَأْتِى) منصوب برحيم أو باذكر (كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا)

وإنما أضيفت النفس إلى النفس لأنه يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفى نقيضه غيره والنفس الجملة كما هى فالنفس الأولى هى الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتى كل إنسان يجادل عن ذاته لايهمه شأن غيره كلٌّ يقول نفسى نفسى ومعنى المجادلة عنها الاعتذار عنها كقولهم: هؤلاء أضلونا. ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا الآية والله ربنا ما كنا مشركين (وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ) تعطى جزاء عملها وافيا (وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) فى ذلك (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً) أى جعل القرية التى هـــذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن يراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون فى قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها (كَانَتْ ءَامِنَةً) من القتل والسبى (مُّطْمَئِنَّةً) لايزعجها خوف لأن الطمأنينة مع الأمن والانزعاج والقلق مع الخوف (يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا) واسعا (مِّن كُلِّ مَكَانٍ) من كل بلد (فَكَفَرَتْ) أهلها (بِأَنْعُمِ اللَّهِ) جمع نعمة على ترك الاعتــداد بالتاء كدرع وأدرع أو جمع نعم كبؤس وأبؤس (فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ) الإذاقة واللبـاس استعارتان والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار ووجه صحة ذلك أن الإذاقة جارية عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر وأذاقه العذاب شبه مايدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع وأما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ماغشى الإنسان والتبس به من بعض الحــوادث وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما يغشى منهما ويلابس فكأنه قيـل فأذاقهم ماغشيهم من الجوع والخوف (وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ) أى محمد ﷺ (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ) أى فى حال التباسهم بالظلم قالوا إنه القتل بالسيف يوم بدر روى أن رسول الله ﷺ وجه إلى أهل مكة فى سنى القحط بطعام ففرق فيهم فقال «الله لهم بعد أن أذاقهم الجوع» (فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) على يدى محمد ﷺ (حَلَالًا طَيِّبًا) بدلا عما كنتم تأكلونه حراما خبيثا من الأموال المأخوذة بالغارات والغصوب وخبائث الكسوب (وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) تطيعون أو إن صح زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لأنها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم

بأهوائهم فقال (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) إنما للحصر أى المحرم هذا دون البحيرة وأخواتها وباقى الآية قد مر تفسيره (وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ) هو منصوب بلا تقولوا أى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم: مافى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا من غير استناد ذلك الوصف إلى الوحى أو إلى القياس المستنبط منه واللام مثلها فى قولك لا تقولوا لما أحل الله هو حرام وقوله (هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ) بدل من الكذب ولك أن تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا أى ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام وهذا لوصف ألسنتكم الكذب أى ولا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى أفواهكم لا لأجل حجة وبينة ولكن قول ساذج ودعوى بلا برهان وقوله تصف ألسنتكم الكذب من فصيح الكلام جعل قولهم كأنه عين الكذب فإذا نطقت به ألسنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولك وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر واللام فى (لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) هو خبر مبتدأ محذوف أى منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعذابها عظيم (وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ) فى سورة الأنعام يعنى وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية (وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ) بالتحريم (وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فحرمنا عليهم عقوبة على معاصيهم (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ) فى موضع الحال أى عملوا السوء جاهلين غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم ومرادهم لذة الهوى لا عصيان المولى (ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا) من بعد التوبة (لَغَفُورٌ) بتكفير ما كثروا قبل من الجرائم (رَّحِيمٌ) بتوثيق ما وثقوا بعد من العزائم (إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً) إنه كان وحده أمة من الأمم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله:

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار أو كان أمة بمعنى مأموم يؤمه الناس

ليأخذوا منه الخير (قَانِتاً لِّلَّهِ) هو القائم بما أمره الله وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن معاذاً كان أمة قانتاً لله فقيل له إنما هو إبراهيم عليه السلام فقال الأمة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله ورسوله وكان معاذ كذلك وقال عمر رضى الله عنه لو كان معاذ حيا لاستخلفته فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أبو عبيدة أمين هذه الأمة ، ومعاذ أمة لله قانت لله ليس بينه وبين الله يوم القيامة إلا المرسلون » (حَنِيفاً) مائلا عن الأديان إلى ملة الإسلام (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) نفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش لزعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم وحذف النون للتشبيه بحروف اللين (شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ) روى أنه كان لايتغدى إلا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفاً فأخر غداءه فإذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أن بهم جذاما فقال الآن وجبت مؤاكلتكم شكرا لله على أنه عافانى وابتلاكم (اجْتَبَاهُ) اختصه واصطفاه للنبوة (وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ) إلى ملة الإسلام (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً) نبوة وأموالا وأولادا أو تنويه الله بذكره فكل أهل دين يتولونه أو قول المصلى منا كما صليت على إبراهيم (وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ) لمن أهل الجنة (ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) فى ثم تعظيم منزلة نبينا عليه السلام وإجلال محله والإيذان بأن أشرف ما أوتى خليل الله من الكرامة اتباع رسولنا ملته (إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ) أى فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) روى أن موسى عليه السلام أمرهم أن يجعلوا فى الأسبوع يوما للعبادة وأن يكون يوم الجمعة فأبوا عليه وقالوا نريد اليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لأن بعضهم اختاروه وبعضهم اختاروا عليه الجمعة فأذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة فكانوا لايصيدون وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك وهو يحكم بينهم يوم القيامة فيجازى كل واحد من الفريقين بما هو أهله (ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ) إلى الإسلام (بِالْحِكْمَةِ) بالمقالة الصحيحة المحكمة وهو الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) وهى التى لايخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ماينفعهم فيها أو بالقرآن أى

ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة أوالحكمة المعرفة بمراتب الأفعال والموعظة الحسنة أن يخلط الرغبة بالرهبة والإنذار بالبشارة (وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ) بالطريقة التى هى أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة أو بما يوقظ القلوب ويعظ النفوس ويجلو العقول وهو رد على من يأبى المناظرة فى الدين (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ) أى هو أعلم بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل (وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ) سمى الفعل الأول عقوبة والعقوبة هى الثانية لازدواج الكلام كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فالثانية ليست بسيئة والمعنى إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه روى أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم فرأى النبى عليه السلام حمزة مبقور البطن فقال «أما والذى أحلف به لأمثلن بسبعين مكانك» فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما أراده ولا خلاف فى تحريم المثلة لورود الأخبار بالنهى عنها حتى بالكلب العقور (وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ) الضمير فى لهو يرجع إلى مصدر صبرتم والمراد بالصابرين المخاطبون أى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرين موضع الضمير ثناء من الله عليهم لأنهم صابرون على الشدائد ثم قال لرسول الله ﷺ (وَٱصۡبِرۡ) أنت فعزم عليه بالصبر (وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ) أى بتوفيقه وتثبيته (وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ) على الكفار أن لم يؤمنوا وعلى المؤمنين ومافعل بهم الكفار فإنهم وصلوا إلى مطلوبهم (وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ) ضِيق مكى والضيق تخفيف الضيق أى فى أمر ضيق ويجوز أن يكونا مصدرين كالقيل والقول والمعنى ولا يضيقن صدرك من مكرهم فإنه لا ينفذ عليك (إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ) أى هو ولى الذين اجتنبوا السيئات وولى العاملين بالطاعات قيل من اتقى فى أفعاله وأحسن فى أعماله كان الله معه فى أحواله. ومعيته نصرته فى المأمور وعصمته فى المحظور .

﴿ سورة الإسراء(١) مكية : وهى مائة وعشر آيات بصرى وإحدى عشرة آية كوفى وشامى ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سُبْحَٰنَ) تنزيه الله عن السوء وهو علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره تقديره أسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ (ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ) محمد ﷺ وسرى وأسرى لغتان (لَيْلًا) نصب على الظرف وقيده بالليل والإسراء لا يكون إلا بالليل للتأكيد أو ليدل بلفظ التنكير على تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به فى بعض الليل من مكة إلى الشام مسيرة أربعين ليلة (مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ) قيل أسرى به من دار أم هانىء بنت أبى طالب والمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد والتباسه به. وعن ابن عباس رضى الله عنهما الحرم كله مسجد وقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر ، فقد قال عليه السلام : « بينا أنا فى المسجد الحرام فى الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتانى جبريل بالبراق وقد عرج بى إلى السماء فى تلك الليلة » وكان العروج به من بيت المقدس وقد أخبر قريشاً عن عيرهم وعدد جمالها وأحوالها وأخبرهم أيضاً بما رأى فى السماء من العجائب وأنه لقى الأنبياء عليهم السلام وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة وكان فى اليقظة، وعن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : والله ما فقد جسد رسول الله ﷺ ولكن عرج بروحه. وعن معاوية مثله وعلى الأول الجمهور إذ لا فضيلة للحالم ولا مزية للنائم (إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا) هو بيت المقدس لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ) يريد بركات الدين والدنيا لأنه متعبد الأنبياء عليهم السلام ومهبط الوحى وهو محفوف بالأنهار الجارية والأشجار المثمرة (لِنُرِيَهُۥ) أى محمداً عليه السلام (مِنْ ءَايَٰتِنَآ) الدالة على وحدانية الله وصدق نبوته برؤيته السموات ومافيها من الآيات (إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ) للأقوال (ٱلْبَصِيرُ) بالأفعال ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل أسرى ثم باركنا ثم إنه هو وهى طريقة الالتفات التى هى من طرق البلاغة (وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ) أى الكتاب وهو التوراة (هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟) أى لا تتخذوا وبالياء أبو عمرو

(١) وفى بعض النسخ سورة بنى إسرائيل

أى لئلا يتخذوا (مِن دُونِي وَكِيلًا) ربا تكلون إليه أموركم (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ) نصب على الاختصاص أوعلى النداء فيمن قرأ لاتتخذوا بالتاء على النهى أى قلنا لهم لاتتخذوا من دونى وكيلا ياذرية من حملنا على نوح (إِنَّهُ) إن نوحا عليه السلام (كَانَ عَبْداً شَكُوراً) فى السراء والضراء والشكر مقابلة النعمة بالثناء على المنعم وروى أنه كان لا يأكل ولايشرب ولا يلبس إلا قال الحمد لله وأنتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه أسوتكم كما جعله آباؤكم أسوتهم وآية رشد الأبناء صحة الاقتداء بسنة الآباء وقدعرفتم حال الآباء هنالك فكونوا أيها الأبناء كذلك (وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ فِي الْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ) وأوحينا إليهم وحيا مقضيا أى مقطوعا مبتوتا بأنهم يفسدون فى الأرض لا محالة. والكتاب التوراة ولتفسدن جواب قسم محذوف أو جرى القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كأنه قال وأقسمنا لتفسدن فى الأرض (مَرَّتَيْنِ) أولاهما قتل زكرياء عليه السلام وحبس أرمياء عليه السلام حين أنذرهم سخط الله والأخرى قتل يحيى بن زكرياء عليهما السلام وقصد قتل عيسى عليه السلام (وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً) ولتستكبرن عن طاعة الله من قوله إن فرعون علا فى الأرض والمراد به البغى والظلم وغلبة المفسدين على المصلحين (فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَٰهُمَا) أى وعد الله عقاب أولاهما (بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ) سلطنا عليكم (عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ) أشداء فى القتال يعنى سنجاريب وجنوده أو بختنصر أو جالوت قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين ألفا (فَجَاسُوا خِلَٰلَ الدِّيَارِ) ترددوا للغارة فيها قال الزجاج الجوس طلب الشىء بالاستقصاء (وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً) وكان وعد العقاب وعداً لابدأن يفعل (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ) أى الدولة والغلبة (عَلَيْهِمْ) على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو قيل هى قتل بختنصر واستنقاذ بنى اسرائيل أسراهم وأموالهم ورجوع الملك إليهم وقيل أعدنا لكم الدولة بملك طالوت وقتل داود جالوت (وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا) مما كنتم وهو تميز جمع نفر وهو من ينفر مع الرجل من قومه (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) قيل اللام بمعنى على كقوله وعليها مااكتسبت والصحيح أنها على بابها لأن اللام للاختصاص والعامل مختص بجزاء عمله، حسنة كانت أوسيئة يعنى أن الإحسان والإساءة كلاهما مختص بأنفسكم لا يتعدى النفع

والضرر إلى غيركم وعن على رضى الله عنه ما أحسنت إلى أحد ولا أسأت إليه وتلاها (فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ) وعد المرة الآخرة بعثناهم (لِيَسُـُٔوا) أى هؤلاء (وُجُوهَكُمْ) وحذف لدلالة ذكره أولا عليه أى ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا. ليسوء شامى وحمزة وأبو بكر والضمير لله عز وجل أو للوعد أو للبعث . لنسوء على (وَلِيَدْخُلُوا ٱلْمَسْجِدَ) بيت المقدس (كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا) ماعلوا مفعول ليتبروا أى ليهلكوا كل شىء غلبوه واستولوا عليه أو بمعنى مدة علوهم (عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ) بعد المرة الثانية إن تبتم توبة أخرى وانزجرتم عن المعاصى (وَإِنْ عُدتُّمْ) مرة ثالثة (عُدْنَا) إلى عقوبتكم وقد عادوا فأعاد الله عليهم النقمة بتسليط الأكاسرة وضرب الإتاوة عليهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما سلط عليهم المؤمنون إلى يوم القيامة (وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير (إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ) للحالة التى هى أقوم الحالات وأسدها وهى توحيد الله والإيمان برسله والعمل بطاعته أو للملة أو للطريقة (وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ) ويَبشر حمزة وعلى (أَنَّ لَهُمْ) بأن لهم (أَجْرًا كَبِيرًا) أى الجنة (وَأَنَّ ٱلَّذِينَ) وبأن الذين (لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا) أى أعددنا قلبت تاء (لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) يعنى النار والآية رد القول بالمنزلة بين المنزلتين حيث ذكر المؤمنين وجزاءهم والكافرين وجزاءهم ولم يذكر الفسقة (وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ) أى ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه وأهله وماله وولده كما يدعو لهم بالخير أو يطلب النفع العاجل وإن قل بالضرر الآجل وإن جل (وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا) يتسرع إلى طلب كل مايقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتأنى فيه تأنى المتبصر أو أريد بالإنسان الكافر وأنه يدعوه بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير إذا مسته الشدة وكان الإنسان عجولا يعنى أن العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحارث قال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك. الآية فأجيب فضربت عنقه صبرا وسقوط الواو من يدع فى الخط على موافقة اللفظ (وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَا ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَا ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً) أى الليل والنهار آيتان فى أنفسهما فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كإضافة العدد إلى المعدود أى فمحونا الآية

التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة أو وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم نخلق له شعاعاً كشعاع الشمس فترى الأشياء به رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شىء (لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ) لتتوصلوا ببياض النهار إلى التصرف فى معايشكم (وَلِتَعْلَمُوا) باختلاف الجديدين (عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ) يعنى حساب الآجال ومواسم الأعمال ولو كانا مثلين لما عرف الليل من النهار ولا استراح حراص المكتسبين والتجار (وَكُلَّ شَيْءٍ) مما تفتقرون إليه فى دينكم ودنياكم (فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا) بيناه بيانا غير ملتبس فأزحنا عللكم وما تركنا لكم حجة علينا (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ) عمله (فِي عُنُقِهِ) يعنى أن عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل للعنق لا يفك عنه (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ) هو صفة لكتابا. يُلقّاه شامى (مَنشُورًا) حال من يلقاه يعنى غير مطوى ليمكنه قراءته أو هما صفتان للكتاب ونقول له (اقْرَأْ كِتَابَكَ) أى كتاب أعمالك وكل يبعث قارئاً (كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ) الباء زائدة أى كفى نفسك (حَسِيبًا) تمييز وهو بمعنى حاسب وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا أو بمعنى الكافى، وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لأن الشاهد يكفى المدعى ماأهمه وإنما ذكر حسيباً لأنه بمنزلة الشهيد والقاضى والأمير إذ الغالب أن يتولى هذه الأمور الرجال فكأنه قيل كفى نفسك رجلا حسيباً أو تؤول النفس بالشخص (مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا) أى فلها ثواب الاهتداء وعليها وبال الضلال (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ) أى كل نفس حاملة وزرا فإنما تحمل وزرها لاوزر نفس أخرى (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) وما صح منا أن نعذب قوما عذاب استئصال فى الدنيا إلا بعد أن نرسل إليهم رسولا يلزمهم الحجة (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً) أى أهل قرية (أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا) متنعميها وجبابرتها بالطاعة عن أبى عمرو والزجاج (فَفَسَقُوا فِيهَا) أى خرجوا عن الأمر كقولك أمرته فعصى أو أمرنا كثرنا، دليله قراءة يعقوب أمّرنا ومنه الحديث «خير المال سكة مأبورة ومهرة مأمورة» أى كثيرة النسل (فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ) فوجب عليها الوعيد (فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا) فأهلكناها إهلاكا (وَكَمْ) مفعول (أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ) بيان لكم (مِن بَعْدِ نُوحٍ) يعنى عادا وثمود وغيرها (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ

خَبِيرًا) وإن أخفوها فى الصدور (بَصِيرًا) وإن أرخوا عليها الستور (مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَآءُ) لا مايشاء (لِمَن نُّرِيدُ) بدل من له بإعادة الجار وهو بدل البعض من الكل إذ الضمير يرجع إلى من أى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد المعجل بمشيئته والمعجل له بإرادته وهكذا الحال ترى كثيراً من هؤلاء يتمنون مايتمنون ولا يعطون إلا بعضا منه وكثيراً منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة وأما المؤمن التقى فقد اختار غنى الآخرة فإن أوتى حظا من الدنيا فبها وإلا فربما كان الفقر خيراً له (ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ) فى الآخرة (يَصْلَاهَا) يدخلها (مَذْمُومًا) ممقوتا (مَّدْحُورًا) مطروداً من رحمة الله (وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا) هو مفعول به أو حقها من السعى وكفاءها من الأعمال الصالحة (وَهُوَ مُؤْمِنٌ) مصدق لله فى وعده ووعيده (فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُوراً) مقبولا عند الله مثابا عليه عن بعض السلف من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله: إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا الآية فإنه شرط فيها ثلاث شرائط فى كون السعى مشكوراً إرادة الآخرة والسعى فيما كلف والإيمان الثابت (كُلاًّ) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض عن المضاف إليه وهو منصوب بقوله (نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ) بدل من كلا أى نمد هؤلاء (وَهَٰؤُلَاءِ) أى من أراد العاجلة ومن أراد الآخرة (مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ) رزقه ومن تتعلق بنمد والعطاء اسم للمعطى أى نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مدداً للسالف لانقطعه فنرزق المطيع والعاصى جميعاً على وجه التفضل (وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ممنوعا عن عباده وإن عصوا (انظُرْ) بعين الاعتبار (كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ) فى المال والجاه والسعة والكمال (وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا) روى أن قوماً من الأشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضى الله عنه فخرج الإذن لبلال وصهيب فشق على أبى سفيان فقال سهيل بن عمرو: إنما أتينا من قبلنا. إنهم دعوا ودعينا يعنى إلى الإسلام فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت فى الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله لهم فى الجنة أكثر (لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ) الخطاب للنبى ﷺ والمراد به أمته (فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا) فتصير جامعاً على نفسك الذم والخذلان وقيل مشتوما بالإهانة محروما عن الإعانة إذ الخذلان ضد النصر والعون. دليله

قوله تعالى: إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده. حيث ذكر الخذلان بمقابلة النصر (وَقَضَىٰ رَبُّكَ) وأمر أمراً مقطوعاً به (أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ) أن مفسرة ولاتعبدوا نهى أو بأن لاتعبدوا (وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا) وأحسنوا بالوالدين إحساناً أو بأن تحسنوا بالوالدين إحسانا (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ) إما هى ان الشرطية زيدت عليها ما تأكيداً لها ولذا دخلت النون المؤكدة فى الفعل ولو أفردت إن لم يصح دخولها لا تقول إن تكرمن زيداً يكرمك ولكن إما تكرمنه (أَحَدُهُمَآ) فاعل يبلغن وهو فى قراءة حمزة وعلى يبلغان بدل من ألف الضمير الراجع إلى الوالدين (أَوْ كِلَاهُمَا) عطف على أحدهما فاعلا وبدلا (فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ) مدنى وحفص. أفَّ مكى وشامى. أفُّ غيرهم وهو صوت يدل على تضجر فالكسر على أصل التقاء الساكنين والفتح للتخفيف والتنوين لإرادة التنكير أى أتضجر تضجرا وتركه لقصد التعريف أى أتضجر التضجر المعلوم (وَلَا تَنْهَرْهُمَا) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لايعجبك والنهى والنهر أخوان (وَقُل لَّهُمَا) بدل التأفيف والنهر (قَوْلًا كَرِيمًا) جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب أو هو أن يقول ياأبتاه ياأماه ولا يدعوهما بأسمائهما فإنه من الجفاء ولا بأس به فى غير وجهه كما قالت عائشة رضى الله عنها: نحلنى أبو بكر كذا، وفائدة عندك أنهما إذا صارا كلا على ولدهما ولا كافل لهما غيره فهما عنده فى بيته وكنفه وذلك أشق عليه فهو مأمور بأن يستعمل معهما لين الخلق حتى لايقول لهما إذا أضجره مايستقذر منهما أف فضلا عمايزيد عليه، ولقد بالغ سبحانه فى التوصية بهما حيث افتتحها بأن شفع الإحسان إليهما بتوحيده ثم ضيق الأمر فى مراعاتهما حتى لم يرخص فى أدنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومع أحوال لايكاد يصبر الإنسان معها (وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ) أى اخفض لهما جناحك كما قال واخفض جناحك للمؤمنين فأضافه إلى الذل كما أضيف حاتم إلى الجود والمعنى واخفض لهما جناحك الذليل (مِنَ ٱلرَّحْمَةِ) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس وقال الزجاج وألن جانبك متذللا لهما من مبالغتك فى الرحمة لهما (وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا) ولا تكتف برحمتك عليهما التى لابقاء لها وادع الله بأن يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك والمراد بالخطاب غيره عليه السلام والدعاء مختص بالأبوين المسلمين وقيل إذا كانا

كافرين له أن يسترحم لهما بشرط الإيمان وأن يدعو الله لهما بالهداية وعن النبي ﷺ «رضا الله في رضا الوالدين وسخطه في سخطهما» . وروى يفعل البار ماشاء أن يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق ماشاء أن يفعل فلن يدخل الجنة وعنه عليه السلام «إياكم وعقوق الوالدين فإن الجنة يوجد ريحها من مسيرة ألف عام ولا يجد عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار إزاره خيلاء إن الكبرياء لله رب العالمين» (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ) بما في ضمائركم من قصد البر إلى الوالدين ومن النشاط والكرامة في خدمتهما (إِن تَكُونُوا صَٰلِحِينَ) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم في حال الغضب وعند حرج الصدر هنة تؤدى إلى أذاهما ثم أبتم إلى الله واستغفرتم منها (فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا) الأواب الذى إذا أذنب بادر إلى التوبة فجاز أن يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجانى على أبويه التائب من جنايته لوروده على أثره (وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ) منك (حَقَّهُ) أى النفقة إذا كانوا محارم فقراء (وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ) أى وآت هؤلاء حقهم من الزكاة (وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) ولا تسرف إسرافا قيل التبذير تفريق المال في غير الحل والمحل فمن مجاهد لو أنفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد أنفق بعضهم نفقة في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير (إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَٰطِينِ) أمثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لأنه لا شر من الشيطان أوهم إخوانهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف (وَكَانَ الشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا) فما ينبغي أن يطاع فإنه لا يدعو إلا إلى مثل فعله (وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ) وإن أعرضت عن ذى القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا) أى وإن أعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو أن يفتح لك فسمى الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لأن فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب يقال يسر الأمر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه: فقل لهم رزقنا الله وإياكم من فضله على أنه دعاء لهم يسر عليهم فقرهم كأن معناه قولا ذا ميسور وهو اليسر أى دعاء فيه يسر وابتغاء مفعول له أو مصدر في موضع الحال وترجوها حال (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ) كل نصب على المصدر

لإضافته إليه وهذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر باقتصاد الذى هو بين الإسراف والتقتير (فَتَقْعُدَ مَلُوماً) فتصير ملوما عندالله لأن المسرف غيرمرضى عنده وعندالناس يقول الفقير أعطى فلاناوحرمنى ويقول الغنى مايحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك إذا احتجت فندمت على مافعلت (مَّحْسُوراً) منقطعا بك لاشىء عندك من حسره السفر إذاأثرفيهأثرا بليغا أو عاريا من حسر رأسه وقدخاطرت مسلمة ضرتها اليهودية فى أنه يعنى محمداعليه السلام أجود من موسى عليه السلام فبعثت ابنتها تسأله قميصه الذى عليه فدفعه وقعدعريانا فأقيمت الصلاة فلم يخرج للصلاة فنزلت ثم سلى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضاقة بأن ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لأن بسط الأرزاق وقدرها مفوض إلى الله تعالى فقال (إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ) فليس البسط إليك (وَيَقْدِرُ) أى هو يضيق فلا لوم عليك (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً) بمصالحهم فيمضيها (بَصِيراً) بحوائجهم فيقضيها (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَدَكُمْ) قتلهم أولادهم وأدهم بناتهم (خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ) فقر (نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ) نهاهم عن ذلك وضمن أرزاقهم (إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيراً) إثما عظيما يقال خطىء خطأ كأثم إثما. خطأ شامى وهوضد الصواب اسم من أخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر خطاء بالمد والكسر مكى (وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ) القصر فيه أكثر والمدلغة وقد قرىء به وهو نهى عن دواعى الزنا كالمس والقبلة ونحوهما ولو أريد النهى عن نفس الزنا لقال ولا تزنوا (إِنَّهُ كَانَ فَٰحِشَةً) معصيه مجاوزة حد الشرع والعقل (وَسَآءَ سَبِيلًا) وبئس طريقا طريقه (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ) أى بارتكاب مايبيح الدم (وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا) غير مرتكب مايبيح الدم (فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَٰنًا) تسلطا على القاتل فى الاقتصاص منه (فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ) الضمير للولى أى فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة أهل الجاهلية أو الإسراف المثلة أوالضمير للقاتل الأول فلا تسرف حزة وعلى على خطاب الولى أو قاتل المظلوم (إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا) الضمير للولى أى حسبه أن الله قدنصره بأن أوجب له القصاص فلايستزد على ذلك أوللمظلوم أى الله ناصره حيث أوجب القصاص بقتله وينصره فى الآخرة بالثواب أو للذى يقتله الولى بغير حق ويسرف فى قتله فإنه كان منصوراً بإيجاب القصاص على المسرف. وظاهر الآية يدل على أن القصاص يجرى بين الحر والعبد وبين المسلم والذمى لأن

أنفس أهل الذمة والعبيد داخله فى الآية لكونها محرمة (وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) بالخصلة والطريقه التى هى أحسن وهى حفظه وتثميره (حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) أى ثمانى عشرة سنة (وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ) بأوامر الله تعالى ونواهيه (إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا) مطلوبا يطلب من المعاهد أن لا يضيعه ويفى به أو إن صاحب العهد كان مسئولا (وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ) بكسر القاف حمزة وعلى وحفص وهو كل ميزان صغير أو كبير من موازين الدراهم وغيرها وقيل هو القرسطون أى القبان (الْمُسْتَقِيمِ) المعتدل (ذَٰلِكَ خَيْرٌ) فى الدنيا (وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) عاقبة وهو تفعيل من آل إذا رجع وهو ما يئول إليه (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) ولا تتبع مالم تعلم أى لا تقل رأيت وما رأيت وسمعت وما سمعت وعن ابن الحنفية لا تشهد بالزور وعن ابن عباس لا ترم أحدا بما لا تعلم. ولا يصح التثبت به لمبطل الاجتهاد لأن ذلك نوع من العلم فإن علمتموهن مؤمنات وأقام الشارع غالب الظن مقام العلم وأمر بالعمل به كما فى الشهادات ولنا فى العمل بخبر الواحد لما ذكرنا (إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد لأن أولئك كما يكون إشارة إلى العقلاء يكون إشارة إلى غيرهم كقول جرير.

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام

وعنه فى موضع الرفع بالفاعلية أى كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسئول مسند إلى الجار والمجرور كالمغضوب فى غير المغضوب عليهم. يقال للإنسان لم سمعت مالم يحل لك سماعه ولم نظرت إلى ما لم يحل لك النظر إليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه كذا فى الكشاف وفيه نظر لبعضهم لأن الجار والمجرور إنما يقومان مقام الفاعل إذا تأخرا عن الفعل فأما إذا تقدما فلا (وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) هو حال أى ذا مرح (إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطئتك (وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال أولن تحاذيها قوة وهو حال من الفاعل أو المفعول (كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ) كوفى وشامى على إضافة سيىء إلى ضمير كل. سيئة غيرهم (عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) ذكر مكروها لأن السيئة فى حكم الأسماء بمنزلة الذنب والإثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ألا تراك تقول. الزنا سيئة، كما تقول: السرقة سيئة، فإن قلت الخصال المذكورة بعضها

سيىء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالإضافة أى ما كان من المذكور سيئا كان عند الله مكروها فماوجه قراءة من قرأ سيئة قلت كل ذلك إحاطة بما نهى عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذَٰلِكَ) إشارة إلى ماتقدم من قوله لاتجعل مع الله إلٰها آخر إلى هذه الغاية (مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ) مما يحكم العقل بصحته وتصلح النفس بأسوته (وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) مطروداً من الرحمة عن ابن عباس رضى الله عنهما هذه الثمانى عشرة آية كانت فى ألواح موسى عليه السلام أولها لاتجعل مع الله إلٰها آخر وآخرها مدحوراً ولقد جعلت فاتحتها وخاتمتها النهى عن الشرك لأن التوحيد رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمة وإن بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة أسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم ثم خاطب الذين قالوا الملائكة بنات الله بقوله (أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ) الهمزة للإنكار يعنى أفخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بأفضل الأولاد وهم البنون (وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا) واتخذ أدونهم وهى البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم فالعبيد لايؤثرون بأجود الأشياء وأصفاها ويكون أردؤها وأدونها للسادات (إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا) حيث أضفتم إليه الأولاد وهى من خواص الأجسام ثم فضلتم عليه أنفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ) أى التنزيل والمراد ولقد صرفناه أى هذا المعنى فى مواضع من التنزيل فترك الضمير لأنه معلوم (لِيَذَّكَّرُوا) وبالتخفيف حمزة وعلى أى كررناه ليتعظوا (وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) عن الحق وكان الثورى إذ قرأها يقول زادنى لك خضوعا مازاد أعداءك نفوراً (قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥ) مع الله (ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ) وبالياء مكى وحفص (إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا) يعنى لطلبوا إلى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض أو لتقربوا إليه كقوله: أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة. وإذا دالة على أن مابعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ) وبالتاء حمزة وعلى (عُلُوًّا) أى تعاليا والمراد البراءة من ذلك والنزاهة (كَبِيرًا) وصف العلو بالكبر مبالغة فى معنى البراءة والبعد مما وصفوه به (تُسَبِّحُ) وبالتاء عراقى غير أبى بكر (لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ

بِحَمْدِهِ) أى يقول سبحان الله وبحمده. عن السدى قال عليه السلام «ما اصطيد حوت فى البحر ولا طائر يطير إلا بما يضيع من تسبيح الله تعالى» (وَلَٰكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) لاختلاف اللغات أولتعسر الإدراك أو سبب لتسبيح الناظر إليه، والدال على الخير كفاعله. والوجه الأول (إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً) عن جهل العباد (غَفُوراً) لذنوب المؤمنين (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَاباً مَّسْتُوراً) ذا ستر أو حجابا لايرى فهو مستور (وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً) جمع كنان وهو الذى يستر الشىء (أَن يَفْقَهُوهُ) كراهة أن يفقهوه (وَفِى ءَاذَانِهِمْ وَقْراً) ثقلا يمنع عن الاستماع (وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءَانِ وَحْدَهُ) يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة فهو مصدر سد مسد الحال أصله يحد وحده بمعنى واحدا (وَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ) رجعوا على أعقابهم (نُفُوراً) مصدر بمعنى التولية أو جمع نافر كقاعد وقعود أى يحبون أن تذكر معه آلهتهم لأنهم مشركون فإذا سمعوا بالتوحيد نفروا (نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ) أى نحن أعلم بالحال أو الطريقة التى يستمعون القرآن بها فالقرآن هو المستمع وهو محذوف وبه حال وبيان لما أى يستمعون القرآن هازئين لا جادين والواجب عليهم أن يستمعوه جادين (إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ) نصب بأعلم أى أعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ) وبما يتناجون به إذهم ذوو نجوى (إِذْ يَقُولُ الظَّٰلِمُونَ) بدل من إذ هم (إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلًا مَّسْحُوراً) سحر فجن (انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) أى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى التيه طريقاً يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير فى أمره لايدرى ما يصنع (وَقَالُوٓا) أى منكرو البعث (أَءِذَا كُنَّا عِظَٰماً وَرُفَٰتاً أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً) أى مجدداً وخلقاً حال أى مخلوقين (قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً أَوْ خَلْقاً مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ) أى السموات والأرض فإنها تكبر عندكم عن قبول الحياة (فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ) يعيدكم (الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) والمعنى أنكم تستبعدون أن يجدد الله خلقكم ويرده إلى حال الحياة بعد ما كنتم عظاما يابسة مع أن العظام بعض أجزاء الحى بل هى عمود خلقه الذى يبنى عليه سائره فليس ببدع أن يردها الله بقدرته إلى الحالة الأولى ولكن لو كنتم أبعد شىء من الحياة وهو أن تكونوا حجارة أو حديدا لكان قادراً على أن يردكم إلى حال

الحياة (فَسَيُنغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء (وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ) أى البعث استبعاداً له ونفياً (قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيباً) أى هو قريب وعسى للوجوب (يَوْمَ يَدْعُوكُمْ) إلى المحاسبة وهو يوم القيامة (فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ) أى تجيبون حامدين والباء للحال. عن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً) أى لبثا قليلا أو زمانا قليلا فى الدنيا أو فى القبر (وَقُل لِّعِبَادِى) وقل للمؤمنين (يَقُولُوا) للمشركين الكلمة (الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ) وألين ولا يخاشنوهم وهي أن يقولوا يهديكم الله (إِنَّ الشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ) يلقى بينهم الفساد ويغرى بعضهم على بعض ليوقع بينهم المشاقة. والنزغ: إيقاع الشر وإفساد ذات البين وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان (إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِيناً) ظاهر العداوة أو فسر التى هى أحسن بقوله (رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ) بالهداية والتوفيق (أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ) بالخذلان أى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم إنكم من أهل النار وإنكم معذبون وما أشبه ذلك مما يغيظهم ويهيجهم على الشر وقوله: إن الشيطان ينزغ بينهم. اعتراض (وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً) حافظا لأعمالهم وموكولا إليك أمرهم وإنما أرسلناك بشيراً ونذيراً فدارهم ومر أصحابك بالمداراة (وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) وبأحوالهم وبكل مايستأهل كل واحد منهم (وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ) فيه إشارة إلى تفضيل رسول الله ﷺ وقوله (وَءَاتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً) دلالة على وجه تفضيله وأنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب فى زبور داود قال الله تعالى: ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون. وهم محمد وأمته ولم يعرف الزبور هنا وعرفه فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور لأنه كالعباس وعباس والفضل وفضل (قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم) أنها آلهتكم (مِّن دُونِهِ) من دون الله وهم الملائكة أو عيسى وعزير أو نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم أسلم الجن ولم يشعروا (فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلاً) أى ادعوهم فهم لا يستطيعون أن يكشفوا عنكم الضر من مرض أو فقر أو عذاب ولا أن يحولوه من واحد إلى آخر (أُولَٰٓئِكَ) مبتدأ (الَّذِينَ يَدْعُونَ) صفة أى يدعونهم آلهة أو يعبدونهم والخبر (يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ) يعنى

أن آلهتهم أولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة إلى الله عز وجل (أَيُّهُمْ) بدل من واو يبتغون وأى موصولة أى يبتغى من هو (أَقْرَبُ) منهم الوسيلة إلى الله فكيف بغير الأقرب أو ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير (وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) كغيرهم من عباد الله فكيف يزعمون أنهم آلهة (إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً) حقيقاً بأن يحذره كل أحد من ملك مقرب ونبي مرسل فضلا عن غيرهم (وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً) قبل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة (كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَٰبِ) فى اللوح المحفوظ (مَسْطُوراً) مكتوباً وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك فى تفسيرها أما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف أما خراسان فعذابها ضروب وأما بلخ فتصيبهم هدة فيهلك أهلها وأما بدخشان فيخربها أقوام وأما ترمذ فأهلها يموتون بالطاعون وأما صغانيان إلى واشجرد فيقتلون بقتل ذريع وأما سمرقند فيغلب عليها بنو قنطوراء فيقتلون أهلها قتلا ذريعاً وكذا فرغانة والشاش واسبيجاب وخوارزم وأما بخارى فهى أرض الجبابرة فيموتون قحطاً وجوعاً وأما مرو فيغلب عليها الرمل ويهلك بها العلماء والعباد وأما هراة فيمطرون بالحيات فتأكلهم أكلا وأما نيسابور فيصيب أهلها رعد وبرق وظلمة فيهلك أكثرهم وأما الرى فيغلب عليها الطبرية والديلم فيقتلونهم وأما أرمينية وأذربيجان فيهلكها سنابك الخيول والجيوش والصواعق والرواجف وأما همذان فالديلم يدخلها ويخربها وأما حلوان فتمر بها ريح ساكنة وهم نيام فيصبح أهلها قردة وخنازير ثم يخرج رجل من جهينة فيدخل مصر فويل لأهلها ولأهل دمشق وويل لأهل إفريقية وويل لأهل الرملة ولا يدخل بيت المقدس وأما سجستان فيصيبهم ريح عاصف أياماً ثم هدة تأتيهم ويموت فيها العلماء وأما كرمان وأصبهان وفارس فيأتيهم عدو وصاحوا صيحة تنخلع القلوب وتموت الأبدان (وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) استعير المنع لترك إرسال الآيات وأن الأولى مع صلتها فى موضع النصب لأنها مفعول ثان لمنعنا وأن الثانية مع صلتها فى موضع الرفع لأنها فاعل منعنا والتقدير وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأولين والمراد الآيات التى اقترحها قريش من قلب الصفا ذهبا

ومن إحياء الموتى وغير ذلك وسنة الله فى الأمم أن من اقترح منهم آية فأجيب إليها ثم لم يؤمن أن يعاجل بعذاب الاستئصال والمعنى وما منعنا عن إرسال ما يقترحونه من الآيات إلا أن كذب بها الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وأنها لو أرسلت لكذبوا بها تكذيب أولئك وعذبوا العذاب المستأصل وقد حكمنا أن نؤخر أمر من بعثت إليهم إلى يوم القيامة ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الأولون ثم كذبوا بها لما أرسلت فأهلكوا واحدة وهى ناقة صالح عليه السلام لأن آثار هلاكهم قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم فقال (وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ) باقتراحهم (مُبْصِرَةً) آية بينة (فَظَلَمُوا بِهَا) فكفروا بها (وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَٰتِ) إن أراد بها الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (إِلَّا تَخْوِيفًا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فإن لم يخافوا وقع عليهم وإن أراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها إلا تخويفاً وإنذاراً بعذاب الآخرة وهو مفعول له (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِى أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ) واذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش علما وقدرة فكلهم فى قبضته فلا تبال بهم وامض لأمرك وبلغ ما أرسلت به أو بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله: سيهزم الجمع ويولون الدبر. قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد. فجعله كأن قد كان ووجد فقال أحاط بالناس على سنته فى إخباره ولعل الله تعالى أراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر «والله لكأنى أنظر إلى مصارع القوم» وهو يومىء إلى الأرض ويقول «هذا مصرع فلان» فتسامعت قريشا بما أوحى إلى رسول الله ﷺ من أمر بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء (وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ) أى وما جعلنا الشجرة الملعونة فى القرآن إلا فتنة للناس فإنهم حين سمعوا بقوله إن شجرة الزقوم طعام الأثيم جعلوها سخرية وقالوا إن محمدا يزعم أن الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول تنبت فيها الشجرة وما قدروا الله حق قدره إذا قالوا ذلك فإنه لا يمتنع أن يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فوبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك يتخذ منه مناديل إذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر فلا يضرها وخلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فجاز أن

يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى أن الآيات إنما ترسل تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر وخوفوا بعذاب الآخرة وبشجرة الزقوم فما أثر فيهم ثم قال (وَنُخَوِّفُهُمْ) أى بمخاوف الدنيا والآخرة (فَمَا يَزِيدُهُمْ) التخويف (إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بإرسال مايقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الإسراء والفتنة ارتداد من استعظم ذلك وبه تعلق من يقول كان الإسراء فى المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وإنما سماها رؤيا على قـول المـكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها استبعادا منهم كما سمى أشياء بأساميها عند الـكفرة كقوله فراغ إلى آلهتهم أين شركائى أو هى رؤيا أنه سيدخل مكة والفتنة الصد بالحديبية فإن قلت ليس فى القرآن ذكر لعن شجرة الزقوم قلت معناه والشجرة الملعون آكلها وهم الـكفرة لأنه قال ثم إنكم أيها الضالون المـكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فوصفت بلعن أهلها على المجاز ولأن العرب تقـول لـكل طعام مكروه ضار ملعون ولأن اللعن هو الإبعاد من الرحمة وهى فى أصل الجحيم فى أبعدمكان من الرحمة (وَإِذْقُلْنَا لِلْمَلَٰـئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً) هو تمييز أو حال من الموصول والعامل فيه أأسجد على أأسجد له وهو طين أى أصله طين (قَالَ أَرَءَيْتَـكَ هَٰذَا الَّذِى) الـكاف لا موضع لها لأنها ذكرت للخطاب تأكيدا هذا مفعول به والمعنى أخبرنى عن هذا الذى (كَرَّمْتَ عَلَىَّ) أى فضلته، لم كرمته على وأنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين فحذف ذلك اختصارا لدلالة ماتقدم عليه ثم ابتدأ فقال (لَئِنْ أَخَّرْتَنِ) وبلا ياء كوفى وشامى واللام موطئة للقسم المحذوف (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَٰمَـةِ لَأَحْتَنِـكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ) لأستأصلنهم بإغوائهم (إِلاَّ قَلِيلًا) وهم المخلصون قيل من كل ألف واحد وإنما علم الملعون ذلك بالإعلام أولأنه رأى أنه خلق شهوانى (قَالَ اذْهَبْ)ليس من الذهاب الذى هوضد المجىء وإنمامعناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا وتخلية ثم عقبه بذكر ما جره سوء اختياره فقال (فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ) والتقدير فإن جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم وانتصب (جَزَآءً مَّوْفُوراً) أى موفرا بإضمار تجازون (وَاسْتَفْزِزْ) استزل أواستخف استفزه أى استخفه والفز الخفيف (مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ) بالوسوسة أو بالغناء أو بالمزمار (وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم) اجمع

وصح بهم من الجلبة وهو الصياح (بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ) بكل راكب وماش من أهل العيث فالخيل الخيالة والرجل اسم جمع للراجل ونظيره الركب والصحب ورجلك حفص على أن فعلا بمعنى فاعل كتعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وهذا لأن أقصى مايستطاع فى طلب الأمور الخيل والرجل وقيل يجوز أن يكون لإبليس خيل ورجال (وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَٰلِ وَالْأَوْلَٰدِ) قال الزجاج كل معصية فى مال وولد فإبليس شريكهم فيها كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والإنفاق فى الفسوق والإسراف ومنع الزكاة والتوصل إلى الأولاد بالسبب الحرام والتسمية بعبد العزى وعبد شمس (وَعِدْهُمْ) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالأنساب الشريفة وإيثار العاجل على الآجل ونحو ذلك (وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا) هو تزيين الخطأ بما يوهم أنه صواب (إِنَّ عِبَادِى)الصالحين (لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ) يد بتبديل الإيمان ولكن بتسويل العصيان (وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك أو حافظا لهم عنك والكل أمر تهديد فيعاقب به أو إهانة أى لا يخل ذلك بملكى (رَبُّكُمُ الَّذِى يُزْجِى) يجرى ويسير (لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ) يعنى الربح فى التجارة (إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ) أى خوف الغرق (ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ) ذهب عن أوهامكم كل من تدعونه فى حوادثكم إلا إياه وحده فإنكم لا تذكرون سواه أو ضل من تدعون من الآلهة عن إغاثتكم ولكن الله وحده الذى ترجونه على الاستثناء المنقطع (فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ) عن الإخلاص بعد الخلاص (وَكَانَ الْإِنسَٰنُ) أى الكافر (كَفُورًا) للنعم (أَفَأَمِنتُمْ) الهمزة للإنكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فأمنتم فحملكم ذلك على الإعراض (أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ) انتصب جانب بيخسف مفعولا به كالأرض فى قوله فخسفنا به وبداره الأرض وبكم حال والمعنى أن يخسف جانب البر أى يقلبه وأنتم عليه والحاصل أن الجوانب كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان أو بحرا سبب من أسباب الهلاك ليس جانب البحر وحده مختصا به بل إن كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر الخسف وهو تغييب تحت التراب والغرق تغييب

تحت الماء فعلى العاقل أن يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا) هى الريح التى تحصب أى ترمى بالحصباء يعنى أوان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف أصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا) يصرف ذلك عنكم (أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ) أى أم أمنتم أن يقوى دواعيكم ويوفر حوائجكم إلى أن ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فأعرضتم فينتقم منكم بأن يرسل عليكم (قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ) وهى الريح التى لها قصيف وهو الصوت الشديد أو هو الكاسر للفلك (فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ) بكفرانكم النعمة وهو إعراضكم حين نجاكم (ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا) مطالبا من قوله فاتباع بالمعروف أى مطالبة والمعنى إنا نفعل ماتفعل بهم ثم لاتجدوا أحداً يطالبنا بما فعلنا انتصاراً منا ودركا للثأر من جهتنا وهذا نحو قوله: ولايخاف عقباها. أن نخسف أو نرسل أن نعيدكم فنرسل فنغرقكم بالنون مكى وأبوعمرو (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ) بالعقل والنطق والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير أمر المعاش والمعاد والاستيلاء وتسخير الأشياء وتناول الطعام بالأيدى وعن الرشيد أنه أحضر طعاماً فدعا بالملاعق وعنده أبو يوسف رحمه الله تعالى فقال له جاء فى تفسير جدك ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ولقد كرمنا بنى آدم جعلنا لهم أصابع يأكلون بها فأحضرت الملاعق فردها وأكل بأصابعه (وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ) على الدواب (وَالْبَحْرِ) على السفن (وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ) باللذيذات أو بما كسبت أيديهم (وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) أى على الكل كقوله وأكثرهم كاذبون قال الحسن أى كلهم وقوله وما يتبع أكثرهم إلا ظنا ذكر فى الكشاف أن المراد بالأكثر الجميع وعنه عليه السلام: «المؤمن أكرم على الله من الملائكة» وهذا لأنهم مجبولون على الطاعة ففيهم عقل بلا شهوة وفى البهائم شهوة بلا عقل وفى الآدمى كلاهما فمن غلب عقله شهوته فهو أكرم من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم ولأنه خلق الكل لهم وخلقهم لنفسه (يَوْمَ نَدْعُوا) منصوب باذكر (كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ) الباء للحال والتقدير مختلطين بإمامهم أى بمن ائتموا به من نبى أو مقدم فى الدين أو كتاب أو دين فيقال يا أتباع فلان يا أهل دين كذا

أو كتاب كذا وقيل بكتاب أعمالهم فيقال يا أصحاب كتاب الخير ويا أصحاب كتاب الشر (فَمَنْ أُوتِيَ) من هؤلاء المدعوين (كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ) وإنما قيل أولئك لأن من فى معنى الجمع (وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) ولا ينقصون من ثوابهم أدنى شيء ولم يذكر الكفار وإيتاء كتبهم بشمالهم اكتفاء بقوله (وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ) الدنيا (أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ) كذلك (وَأَضَلُّ سَبِيلًا) من الأعمى أى أضل طريقاً، والأعمى مستعار ممن لايدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لايهتدى إلى طريق النجاة أما فى الدنيا فلفقد النظر وأما فى الآخرة فلأنه لاينفعه الاهتداء إليه وقد جوّزوا أن يكون الثانى بمعنى التفضيل بدليل عطف وأضل ومن ثم قرأ أبو عمرو الأول ممالًا والثانى مفخما لأن أفعل التفضيل تمامه بمن فكانت ألفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلمة فلا يقبل الإمالة وأما الأول فلم يتعلق به شيء فكانت ألفه واقعة فى الطرف فقبلت الإمالة، وأمالهما حمزة وعلى وفخمهما الباقون ولما قالت قريش اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك نزل (وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ) إن مخففة من الثقيلة واللام فارقة بينها وبين النافية والمعنى إن الشأن قاربوا أن يفتنوك أى يخدعوك فاتنين (عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ) من أوامرنا ونواهينا ووعدنا وعيدنا (لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اقترحوه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا (وَإِذًا لَّاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا) أى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك خليلا ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ) ولولا تثبيتنا وعصمتنا (لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ) لقاربت أن تميل إلى مكرهم (شَيْئًا قَلِيلًا) ركونا قليلا وهذا تهييج من الله وفضل تثبيت (إِذًا) لو قاربت تركن إليهم أدنى ركنة (لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ) لأذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين لعظيم ذنبك بشرف منزلتك ونبوتك كما قال: يانساء النبى من يأت منكن بفاحشة. الآية وأصل الكلام لأذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لأن العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والعذاب يوصف بالضعف كقوله فآتهم عذابا ضعفا من النار أى مضاعفا فكأن أصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا فى الحياة وعذابا ضعفا فى الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف

ثم أضيفت الصفة إضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات ويجوز أن يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات مايعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار وفى ذكر الكيدودة وتقليلها مع إتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف فى الدارين دليل على أن القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شأن فاعله ولما نزلت كان عليه السلام يقول : « اللهم لا تكلنى إلى نفسى طرفة عين » (ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً) معيناً لك يمنع عذابنا عنك (وَإِن كَادُوا) أى أهل مكة (لَيَسْتَفِزُّونَكَ) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (مِنَ الْأَرْضِ) من أرض مكة (لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ) لايبقون (خِلَٰفَكَ) بعدك أى بعد إخراجك خلافك كوفى غير أبى بكر وشامى بمعناه (إِلَّا قَلِيلًا) زمانا قليلا فإن الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد إخراجه بقليل أو معناه ولو أخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة أبيهم ولم يخرجوه بل هاجر بأمر ربه وقيل من أرض العرب أو من أرض المدينة (سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا) يعنى أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله أن يهلكهم ونصبت نصب المصدر المؤكد أى سن الله ذلك سنة (وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا) تبديلا (أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ) لزوالها وعلى هذا الآية جامعة للصلوات الخمس أو لغروبها وعلى هذا يخرج الظهر والعصر (إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ) هو الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لكونها ركنا كما سميت ركوعا وسجودا وهو حجة على الأصم حيث زعم أن القراءة ليست بركن أو سميت قرآنا لطول قراءتها وهو عطف على الصلاة (إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو فى آخر ديوان الليل وأول ديوان النهار أو يشهده الكثير من المصلين فى العادة (وَمِنَ الَّيْلِ) وعليك بعض الليل (فَتَهَجَّدْ) والتهجد ترك الهجود للصلاة ويقال فى النوم أيضاً تهجد (بِهِ) بالقرآن (نَافِلَةً لَّكَ) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجداً لأن التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى أن التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة غنيمة لك أو فريضة عليك خاصة دون غيرك لأنه تطوع لهم (عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) نصب

على الظرف أى عسى أن يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاماً محموداً أوضمن يبعثك معنى يقيمك وهومقام الشفاعة عندالجمهور ويدل عليه الأخبار أو هو مقام يعطى فيه لواء الحمد (وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ) هو مصدر أى أدخلنى القبر إدخالا مرضيا على طهارة من الزلات (وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ) أى أخرجنى منه عند البعث إخراجا مرضيا ملقى بالكرامة آمنا من الملامة دليله ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين أمر بالهجرة يريد إدخال المدينة والإخراج من مكة أو هو عام فى كل مايدخل فيه ويلابسه من أمر ومكان (وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا) حجة تنصرنى على من خالفنى أو ملكا وعزا قويا ناصراً للإسلام على الكفر مظهراً له عليه (وَقُلْ جَآءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَزَهَقَ) وذهب وهلك (الْبَـٰطِلُ) الشرك أو جاء القرآن وهلك الشيطان (إِنَّ الْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا) كان مضمحلا فى كل أوان (وَنُنَزِّلُ) وبالتخفيف أبو عمرو (مِنَ الْقُرْءَانِ) من للتبيين (مَاهُوَ شِفَآءٌ) من أمراض القلوب (وَرَحْمَةٌ) وتفريج للكروب وتطهير للعيوب وتكفير للذنوب (لِّلْمُؤْمِنِينَ) وفى الحديث «من لم يستشف بالقرآن فلاشفاه الله» (وَلَا يَزِيدُ الظَّـٰلِمِينَ) الكافرين (إِلَّا خَسَارًا) ضلالا لتكذيبهم به وكفرهم (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَـٰنِ) بالصحة والسعة (أَعْرَضَ) عن ذكر الله أو أنعمنا بالقرآن أعرض (وَنَئَا بِجَانِبِهِ) تأكيد للإعراض لأن الإعراض عن الشىء أن يوليه عرض وجهه والنأى بالجانب أى يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره أو أراد الاستكبار لأن ذلك من عادة المستكبرين نأى بالأمالة حمزة وبكسرها علىّ (وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ) الفقر والمرض أو نازلة من النوازل (كَانَ يَئُوسًا) شديد اليأس من روح الله (قُلْ كُلٌّ) أى كل أحد (يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ) على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلال (فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا) أسد مذهبا وطريقة (وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي) أى من أمر يعلمه ربى، الجمهور على أنه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فأخبر أنه من أمر الله أى مما استأثر بعلمه وعن أبى هريرة لقد مضى النبى ﷺ وما يعلم الروح وقد عجزت الأوائل عن إدراك ماهيته بعد إنفاق الأعمار الطويلة على الخوض فيه والحكمة فى ذلك تعجيز العقل عن إدراك معرفة مخلوق مجاور له ليدل على أنه عن إدراك

خالقه أعجز ولذا رد ماقيل فى حده أنه جسم دقيق هوائى فى كل جزء من الحيوان وقيل هو خلق عظيم روحانى أعظم من الملك وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو جبريل عليه السلام: نزل به الروح الأمين على قلبك. وعن الحسن القرآن دليله: وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا. ولأن به حياة القلوب ومن أمر ربى أى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر وروى أن اليهود بعثت إلى قريش أن سلوه عن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فإن أجاب عن الكل أوسكت عن الكل فليس بنبي وإن أجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم القصتين وأبهم أمر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم وقيل كان السؤال عن خلق الروح يعنى أهو مخلوق أم لا وقوله من أمر ربى دليل خلق الروح فكان هذا جوابا (وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً) الخطاب عام فقد روى أن رسول الله ﷺ لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب أم أنت معنا فيه فقال «بل نحن وأنتم لم تؤت من العلم إلا قليلا» وقيل هو خطاب لليهود خاصة لأنهم قالوا للنبى ﷺ قد أوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا فقيل لهم إن علم التوراة قليل فى جنب علم الله فالقلة والكثرة من الأمور الإضافية فالحكمة التى أوتيها العبد خير كثير فى نفسها إلا أنها إذا أضيفت إلى علم الله تعالى فهى قليلة ثم نبه على نعمة الوحى وعزاه بالصبر على أذى الجدال فى السؤال بقوله (وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ) لنذهبن جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط واللام الداخلة على إن توطئة للقسم والمعنى إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له أثراً (ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً) أى ثم لا تجد لك بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده وإعادته محفوظا مسطوراً (إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا) أى إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك كأن رحمته تتوكل عليه بالرد أو يكون على الاستثناء المنقطع أى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه ونزل جواباً لقول النضر: لو نشاء لقلنا مثل هذا (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا) معيناً ولا يأتون جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز أن يكون جوابا للشرط كقوله:

* يقول لا غائب مالى ولا حرم * لأن الشرط وقع ماضيا أى لو تظاهروا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتأليفه لعجزوا عن الإتيان بمثله (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) رددنا وكررنا (لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه (فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) جحودا وإنما جاز فأبى أكثر الناس إلا كفورا ولم يجز ضربت إلا زيداً لأن أبى متأول بالنفى كأنه قيل فلم يرضوا إلا كفورا ولما تبين إعجاز القرآن وانضمت إليه المعجزات الأخر ولزمتهم الحجة وغلبوا اقترحوا الآيات فعل المبهوت المحجوج المتحير (وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا) وبالتخفيف كوفى (مِنَ الْأَرْضِ) أى مكة (يَنبُوعًا) عينا غزيرة من شأنها أن تنبع بالماء لا تقطع، يفعول من نبع الماء (أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ) والتشديد هنا مجمع عليه (الْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا) وسطها (تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا) بفتح السين مدنى وعاصم أى قطعا يقال أعطنى كسفة من هذا الثوب وبسكون السين غيرهما جمع كسفة كسدرة وسدر يعنون قوله إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء (أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى أو تأتى بالله قبيلا وبالملائكة قبلا كقوله كنت منه ووالدى بريا أومقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه: لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا. أو جماعة حالا من الملائكة (أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ) ذهب (أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَآءِ) تصعد إليها (وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ) لأجل رقيك (حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا) وبالتخفيف أبو عمرو (كِتَٰبًا) أى من السماء فيه تصديقك (نَّقْرَؤُهُ) صفة كتاب (قُلْ) قال مكى وشامى أى قال الرسول (سُبْحَانَ رَبِّي) تعجب من اقتراحاتهم عليه (هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا) أى أنا رسول كسائر الرسل بشر مثلهم وكان الرسل لا يأتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس أمر الآيات إلى إنما هو إلى الله فما بالكم تتخيرونها على (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) يعنى أهل مكة ومحل (أَن يُؤْمِنُوا) نصب بأنه مفعول ثان لمنع (إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ) النبي والقرآن (إِلَّا أَن قَالُوا) فاعل منع والتقدير وما منعهم الإيمان بالقرآن وبنبوة محمد ﷺ إلا قولهم (أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا) أى إلا شبهة تمكنت فى صدورهم

وهى إنكارهم أن يرسل الله البشر، والهمزة فى أبعث الله للإنكار وما أنكروه ففى قضية حكمته منكر[(١)] ثم رد الله عليهم بقوله (قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَٰئِكَةٌ يَمْشُونَ) على أقدامهم كما يمشى الانس ولا يطيرون بأجنحتهم إلى السماء فيسمعوا من أهلها ويعلموا ما يجب علمه (مُطْمَئِنِّينَ) حال أى ساكنين فى الأرض قارين (لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فأما الانس فإنما يرسل الملك إلى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وإرشادهم وبشرا وملكا حالان من رسولا (قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) على أنى بلغت ما أرسلت به إليكم وأنكم كذبتم وعاندتم. شهيدا تمييز أو حال (إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ) المنذرين والمنذرين (خَبِيرًا) عالما بأحوالهم (بَصِيرًا) بأفعالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله عليه السلام ووعيد للكفرة (وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ) وبالياء يعقوب وسهل وافقهما أبو عمرو ومدنى فى الوصل أى من وفقه الله لقبول ما كان من الهدى فهو المهتدى عند الله (وَمَن يُضْلِلْ) أى ومن يخذله ولم يعصمه حتى قبل وساوس الشيطان (فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِ) أى أنصاراً (وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أى يسحبون عليها كقوله يوم يسحبون فى النار على وجوههم وقيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام كيف يمشون على وجوههم قال «إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» (عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا) كما كانوا فى الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق ويتصامون عن استماعه فهم فى الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر أعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم (مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ) طفىء لهبها (زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا) توقدا (ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا) أى ذلك العذاب بسبب أنهم كذبوا بالإعادة بعد الإفناء فجعل الله جزاءهم أن سلط النار على أجزائهم تأكلها ثم يعيدها لا يزالون على ذلك ليزيد فى تحسرهم على تكذيبهم البعث (أَوَلَمْ يَرَوْا) أولم يعلموا (أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ

---

(١) قوله منكر هكذا فى النسخ الخط والطبع ولعل قبله سقطا تقديره خلافه ويدل عليه عبارة الكشاف ونصها وما أنكروه فخلافه هو المنكر عند الله لأن قضية حكمته أن لا يرسل ملك الوحى إلا إلى أمثاله أو إلى الأنبياء اه .

مِثْلَهُمْ) من الإنس (وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ) وهو الموت أو القيامة (فَأَبَى الظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا) جحوداً مع وضوح الدليل (قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ) تقديره لو تملكون أنتم لأن لو تدخل على الأفعال دون الأسماء فلابد من فعل بعدها فأضمر تملك على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل وهو الواو ضمير منفصل وهو أنتم لسقوط مايتصل به من اللفظ فأنتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الإعراب وأما ما يقتضيه علم البيان فهو أن أنتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وأن الناس هم المختصون بالشح المتبالغ (خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّى) رزقه وسائر نعمه على خلقه (إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ) أى لبخلتم خشية أن يفنيه الإنفاق (وَكَانَ الْإِنسَـٰنُ قَتُورًا) بخيلا (وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍ بَيِّنَـٰتٍ) عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى إسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور (فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ) فقلنا له اسأل بنى اسرائيل أى سلهم من فرعون وقل له أرسل معى بنى اسرائيل وقوله (إِذْ جَآءَهُمْ) متعلق بقوله المحذوف أى فقلنا له سلهم حين جاءهم (فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا) سحرت فخولط عقلك (قَالَ) أى موسى (لَقَدْ عَلِمْتَ) يافرعون(مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ) الآيات (إِلَّا رَبُّ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما (بَصَآئِرَ) حال أى بينات مكشوفات إلا أنك معاند ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا. علمت بالضم على أى إنى لست بمسحور كما وصفتنى بل أنا عالم بصحة الأمر وأن هذه الآيات منزلها رب السماوات والأرض ثم قارع ظنه بظنه بقوله (وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا) كأنه قال إن ظننتنى مسحوراً فأنا أظنك مثبوراً هالكا وظنى أصح من ظنك لأن له أمارة ظاهرة وهى إنكارك ماعرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها وأما ظنك فكذب بحت لأن قولك مع علمك بصحة أمرى إنى لأظنك مسحورا قول كذب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير من قولهم ما ثبرك عن هذا أى مامنعك وصرفك (فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم) يخرجهم أى موسى وقومه (مِّنَ الْأَرْضِ) أى أرض مصر أو ينفيهم عن ظهر الأرض بالقتل والاستئصال (فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا) فحاق به مكره بأن استفزه الله بإغراقه مع قبطه (وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ) من بعد فرعون

(لِبَنِى إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ (التى أراد فرعون أن يستفزكم منها) فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ) أى القيامة (جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً) جمعاً مختلطين إياكم وإياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم وأشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ) وما أنزلنا القرآن إلا بالحكمة وما نزل إلا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية إلى كل خير أو ماأنزلناه من السماء إلا بالحق محفوظا بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول إلا محفوظا بهم من تخليط الشياطين قال الراوى اشتكى محمد بن السماك فأخذنا ماءه وذهبنا به إلى طبيب نصرانى فاستقبلنا رجل حسن الوجه طيب الرائحة نقى الثوب فقال لنا إلى أين فقلنا له إلى فلان الطبيب نريه ماء ابن السماك فقال سبحان الله تستعينون على ولى الله بعدو الله اضربوه على الأرض وارجعوا إلى ابن السماك وقولوا له ضع يدك على موضع الوجع وقل وبالحق أنزلناه وبالحق نزل ثم غاب عنا فلم نره فرجعنا إلى ابن السماك فأخبرناه بذلك فوضع يده على موضع الوجع وقال ماقال الرجل وعوفى فى الوقت وقال كان ذلك الخضر عليه السلام (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً) بالجنة (وَنَذِيراً) من النار (وَقُرْءَاناً) منصوب بفعل يفسره (فَرَقْنَاهُ) أى فصلناه أو فرقنا فيه الحق من الباطل (لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ) على تؤدة وتثبت (وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا) على حسب الحوادث (قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْلَا تُؤْمِنُوا) أى اختاروا لأنفسكم النعيم المقيم أو العذاب الأليم ثم علل بقوله (إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ) أى التوراة من قبل القرآن (إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ) القرآن (يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّداً) حال (وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا) لقوله آمنوا به أولا تؤمنوا أى أعرض عنهم فإنهم إن لم يؤمنوا به ولم يصدقوا بالقرآن فإن خيرا منهم وهم العلماء الذين قرءوا الكتب قد آمنوا به وصدقوه فإذا تلى عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لأمره ولإنجازه ما وعد فى الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد ﷺ وإنزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد المذكور. إن بمعنى إنه وهى تؤكد الفعل كما أن إن تؤكد الاسم وكما أكدت إن باللام فى إنهم لمحضرون أكدت إن باللام فى لمفعولا (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ) ومعنى الخرور للذقن السقوط على الوجه وإنما خص الذقن لأن أقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض عند السجود الذقن يقال خر على وجهه وعلى

ذقنه وخر لوجهه ولذقنه أما معنى على فظاهر وأما معنى اللام فكأنه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به إذ اللام للاختصاص وكرر يخرون للأذقان لاختلاف الحالين وهما خرورهم فى حال كونهم ساجدين وخرورهم فى حال كونهم باكين (وَيَزِيدُهُمْ) القرآن (خُشُوعاً) لين قلب ورطوبة عين (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ) لما سمعه أبو جهل يقول يا الله يا رحمن قال إنه نهانا أن نعبد إلهين وهو يدعو إلهاً آخر فنزلت وقيل إن أهل الكتاب قالوا إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله فى التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وأو للتخيير أى سموا بهذا الاسم أو بهذا أو اذكروا إما هذا وإما هذا والتنوين فى (أَيًّا مَّا تَدْعُوا) عوض من المضاف إليه وما زيدت للتوكيد وأياً نصب بتدعوا وهو مجزوم بأى أى أى هذين الاسمين ذكرتم وسميتم (فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى) والضمير فى فله يرجع إلى ذات الله تعالى والفاء لأنه جواب الشرط أى أياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الأسماء الحسنى لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لأنهما منها ومعنى كونها أحسن الأسماء إنها مستقلة بمعانى التمجيد والتقديس والتعظيم (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لأنه لا يلبس إذ الجهر والمخافتة تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة أفعال وأذكار وكان رسول الله ﷺ يرفع صوته بقراءته فإذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فأمر بأن يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (وَلَا تُخَافِتْ بِهَا) حتى لا تسمع من خلفك (وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ) بين الجهر والمخافتة (سَبِيلًا) وسطا أو معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بأن تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار أو بصلاتك بدعائك (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا) كما زعمت اليهود والنصارى وبنو مليح (وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ) كما زعم المشركون (وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ) أى لم يذل فيحتاج إلى ناصر أو لم يوال أحدا من أجل مذلة به ليدفعها بموالاته (وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً) وعظمه وصفه بأنه أكبر من أن يكون له ولد أو شريك وسمى النبى عليه السلام الآية آية العز وكان إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية

﴿ تم الجزء الثانى ويليه الجزء الثالث وأوله سورة الكهف ﴾